المملكة العربية السعودية
د.ناصر بن يحيى الحنيني
الإصدار الأول

التَّطرفُ المسكوتُ عنهُ

أصول الفكر العصراني
(السُّعودية أنموذجاً)
١٤٢٦هـ-١٤٢٧هـ

المُقَدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين،وعلى آله وأصحابه،ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين،أما بعد:

فهذه دراسةٌ حول اتجاه فكري منحرف ظهر في حياةِ المسلمين المعاصرةِ،بعد أن عجز الفكر العلماني المعادي،والمنابذ للشريعة الإسلامية أن يخترق ثقافة الأمة الإسلامية،وأن يؤثر فيها كما كان يحلم،فجاءت اليقظة العلمية والدعوية في أوساط الأمة،وبدَّدت أحلام هذا الفكر المنحرف المعادي للدين،فعمد إلى بعض أبناء المسلمين الذين خُدِعوا ببعض

دعواه،والمتأَثِّرينِ بالمستشرقين،وبعض الملاحدة الزَّنادقةِ منْ أعداء الدين،فخرج هذا المسخ الذي يسمى(**الفكر الليبرالي**).

وفي الآونة الأخيرة وفي العقد الأخير تحديداً،ازداد نشاط التيار الليـــبراليِّ بـــصورة لافتـــة للنظر،وظهر توجه متطرف يَتَقَنَّعُ بالإسلامِ زوراً وبُهْتاناً،يدعو إلى نبذِ الأصـــولِ المتينـــةِ والقواعدِ المحكمةِ التي انطلق منها سلفُ الأمة من الصحابة والتابعينَ في فهمهـــم للـــدِّينِ بأبوابهِ المتعددةِ،وتصورهم ونظرتِهم للكونِ والحياةِ،في مُقابلِ إخضاعِ العقيـــدةِ والفكـــرِ والثقافةِ والنَّظرِ للكونِ والحياةِ للأهواءِ وجعلهَا حاكماً مهيمناً عليها بعيداً عِنْ نورِ الوحي والرِّسالةِ؛مع الاعتمادِ الكليِّ على النَّظرةِ النقديةِ الفلسفية لكلِّ شيء ولو كانَ من الثوابتِ والمسلماتِ[1]والسير في ركاب أعداء الملة وتحديداً أمريكا بدعوى التطور،وأنَّ من أسباب التخلف تلكم الكتب الصفراء التي نرددها في مساجدنا ودروسنا-زعموا-،وظهر تحالف مشبوه بين التيار الليبرالي العلماني الصريح وبين هؤلاءِ اللِّيبراليين المتَقَنِّعينَ بالإسلامِ،وأصبح الاتجاه الليبرالي المتقَنِّعُ بالإسلامِ غِشَّاً وَخِداعاً مطية يركبها الاتجاه الليبرالي الأمريكي التوجه والهوى، لتنفيذ مخططاتهم في تغريـــب الأمـــة عمومـــاً وبـــلاد الحـــرمين علـــى وجـــه الخصوص،وأمريكا تعرف هذا التوجه وتشجعه وتراهن عليه[2]،كيف لا؟وأصحاب هـــذا الاتجاه يُشيدون بِها،وبسياستِها في المنطقة،ويَكيلونُ لها الثَّناء العاطرَ.

يقول خالص جلبي-وهو أحدُ رموزهم الكبار-:" :"**يجب أن نحزن لحـــزن أمريكـــا؛لأنَّ فشلها فشلٌ لكلِّ الجنس البشري،ولأَنَّها تُمثِّلُ طليعة الجنس البشري**"[3].

إِنَّهُ لَمِنِ الواجبِ على أهل العلم والمنهج الأصيل أن يتصدوا لهذه الحملة الظالمة التي طالت الأصول والثوابت،وساهمت بشكل كبير في الترويج للمشروع التغريبي الـــذي تتزعمـــه

---

(١)-انظر:"التراث والحداثة":(ص/٤٥-٤٦)للجابري.

(١)-انظر مقالاً خطيراً مترجماً عن اللغة الإنجليزية بعنوان(الليبراليون الجدد.. عمالة تحت الطلب)، لِ(جون بي آلترمان (Jon B. Alterman) مدير برنامج الشرق الأوسط في معهد الدراسات الدولية والاستراتيجية الأمريكي (Center for Strategic and International Studies)،وقـــد تـــرجم المقـــال للعربية:الأستاذ/إبراهيم عرفة أحمد،ولقراءة المقال،والوقوف على تفاصيله، انظر:"مجلة البيان": العدد(٢١٩)ذو القعدة ١٤٢٦هـــ٠

(٢)-جريدة الاقتصادية،العدد(١٧٣)في:٢٠٠٣/٢/٤م٠

أمريكا وأهل الشهوات في البلد،وهذه الدراسة محاولة متواضعة لتجلية شيء من حقائق هذا الفكر ورسم معالم وخطوط عامة لمعرفة مكمن الداء وكيفية العلاج والله الموفق .

وقد قَسَّمتُ الدراسة كما يلي:

المقدمة،وفيها بيان البواعث على كتابة هذه الدِّراسة،وبيان خطر هذا الاتجاه على وجه الإجمال.

وتمهيد :وفيه:

١. المصطلحات التي أطلقوها على أنفسهم أو أُطلقت عليهم من غيرهم (الليبرالية – العصرانية –العقلانية – التنوير –الفكر التجديدي – الفكر التحديثي–).
٢. تاريخ ظهور هذا الاتجاه على وجه الإجمال .
٣. أثر الاستشراق والاتجاهات الإلحادية على الفكر الليبرالي
٤. أسباب انتشار هذا الفكر والافتتان به .

الفصل الأول :معالم الفكر الليبرالي المعاصر .

الفصل الثاني : آثار وأخطار الفكر الليبرالي على المسلمين .

الخاتمة:وفيها أبرز النتائج،وأهم التوصيات.

وقد حرصت في هذه الدراسة على الاختصار الشديد،والاكتفاء ببعض الشواهد من كلام الليبراليين،وليس الكلُّ،مع الحرص الشديد على التوثيق الدقيق،وقد تطلَّب ذلك في بعض المواضع النقل الحرفي لبعض المقابلات المسجَّلة كما هي دون تعديلٍ أو تصحيح لغوي.

كما ركزت في هذه الدراسة على النموذج السعودي خصوصاً،وإن كنت في بعض المقاطع أستشهد بآراء غير السعوديين،وخصوصاً آراء خالص جلبي لسببين:

أحدهما:أنَّه كاتب مكثر في الصحافة السعودية وفي أكثر من مطبوعة.

الثاني:أَنَّ عدداً من الليبراليين السعوديين تتلمذوا على يديه،واستنسخوا بعض أفكاره.

وأسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى،وهذه محاولة متواضعة لبدء مشروع متكامل لمواجهة هذا الفكر الذي له منابره ووسائله وكتبه،والتي ظهر أثرها على المجتمعات الإسلامية وخاصة المحافظة منها،والله المعين والموفق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه د.ناصر بن يحي الحنيني
(المشرف العام على مركز الفكر المعاصر وأستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية).

تمهيد

١. المصطلحات التي أطلقوها على أنفسهم أو أُطلقت عليهم من غيرهم:

قبل الحديثِ عن هذه المصطلحات،يجدر التنبيه على أننا لا ننتقد هذه المصطلحات لذاتِها،بل نريد أن نبين المقصد من إطلاقها،وإلاَّ فإنَّ بعضها قد يحتمل معنى صحيحاً وآخر فاسداً.

-**الليبرالية**:وهاهنا يحسن بنا أن نُسلط الضوء على حقيقة هذا المصطلح؛لأنَّ أصحاب التيار الليبرالي صاروا يروجون له،ويتشدقون به كثيراً في الآونة الأخيرة.

يقول إبراهيم البليهي:"أنا مسلم أولاً ثم ليبرالي ثانياً،يعني مسلم مبادئ وليبرالي آليات، يعني أرى أن الإسلام لن يكون له نجاح إلا بالآليات التي توصل إليها البشر في تطبيق العدل"[1].

وهاهو يوسف أبا الخيل يرى ضرورة تعزيز قيم الليبرالية في المجتمعات العربية،إذ يقول:" **كنتُ قد كتبت مقالاً هنا عن ضرورة لبرلة المجتمعات العربية قبل أية محاولة لدمقرطتها،وجاءت تلك الملاحظة على خلفية ما كنت رصدته خلال الفترة الماضية من**

---

(١)-في لقاءٍ معه نُقِلَ عبر(قناة العربية)،بتاريخ الأربعاء:٢٠٠٥/٤/٦.

بعض إفرازات ما يعرف ب (بالممارسة الديموقراطية الغوغائية) التي مورست على وقع أجواء حرية التعبير الجديدة التي سادت في بعض البلاد العربية كاستجابة للمتغيرات المحلية منها والدولية"

ويقول في نفس المقالِ:**"فقد طالبت في مقالتي تلك بغرس قيم الليبرالية في مفاصل الثقافة العربية عن طريق إصلاح التعليم والفكر بشكل عام بتطعيمهما بتلك القيم قبل أية محاولة لدمقرطة المجتمعات العربية...**"[١].

أَمّا محمد المحمود،فيعترفُ بِكلِّ صراحةٍ ووضوحٍ بانتمائه للتيار الليبرالي،وتشرُّفه بأنَّ يصل إلى قيمه وأدبياته،وإليكَ هذا المقطعَ المسجَّل الذي يكشف النِّقابَ عنْ حقيقةِ القومِ:

" محمد المحمود:أصابتني رياح الصحوة لكن ليست يعني لم تستولي عليّ،ولم تقتلعني من جذوري فأنا..

تركي الدخيل:وش جذورك؟

محمد المحمود:**جذوري الليبرالية..**

تركي الدخيل:تعتبر نفسك ليبرالي؟

محمد المحمود: جداً،وهو أفق أسعى إليه،يعني أنا أعتبر نفسي كصفة أو صفة تشريف لكن هل أنا أحوزها أم لا..

تركي الدخيل:الليبرالية؟

محمد المحمود:**إي الليبرالية صفة تشريف لكن هل أحوزها أم لا..**

تركي الدخيل:ليش تعتقد أن انطباع الانطباع الموجود في المجتمع الليبرالية سلبي؟

محمد المحمود:الجهل فقط..

تركي الدخيل:جهل الناس..

محمد المحمود:جهل الناس بماذا تعني الليبرالية..

تركي الدخيل:يعني وأنت أدركت ما تعني الليبرالية؟ما هي وش تعريفك لليبرالية؟

---

(٢)–في مقالٍ له بعنوان:(الهويات الدينية في المجتمع الليبرالي)،نُشرِ في جريدة الرياض،بتاريخ: الخميس ١٥ جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ – ٢١ يوليو ٢٠٠٥م – العدد ١٣٥٤١.

محمد المحمود:**شوف الليبرالية أخي هي مجموعة من الأفكار التي تتمحور حول مفـردة الحرية،فالحرية كقيمة لهذا الإنسان هنا من هنا تبدأ الليبراليـة،طبعاً هنـا التجـارب الليبرالية تخضع لعدة تمظهرات من هذا الجذر وعدة تجارب،فلدينا تجارب ليبرالية تأخذ أو تعطي بعض مفردات الحرية مطلقاها،أي تمنحها ومطلقاها وهنا تصبح**"[١].

ويقول أيضاً:"**إن الليبرالية تعني في أساس مصطلحها الأوروبي (فلسفة الحرية)،لأنَّ كلمة «حرية» لها ارتباط وثيق بكلمة «ليبرالية»إذ تم اشتقاقها من أصل الكلمـة اللاتينيـة (Liberty Liberalism)،والإسلام بصفته دين الحرية الإنسانية يتوافر علـى أهم أصل في مجال الليبرالية، بل إنه المجال المؤسس لما ينبني عليه من حقوق أخرى**"[٢].

ونلحظُ أَنَّ هؤلاءِ الليبراليينَ الجددَ،أدركوا من واقع مجتمعهم الـذي يعيـشون فيـه أَنَّ استعلانَهُمْ باللِّيبراليةِ ومجاهرتَهُم بها في وضحِ النَّهارِ،وبخاصَّةٍ في المجتمعاتِ المحافظةِ كالمجتمعِ المسلمِ في بلادِ الحرمين،منْ شأنهِ أَنْ يكشفَ خبيئةَ أمرهم،ويَجُـرَّ علـيهم كـثيراً مـن المتاعبِ،ويَدفنَ منذُ الوهلةِ الأولى مشروعهم التغريبيَّ الإجراميَّ في مقبرةِ التَّـاريخِ،ثُمَّ لا يعودونَ من وراء ذلك كُلِّهِ إلاَّ بالخيبةِ والخسران.

فكانَ منْ مكرِهم أَنْ تقَنَّعُوا في دعوتِهم لليبراليةِ الَّتي يَنْعِقونَ بها بالإسلامِ زُوراً وَبُهتاناً؛منْ أجلِ أَنْ يُلَبِّسوا على النَّاسِ،وحَتَّى تروجَ بضاعتهم الكاسدةُ لِمنْ يقرأُ أو يسمع لَهُمْ.

ولنا أن نتساءلَ–حينئذٍ–:ما هي الليبرالية؟وماهو جوهرها الحقيقي؟وهل يمكن أن تلتقي مع الإسلام بحيث يسوغُ للمسلمِ أن ينعت نفسه بِ(المسلم الليبرالي)؟

أما الجواب عن السؤال الأول:ماهي الليبرالية ؟فأقول:

الليبرالية:تدعو إلى الحرية المطلقة وعبادة الفرد نفسه وهواه وشـهوته،وقد عَبَّـرَ عنـها منظروها في الحضارة الغربية سواء في فرنسا أو في بريطانيا بأنها التفلت المطلق،وهي أيضا تدعو إلى الحرية المطلقة التي لا تعترف بدين ولا نص مقدس ولا عادات ولا تقاليد ولا أي أمر يعيق الحرية الفردية .

---

(١)–انظر:"موقع قناة العربية"–برنامج إضاءات–بتاريخ:الأحد:٦ربيـع الأول ١٤٢٨ هـ،٢٥ مـارس ٢٠٠٧م.

(٢)–جريدة الرياض، الخميس ٢ ذي الحجة ١٤٢٥هـ – ١٣ يناير ٢٠٠٥ م – العدد ١٣٣٥٢.

ومن أشهر من نادى بالليبرالية آدم سميث ومالتوس وريكاردو وجون ستيورات مـــل[1].

فالفكر الليبرالي في أصله-كما يقول الدكتور عبدالعزيز كامل-:"نشأ عـــن فلـــسفة سياسية واقتصادية،أفرزت قناعات ثقافية وممارسات اجتماعية،حاولت بعـــد ذلـــك أن تتحول إلى منطلقـــات لحـــريـــة ديـــنية،ونـــسبية اعـــتقادية، تؤول إلى (اللا ديـــن). والليبرالية،بكل تعريفاتها لكل أصنافها؛تركز على جوهر واحد يتفق عليه جميع الليبراليين، وهو أنها:تعتبر الحرية هي المبدأ والمنتهى في حياة الإنسان،وهي وراء بواعثه وأهدافه، وهي المقدمة والنتيجة لأفعاله. فالحرية هي سيدة القيم عندهم دون أدنى حدود أو قيود، ســـواء كانت هذه الحدود هي (حدود الله) أو كانت تلك القيود لسبب سياسي أو اجتماعي، أو ثقافي، أما مبدأ عبودية الإنسان لخالقه كما جاءت به رسالات السماء جميعاً، فهي عنـــد الليبراليين لون من تراث الماضي «المتخلف».

و الفكر الليبرالي لم يقف عند حد علاج الخلل الناشئ بسبب فساد تصورات الكنيسة في الدين والسياسة والاقتصاد والاجتماع، بل جعل الآلهة المتعددة إلهاً واحـــداً هـــو الهوى، فهو المعبود الحقيقي في الملة الليبرالية..."

ويقول أيضاً:"صحيح أن أرباب الليبرالية يختلفون فيها بقدر اختلاف أهوائهم، إلا أنهـــم يتفقون على شيء واحد، وهو وصف موسوعة (لالاند) الفلسفية لها بأنها: «**الانفـــلات المطلق بالترفع فوق كل طبيعة**».

وعرفها الفيلسوف السويسري(**جان جاك روسو**) بأنها: «الحرية الحقة في أن نطبق القوانين التي اشترعناها نحن لأنفسنا». وهكذا نرى أن تعريفات الليبرالية تُجمِع على أنها انكفـــاء على النفس مع انفتاح على الهوى؛ بحيث لا يكون الإنسان تابعاً إلا لنفسه، ولا أسيراً إلا لهواه، وهو ما اختصره المفكر الفرنسي (لاشييه) في قوله: «**الليبراليـــة هـــي الانفـــلات المطلق**».[2].أ.هـــ بتصرف واختصار.

ثم يأتي الجواب عن السؤال الآخر : هل يمكن أن تلتقي الليبرالية مع الإسلام ؟

---

(١)-"الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة": (٢/١١٤٥-١١٤٦).

(١)-مجلة البيان عدد (٢١٩) بتاريخ ذو القعدة ١٤٢٦هـــ،بتصرف.

الجواب : كيف يلتقي الإسلام مع الليبرالية؟!،ومن شروطها وأساس فكرتها نبذ كل ما يعارض الحرية البهيمية من دين ونص شرعي مقدس وعادات وتقاليد وغيرها ، فالليبرالية لا يمكن أن تقوم إلا بنبذ الدين ، ولهذا لا يمكن أن يكون الإنسان مسلماً وليبرالياً في نفس الوقت ، لأنه سوف يتقيد بأحكام الإسلام وشروطه وهي التي تخالف فكرة الليبرالية من أصلها ، وأما إعلاء شأن الإنسان وكرامته وحقوقه فالإسلام أعطى الإنسان حقه وما هو في صالحه وصالح المجتمع ؛إذ المنهج الذي جاء به معصوم من عند رب العالمين؛ لأن الله-خالق الإنسان-هو أعلم بما يصلحه كما قال تعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك:١٤]،وهذه الحقيقة الشرعية هي الغائبة عن الحضارة الغربية،فمن السفه والغباء إذاً أن تُستجلب الليبرالية كمنهجٍ ونظام حياةٍ للمسلمين الذين أكرمهم الله وشَرَّفَهُم بِهذا المنهج الإسلامي الذي يصلح لكل زمان ومكان، وأما ما ابتدعته عقول المفكرين الغربيين فهي قائمة على الحظوظ الشخصية دون اعتبار للأمور الغيبية التي تميز المسلم في عقيدته ومنهجه في الحياة .

وعليهِ؛فلا يجوز أن يطلق المسلم على نفسه لقب الليبرالية؛لأنَّها تدعو إلى معاداة الدين ونبذه وعدم الرجوع اليه والتحاكم اليه .

وثمة خطر آخر وهو:أنَّ هذا المصطلح المحدث يوهم التقارب بين الإسلام والليبرالية، ويسمح بتمرير ضلالات الليبرالية إلى قلوب عوام الناس وعقولهم وهم لا يشعرون،وهذا لا ريب أنه محظور عظيم يجب سد الطرق المفضية إليه.

وهي كذلك : تبيح للشخص أن ينتسب إلى أي دين ، وإلى أي مذهب دون أن يعاب أو ينكر عليه، فهذه حريةٌ مطلقة لا قيود ولا ضوابط لها،وقد دل الكتاب والسنة وإجماع المسلمين على وجوب اتباع دين الإسلام الحق، وأن من لم يتبع دين الإسلام فهو كافر شقي في الدنيا، وهو في الآخرة من الأخسرين الخالدين في الجحيم، قال تعالى: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}،وقال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-:"وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ"(١).

---

(١)-أخرجه مسلم في"صحيحه"(كتاب الإيمان،باب وجوب الإيمان برسالة نبينا،١/٣٦٥/برقم ٢١٨).

–العصرانية :إشارة لتطويعهم نصوص الشريعة وأحكامها لتتوافق مع مستجدات العصر دون اعتبار لقداسة النص والمرجعية الشرعية وهي الكتاب والسنة(١).

–العقلانية:إشارة إلى تقديمهم وتقديسهم للعقل،أو أنهم أهل عقل وحكمة ومن عداهم ليس لديه اهتمام بالعقل ويقصدون بذلك أصحاب الاتجاه السلفي تحديداً، وتعاملوا مع العقل بالطريقة المنحرفة التي تعامل بها أهل البدعة عموماً والمعتزلة على وجه الخصوص(٢).

–التنوير:ظهر مصطلح التنوير(ENLIGHTENMENT)في القرنين السادس عشر والسابع عشر في أوروبا تعبيراً عن الفكر الليبرالي البورجوازي ذي النزعة الإنسانية العقلية والعلمية والتجريبية. ويتضمن هذا الفكر نزعةً ماديةً واضحةً بعد إقصاء اللاهوت،وذلك بإحلال الطبيعة والعقل بدلاً من الفكر الغيبي الثيولوجي والخرافي في تفسير ظواهر العالم ووضع قوانينه(٣).

---

(٢)–انظر:"قاموس إنجليزي–عربي":(ص/٥٨٦)لمنير البعلبكي،و"دائرة المعارف البريطانية/١٩٥٤م)،و"مفهوم تجديد الدِّين":(ص/٩٦–٩٧،و٩٩–١٠١،و١٠٢–١٠٣،و١٠٥–١٠٦)لبسطامي محمد سعيد،و"اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر":(ص/٥٥٢)لحمد بن صادق الجمال،و"العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب":(ص/١٨٦–١٩١)لمحمد حامد الناصر .

(١)–انظر:"مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي–رؤية نقدية في ضوء الإسلام"لعبد الرحمن بن زيد الزنيدي،و"المدرسة العقلية الحديثة":(ص/٩)لناصر العقل.

(٢)–انظر:"موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية"، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١٦٩، محرر المادة د. محمد أبو شامة.

(٣)–انظر:"المعجم الفلسفي"،إصدار مجمع اللغة العربية،طبعة القاهرة،سنة١٩٧٩م،و"القلب والعقل"لرولان مورتييه Roland Mortier,Le caeur et la raison.Recueil،و"مدخل إلى التنوير الأوروبي":(ص/١٣٨–١٣٩)لهاشم صالح.

والتنوير اتجاهٌ ثقافيٌّ ساد أوروبا في القرن الثامن عشر بتأثير طبقة من المثقفين مـــن أمثـــال (فولتير)، و(ديدرو)، و(كوندورسيه)، و(هولباخ)، و(بيكاريا)، الـــذين أخـــذوا عـــن الفلاسفة العقليين، (ديكارت)، و(سبينوزا)، و(لايبنتس)، و(لوك)، والذين طبعوا القرنين السابع عشر والثامن عشر بطابعهم الثقافي، حتى أُطلق على هذه الفترة اسم عصر العقـــل (THE AGE OF REASON)،وكان التنوير نتاجه[١].

ويمثّل التنوير حركةً عقليةً أوروبيةً رأت في العقلِ الوجودَ الحقيقيَّ للإنـــسان،وسعت إلى تحرير الحضارة من الوصاية الكنسية والترعات الغيبية والخرافات،وآمنت بتقدم الإنـــسانية عن طريق البحث العلمي[٢].

ويرجع الفضل إلى الفيلسوف الألماني(كانت) في استخدام مصطلح التنوير كتعـــبير عـــن الحركة العقلية التي بدأت في أوروبا في القرن السابع عشر وبلغت أوجها في القرن الثامن عشر،وقد امتدَّ تأثيره في الحضارة الأوروبية كلِّهـــا،وفي الـــشعوب المتـــأثرة بالحـــضارة الأوروبية[٣].

فالتنوير إذن،كمصطلح شائع في الحياة الفكرية،هو مصطلحٌ أوروبيٌّ النـــشأة والمـــضمون والإيحاءات،بل إنه عنوانٌ على نسق فكري سَادَ في مرحلة تاريخية مـــن مراحـــل الفكـــر الأوروبي الحديث، حتى ليقال كثيراً، في تقسيم مراحل هذا الفكر : "عصر التنوير". وهذا المفكر من عصر التنوير. وهذا الفكر من أفكار (عصر التنوير)، أو ضـــد أفكـــار ذلـــك العصر[٤].

---

(١)–انظر:"الدين والفلسفة والتنوير"، د. محمود حمـــدي زقـــزوق، ص : ٧٩، دار المعـــارف، القـــاهرة، ١٩٩٦،و"فلـــسفة الأنـــوار"لكاســـيرر Ernst Cassirer,La philosophie des lumieres.Fayard,Paris,1970,pp.39-40.

(٢)–انظر:"الدين والفلسفة والتنوير"، د. محمـــود حمـــدي زقـــزوق، ص : ٧٩، دار المعـــارف، القـــاهرة، ١٩٩٦،و"فلـــسفة الأنـــوار"لكاســـيرر Ernst Cassirer,La philosophie des lumieres.Fayard,Paris,1970,pp.39-40. وكتاب كانـــت: Kant,Critique de la raison pure,Aubier,Paris,1997,p.65.

(٣)– انظر:"معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام"،د. محمد عمارة،ص٥٤، نهضة مصر للطباعة والنـــشر والتوزيع،القاهرة،١٩٩٧.

وإليك أخي القارئ بعض النقول التي تبرهن على انتماء هؤلاء القوم إلى الفكر التنويري،وترويجهم لأصولهِ ومضامينه:

يقول محمد بن علي المحمود:"كما لم يأت التنوير الأوروبي من فراغ؛ فإنه-كذلك -لم يقم في فراغ. لقد كان الوقع المظلم لأوروبا في القرون الوسطى هو الباعث أو المبرر لطرح سؤال التنوير الذي أخرج أوروبا من الظلمات إلى النور. **ولا زال التراث التنويري، يمد العالم أجمع بنفحات من الحياة، يصعب أن تعيش بدونها؛ رغم بعض صور العقوق له، حتى من أبنائه، ورغم القراءات التي المتجاوزة من جهة، والمضادة لنهائيات القيم التنويرية من جهة أخرى.**

التنوير ليس ترفا، وإنما هو (حالة) إنقاذ، وانتشال للأمة من واقع المأساة الإنسانية والتخلف المدني. لم يأت التنوير في سياق طبيعي، وما كان له أن يأتي؛ إلا كرد فعل على واقع مضاد. جاء التنوير؛ لأن كل مفردة من مفردات الواقع كانت تدعو – بضديتها – إلى حالة تنوير. ولولا الظلام؛ لم نبحث عن النور، فضلا عن أن نخترعه من العدم"[1].

وهاهو خالد الغنامي يكشف النقاب عن حقيقة دعوتِهم التي يُنادون بِها في حوارٍ أَجْراهُ معهُ تركي الدخيل:

"تركي الدخيل:يعني أنت تريد أن تعيد أن تبعث أفكار فلاسفة التنوير؟

خالد الغنامي:ليس وحدي ولكنَّ كثير من الكتّاب السعوديين يعتقدون هذا،يعتقدون أن العودة إلى عصر التنوير هو ما نحتاجه في الفترة الحالية"[2].

—**الفكر التجديدي:**ويعنون به تغيير أصول الإسلام-لا المقصود المتبادر من اصطلاح التجديد وهو إحياء ما اندرس من معالم الإسلام وأصوله،فالمتمعن في كتب هذا التوجه يرى أنهم يدخلون في التجديد الابتداع في تغيير الإسلام وتغيير أصوله بما يتوافق مع

---

(١)-جريدة الرياض،الخميس ٢٥ ذي القعدة ١٤٢٥هـ- ٦يناير ٢٠٠٥ م – العدد:(١٣٣٤).

(٢)-انظر:"موقع قناة العربية"-برنامج إضاءات-بتاريخ١١/٥/٢٠٠٥م.

الأهواء،ويساير الواقع وتوجهات الأعداء ليقبلوا بهم[1]،وسيأتي بيانُ ذلــكَ-بــإذن الله-بالتفصيل في تضاعيف هذه الدِّراسة.

-**الفكر التحديثي،أو الإسلام التحديثي**:هو الاتجاه العقلاني الدَّاعي إلى الابتداع في الدين أو تكييفه وتطويره-باسم التجديد-لمسايرة العصر ومواكبة التطور[2]وهذا الإطلاق صادرٌ عن الدوائر الثقافية الغربية التي تروج له؛لأنه يهدم الإسلام ويضعفه من داخله فهو يعارض ويقف بقوة أمام تميز المسلمين وسر عزتهم واستعصائهم على عدائهم من خــلال إيمــانهم ببعض الثوابت الشَّرعية مثل:الجهاد،والولاء و البراء،وهما أكبر قضيتين يــسعى الغــرب لقتلهما في نفوس المسلمين بل تشويه ماضيهم المــشرق الملــيء بالجهــاد والبطــولات والفتوحات .

وللدكتور المسيري كلام نفيس حول مصطلح الحداثة والتحديث الذي يُروَّج له كــي نلحق بركب الحضارة الغربية دون تمييز حيث يقول:

" ...ومصطلح التحديث لا يُشَكِّلُ أي استثناء لهذه القاعدة،فتوجد تعريفات كثيرة لمفهوم الحداثة، لكن ثمة ما يشبه الإجماع على أن الحداثة مرتبطة تماما بفكر حركة الاستنارة الذي ينطلق من فكرة أن الإنسان هو مركز الكون وسيده،وأنه لا يحتاج إلا إلى عقله ســواء في دراسة الواقع أو إدارة المجتمع أو للتمييز بين الصالح والطالح،وفي هذا الإطار يصبح العلــم هو أساس الفكر، مصدر المعني والقيمة، والتكنولوجيا هي الآلية الأساسية في محاولة تسخير الطبيعة وإعادة صياغتها ليحقق الإنسان سعادته ومنفعته .

هذا التعريف قد يبدو للبعض تعريفا جامعا مانعا أو علي الأقل كافيا،ولكننا **لو فحــصنا الأمر بدقة أكبر لوجدنا أن الحداثة ليست مجرد استخدام العقل والعلم والتكنولوجيا، بل هي استخدام العقل والعلم والتكنولوجيا المنفصلة عن القيمة**، أو كمــا يقولــون بالإنجليزية : فاليو -فري Value -- free .

وهذا البعد هو بعد مهم لمنظومة الحداثة الغربية، ففي عالم متجرد من القيمة تصبح كــل الأمور متساوية، ومن ثم تصبح كل الأمور نسبية، وحين يحدث ذلك فإنه يصعب الحكم

---

(٣)-انظر:"مفهوم تجديد الدين":(ص/١٢٠).

(٤)-انظر:"الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية":(ص/٢٢٣)لمفرح القوسي.

علي أي شيء، ويصبح من المستحيل التمييز بين الخير والشر وبين العدل والظلم، بل وبين الجوهري والنسبي، وأخيراً بين الإنسان والطبيعة أو الإنسان والمادة .

وهنا يطرح السؤال نفسه كيف يمكن أن تحسم النزاعات والصراعات، وكيف يمكن أن نسوي الخلافات، وهي كلها من صميم الوجود الإنساني ؟ في غياب قيم مطلقة، يمكن الاحتكام لها، يصبح الإنسان الفرد أو الجماعة العرقية مرجعية ذاتها، وتصبح ماتراه في صالحها هو الأساس وماليس في صالحها هو الطالح . وقد أدي هذا إلي ظهور القوة والإرادة الفردية كآلية واحدة لحسم الصراعات وحل الخلافات.

هذه هي الحداثة التي تبناها العالم الغربي والتي جعلته ينظر إلي نفسه باعتبار أنه هو (وليس الإنسان أو الإنسانية) مركز العالم، وأن ينظر للعالم باعتباره مادة استعمالية يوظفها لصالحه باعتباره الأكثر تقدما وقوة، ولذا فإن منظومة الحداثة الغربية هي في واقع الأمر منظومة إمبريالية داروينية .

هذا هو التعريف الحقيقي للحداثة كما تحققت تاريخيا، وليس كما عُرِّفت معجميا، وهذا هو التعريف الذي يمكننا من قراءة كثير من الظواهر الحديثة..."[(١)] أ.هـ

٢. تاريخ ظهور هذا الاتجاه على وجه الإجمال :

الجذور التاريخية لهذا التطرف:

- **الفكر الفلسفي أَوَّلُ منْ نادى بتقديس العقل وتأليهه:**

الغلو في تعظيم العقل لم يكن وليد الساعة،بل كانتْ له جذور قديمة تبدأ من الفكر اليوناني،والمتمثل في الفلسفة الإغريقية القديمة،التي كانت تعظم العقل وتؤلهه.كما ظهر عند أقطاب هذه الفلسفة من أمثال:أرسطو[(٢)].واستمر مسيطرا على الفكر الأوربي قرون عدة،حتى كان التحول المضاد من سيادة العقل إلى تعطيله،تحت سيطرة الكنيسة،واستمرت هذه السيطرة ما يقارب عشرة قرون،وهي فترة ما يسمى ب((العصور الوسطى المظلمة))ثم تلا ذلك ما يسمى ب((عصر الإحياء))،الذي ظهر فيه التمرد.واتسم هذا العصر الجديد بالغلو في تعظيم العقل،وإعمال الفكر في كل شيء بحرية لا تقبل

---

(١)–انظرموقع شبكة القلم على الانترنت.

(٢)–انظر:"درء التعارض":(١/٨١، ٣٨٤)لابن تيمية،و"إغاثة اللهفان":(٢/٢٦٠–٢٦٢)لابن قيم الجوزية.

القيد،وأصبح العقل هو مصدر المعرفة المقدم على غيره،ويعتبر هذا العصر هو فترة سـيادة العقل،وذلك إبان القرن الثامن عشر،ونتيجةً للانحراف في تقديس العقل،والغلو فيه،ظهرتْ موجة الإلحاد،والمذاهب الوضعية التي تُنكرُ الدِّين بالكلية وتعاديه،وهو ما عُرِفَ بـِ(عصور التنوير)[1].

- **الفكر الاعتزالي يدور في فلك الفكر الفلسفي:**

كما كان للفكر اليوناني الفلسفي الأثر على الفكر الاوربي في تمجيد العقل وتعظيمه،فقـد كان له الأثر كذلك على الفرق الكلامية المنتسبة للإسلام،وفي مقدمتها،فرقة المعتزلة الـتي قدَّست العقل،وغلت في تعظيمه،وقد كان هذا التأثير عن طريق الترجمة لكتب وفلسفات اليونان التي رأى بعض الخلفاء العباسيين كالمأمون ومن ورائه من أصحاب الفكر الاعتزالي ضرورة ترجمتها،والأخذ عنها وذلك لأنهم وجدوا فيها ما يرضي نهمهم العقلي،وشـغفهم الفكري[2].

---

(٣)-انظر:"الاتجاه العقلاني لدى المفكرين الإسلاميين المعاصرين٠٠٠عرض ونقض":(١/١١٥)للدكتور/سعيد بن عيضه الزهراني"٠

(١)-"الاتجاه العقلاني لدي المفكرين الإسلاميين المعاصرين":(١/٢٢٥)،و"الغلو والفرق الغاليـة في العقيـدة الإسلامية-عرض ومناقشة": (ص/٣٧٣)للدكتور/علي بن سليمان الصالحي٠

٣. أثر الاستشراق[1]والاتجاهات الإلحادية على الفكر الليبراليِّ:

(١)-يعتزم المركز-بإذن الله-تعالى إصدار دراسة موسعة حول تأثير الفكر الاستشراقي بمفرداته ومناهجــه في النقد والتحليل على الفكر الليبرالي،وما سيقف عليه القارئ في هذا المبحث ما هو إلا إشارات يسيرة في هــذا الجانب.

أَمَّا أثر الاستشراق،فيظهر بجلاءٍ حين التأملِ في نظرةِ أصحابِ هــذا الاتجـاهِ للحـضارة الإسلامية،حيث ينظرون إليها نظرةً سوداوية تتمثَّل في احتقارها،ورميها

بالجمود والتخلف،وا لظلامية، والوحشية،ومصادمة الإنسانية،وأَنَّها كانتْ أغلالاً وقيــوداً ثقيلةً قيدتْ حركةَ الإنسانيةِ عنْ الانطلاقِ في ميادينِ العلمِ والمعرفةِ!!!

يقول محمد المحمود:"أدرك رواد التنوير العربي أن المسلمين لم يخرجوا – بعــد – مــن قرونهم الوسطى التي تمتد لما يناهز العشرة قرون، وأن عصور الظلام الإسلامية لم تكن أحسن حالا – بمعيار الوعي الكلي – من عصور أوروبا المظلمة ذات النفس الكنسي.

الحالة العربية خصوصا، والإسلامية عموما، حالة ظلامية؛ فيما هي عليه الآن. أي أنها تستدعي التنوير بظلاميتها الراهنة. وكلما تكشف الواقع عن روح ظلامية رجعيــة؛ كلما كان إحساس الفاعل التنويري بأهمية دوره التاريخي إحساسا عميقا؛ يــدعوه إلى (الجهاد) في سبيل التنوير، حتى النفس الأخير"[(١)].

ويقول أيضاً:" **تاريخنا–كمسلمين،وعرب على نحو أخص–منذ كان وإلى اليوم،لم يحضر الإنسان فيه كقيمة أولية،إلا في استثناءات قليلة ونادرة،استثناءات تؤكد مجمل السياق ولا تنفيه.الاعتبار كان يقام لكل شيء،حتى الحجر،بينما يأتي الإنسان في الهامش الأخير من جدول الأعمال لأمتنا الخالدة!. نفتخر بالفتوحات، ونحــن إلى الغــزو، ونــتغنى**

---

(١)–في مقالٍ لَهُ بعنوان(التنوير٠٠صراعٌ ضد التخلفِ)،نُشِرَ في جريدةِ الرياضِ بتاريخ:١٣ربيع الآخرِ ١٤٢٧هـ–١١مايو ٢٠٠٦م–العدد(١٣٨٣٥)٠

بإجهاض العقلانية الناهضة، ونبكي على عهد الرقيق والجواري والقيـــان، ونـــشرعن لاسترقاق الإنسان بلا حياء، وبلا عقل أيضا!"[١]٠

إنَّ هذه النظرةَ هي بعينها نظرةُ المستشرقينَ لحضارتنا الإسلاميةِ،ولا عجبَ حينما نعلم أَنَّ أَهمَ المصادرِ التي يرجعُ إليها أصحاب هذا الاتجاه،ويستقونَ منها معلوماتِهم هو ما سطَّرهُ المستشرقونَ في كتبهم منْ تزويرٍ وتشويهٍ للحضارةِ الإسلاميةِ التي كانتْ هي اليد الطـــولى فيما وصلتْ إليهِ الحضارةُ الغربيةُ منْ تقدمٍ وإزدهارٍ في الجانبِ الماديِّ فقط[٢]٠

كما أَنَّ تأثرهم بالمناهج الاستشراقيةِ،يبرزُ في تبنيهم منهجِ التشكيكِ،وطرحِ الافتراضـــاتِ التي لا رصيدَ لها ولا وزنَ في الجانبِ العلميِّ والتاريخيِّ،وهذا المنهجُ في حقيقته وجـــوهره هو القاسم المشترك في مناهج المستشرقين[٣]،والَّذِي يُلقِي بصاحبهِ في ظلماتِ الزندقـــةِ–عياذاً باللهِ–.

يقول يوسف أبا الخيل:"لذا لا بد للإنسان–ولا يتأتى ذلك له للأسف غالباً إلا في العيش في جو ثقافي فلسفي – **أن يشك ولو مرة واحدة٠٠٠شك يعطي دفعاً للـــشاك أن لا يتحمس أو يتمعر وجهه أو تنتفخ أوداجه عندما يتعايش مع من يخالفه توجهاته ،إذ أن هذا الشك يتيح لذلك الإنسان الشاك استحضار تساؤلات من قبيل : ولماذا لا تكون وجهة نظر فلان هي الصواب؟ أو لماذا لا تكون تلك الرؤيـــة أو ذلـــك التأويـــل أو التفسير أو التخريج لذلك الفرد أو الجماعة أو الفرقة تحمل على الأقـــل شـــيئاً مـــن الصحة في باطنها؟ ولماذا مثلاً لا تكون الرؤية التي أحملها أو تلك التي حُمِّلتها ليـــست**

---

(٢)–في مقالٍ له بعنوان(نحن.. والإنسان)،نُشِرَ في جريدة الرياض،بتاريخ: الخميس ٤ ربيع الآخر ١٤٢٦هـــ – ١٢ مايو ٢٠٠٥م – العدد (١٣٤٧١)٠

(٣)–انظر:"رسالة في الطريق إلى ثقافتنا": (ص/٥٩–٦١)للشيخ محمود شاكر٠

(١)–انظر:"مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية": (١/١٣٠–١٣٢)لمجموعة باحثين٠

(٢)–في مقالٍ له بعنوان:(لنشك حتى لا نقع في شر قطعياتنا)،نُشِرَ في جريدة الرياض،بتاريخ:الأحد ١٩صفر–١٤٢٧هـــ.

قاطعة ويشوبها الشك وعدم اليقين؟ في مثل ذلك الجو الثقافي المشبع والمربى على نسبية الحقيقة – النظرية على الأقل – لا يملك الإنسان إلا أن يكون متسامحاً مع غيره لأنه لا يحمل اليقين على قطعية ما تناهى إليه نظره وما برمجته عليه ثقافته طوال عمره"[2].

يقول عبدالله بن بجاد العتيبي:"إذاً فلا بد كمنطلق لعملية التنوير والإصـــلاح **أن يـــدخل الشك في آلية العقل العربي الإسلامي الحالي أن يشك في قضية جوهرية وهي"هل هـــو قادر على العمل الآن؟هل آلياته ومناهجه ومنظومته المعرفية صالحة للتعامل مع الـــزمن الراهن**"[1].

أمَّا الاتجاهات الإلحادية :فظهر تأثيرها من حيث توبة كثير من اليساريين والشيوعيين الذين سَمَّوا أنفسهم بالإسلاميين زوراً وبهتاناً،وظهرت لهم كتابات مثل:(شيوعية الإســـلام)و(الإسلام الثوري) ،وكذلك نزعة تقديس العقل والمحسوسات،وإنكار كثير من الغيبيـــات مثل الملائكة والجن وتأويل بعض الأخبار الغيبية بما يتوافق مع المحـــسوسات المـــشاهدة في أصلها نزعة الملاحدة الماديين أصحاب المدارس الوضعية.

٤. أسباب انتشار هذا الفكر والافتتان به :

أولاً:اتباع الهوى:فإنَّ الهوى يعمي ويصم ،وعند غلبة الهوى لا ينفع العلم ولا المعرفة، بل إن صاحب الهوى يستخدم العلم والمعرفة لتأييد ما يهواه ويُسوِّغُ انحرافه ، وهذا ظاهر في كتابات هؤلاء حيث يفرقون بين المتماثلات، وتظهر في كتابـــاتهم الخيانـــات العلميـــة ، والتناقضات حتى في أفكارهم وأطروحاتهم ، ومصادمة العقل والفطرة وكلها نتاج لاتباع الهوى،ولهذا ماذا يمكن أن نسمي:بتر النصوص، وإخراجها عن سياقها ومن ثم الطعـــن في صاحب المقال أو القدح في الفكرة؟!وماذا نسمي الهجوم على رموز الإســـلام ومناراتـــهِ الشامخةِ، والإشادة برموز البدعة والانحراف بل رموز الكفر والإلحاد[2]؟

---

(١)–جريدة الوطن،عدد:١٧٢٧،بتاريخ٢٠٠٥/٦/٢٢ .

(٢)–سيأتي بيان هذا بالتفصيل في المباحث القادمة بإذن الله تعالى.

وصدق الله العظيم إذ يقول:{وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ }[الأنعام:١١٩]٠

ثانياً:الانبهار بالحضارة الغربية :وما يعبر عنه بالصدمة الحضارية،وهي نتيجة لواقع المسلمين المؤلم من التخلف التقني والعلمي التجريبي،وهيمنة الحضارة الغربية في جانبها المادي،وهؤلاء لم يرفعوا رأساً بالجانب الحضاري في تشريعات الإسلام التي لم يصل إليها الغرب ولن يصلوا إليها في تشريعاته وحفظه لحقوق الإنسان وحفظ كرامته وتوازنه بين حقوق الفرد والجماعة،وعظمة تشريعاته المعجزة التي تصلح لكل زمان ومكان،وحتى لا نغرق في الواقع المؤلم فإن المؤشرات الحالية واستشراف المستقبل تبين أن المسلمين في طريق النهوض الحضاري وأنهم بدأوا في امتلاك كثير من أدوات التقنية والعلم.

وجديرٌ بالذِّكر هاهنا أَنْ نَذْكُرَ كلمةً لإبراهيم البليهي،تُبرزُ ما تنطوي عليهِ نفوسُ القومِ من انبهارٍ رهيبٍ ببريق الحضارةِ الغربيةِ الزَّائفةِ،وما تُكِنُّهُ ضمائرهم منْ احتقارٍ شديدٍ لواقعٍ المسلمينَ وحياتِهم المعاصرةِ في الجانب الماديِّ،ولنتأَمَّلْ الآنَ الحوارَ الَّذي دارَ بينَ البليهي وتركي الدخيل:

"تركي الدخيل: خلّينا نبسّط للمشاهد أستاذ إبراهيم البليهي: ماذا تقصد بالتخلف؟

إبراهيم البليهي: أولاً: **أنا أعترض على كلمة التخلّف لأن التخلّف يعطينا شيئاً من التقدم، يعني المتخلّف**..

تركي الدخيل: نصف.. ثلاث أرباع أطروحاتك فيها، حتى الكلمة التي تعترض عليها..

إبراهيم البليهي: إي نعم التخلف.. نعم..

تركي الدخيل: مؤلف كتاب اسمه: "بنية التخلف"، شلون تعترض عليها؟

إبراهيم البليهي: **لأننا درجنا على أن نصف هذا الوضع بالتخلّف، لكن الأصل أننا نحن متقهقرون ولسنا متخلّفين فقط**..

تركي الدخيل: تنازلت عن اللفظة اللي كنت تستخدمها أصلاً..

إبراهيم البليهي: من الأصل أنا متنازل.

تركي الدخيل: طيب شلون كتبت "بنية التخلف"؟

إبراهيم البليهي: أنا استعملته، أنا استعملت هذا اللفظ لأنه هو المستعمل..

تركي الدخيل: تنزّلاً.. تدرّجاً يعني مع المخالف.

إبراهيم البليهي: نعم هو المستعمل، يعني هو اللفظ المستعمل، **يعني المتخلف عنـــدما يكون هناك سباق، المتخلّف هو الذي لم يلحق، لكنه يركض وراءهم بس نحـــن لم نبدأ أصلاً في الركض.**

تركي الدخيل: هذا يعني، هذا ينقض الفكرة اللي قلتها لي بالجزء الأول من البرنامج، إنّو في النهاية أنا يجب أن أضيف إلى المتلقّي شيئاً جديداً، ليش ما أضفت لفظة التقهقر وتخلّيت عن استخدام اللفظة الشائعة اللي هي التخلف؟

إبراهيم البليهي: أنا شرحاً أضيفها له، بس استخدام العناوين لأن هـــو الاســـتعمال الشائع هو كلمة التخلّف، **لكن التخلف أنا أعتقد أنه لا نستحقه، يعني نستحق أن يقال: الواقفون أو المتقهقرون أو شيء من هذا النوع.**

تركي الدخيل: التخلّف أسوأ من التقهقر؟

إبراهيم البليهي: لا التخلّف أحسن.. لا لا التخلّف أحسن..

تركي الدخيل: يعني حتى التخلّف ما وصلنا له يعني؟

إبراهيم البليهي: **ما وصلنا لمرحلة التخلّف، أنا أعتبر أن التخلّف مرحلـــة متقدمـــة قياساً بما عليه العرب والمسلمون..**

تركي الدخيل: كيف؟

إبراهيم البليهي: لأننا لم نبدأ، يعني المتخلف هو الذي يركض خلـــف الـــسابقين ولم يستطع أن يلحق بهم لكنه يركض، نحن لم نبدأ في الركض أصلاً لم نبدأ مـــن نقطـــة البداية يعني لا زلنا لا نؤمن بضرورة الركض خلفهم.

تركي الدخيل: جالسين يعني؟

إبراهيم البليهي: لا نتقهقر، الواقع لسنا جالسين فقط"[1].

ثالثاً:الهزيمة النفسية : والضعف والانكسار أمام الهجمات المتتالية ، من قبل المستـــشرقين وتلاميذهم الذي كتبوا وألفوا في الطعن في الإسلام وتشريعاته وقدموا صورة مزيفة عـــن

---

(١)–انظر:"موقع قناة العربية"–برنامج إضاءات–بتاريخ:٢٠٠٥/٤/٦م.

الإسلام الحقيقي الذي أنزله رب العالمين ، وقد ظهر ذلك جلياً في موقفهم من قضية الحدود ، والجهاد ، والولاء والبراء ، والموقف من القوانين الوضعية .

وصدق الله إذ يقول :{ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }[آل عمران:١٣٩].

رابعاً:الضعف العلمي : وحين يقل العلم و يتلقف هذه الشبهات قليلو البضاعة في العلم فإنه بالتأكيد ستمرر عليهم الشبهات والتلبيس والتدليس الحاصل الآن بدعاوى مختلفة كحرية النقد ، أو الموضوعية ، أو اختزال فهم النص ، أو التقليد دون إعمال العقل ، وهي في الحقيقة– لمن رزقه الله العلم النافع– دعاوى ساقطة مرذولة؛لأنَّها:

أولاً : تخالف أصول الشريعة وضروراتها كحفظ الدين،فعلى سبيل المثال يُطلبُ منا اليوم السماح بترويج الإلحاد ونشر باطلهم بحجة الرأي والرأي الآخر وتُلغى هذه الضرورة المهمة التي هي محل إجماع.

وثانياً: أنَّ ما يطرحه علماء الإسلام ودعاته يتوافق مع النصوص ولا يعارض ما يدعون إليه من الموضوعية والشمولية وعدم إقصاء الآخر ،ونحوها من العبارات المطاطة التي تحتمل معان متعددة منها الحق ومنها الباطل .

خامساً:العوامل الشخصية :لاشك أن شخصية الكاتب والملقي والمفكر لها تأثير على ما يطرحه من نتاج ثقافي،وهذا في الحدود الطبيعية لا يؤثر في الطرح العلمي كثيراً ، أما إذا أصبحت هناك مشكلة في نفسية وشخصية الكاتب فهنا يحدث الانحراف والتطرف والغلو أو التفريط والتساهل في تقرير القضية العلمية،وكثيرٌ من يُنَظِّرون لهذا الفكر تجد أن لديهم مشاكل شخصية ونفسية؛ فعدد لا يستهان به من رواد هذا الفكر ومنظريه كانوا في ماضيهم أصحاب أفكار غالية ومتطرفة وحدثت لهم ردة فعل فأصبحوا أقرب إلى دعاة العلمنة والتحلل وجميع هذه الأفكار–وللأسف– تصاغ باسم الإسلام .

سادساً:الدعم الغربي لهذا التيار :وهذا أمر حقيقي قطعي، فليس هو من قبيل الظن أو التوقع أو التخمين،وإنَّك واجدٌ هذه الحقيقة فيما سَجَّلتهُ التقارير الغربية التي صدرتْ

مؤخراً عن بعضِ المراكز البحثية التخصصية في الولايات المتحدة الأمريكية من الحث على دعم هذا التيار الذي يسمى بـــ(الإسلام الليبرالي)زوراً وبُهتاناً،ومنها:

١-تقريرُ جون بي آلترمان (Jon B. Alterman)مدير برنامج الشرق الأوسط في معهد الدراسات الدولية والاستراتيجية الأمريكي (Center for Strategic and International Studies):

حيث كتب جون بي آلترمان **مقالاً تحت هذا العنوان تحدث فيه عن تنامي الدعم الغربي لليبراليين العرب**[1]**.**

٢-تقريرُ مؤسسةِ(راند)الأمريكيةِ[2]:

حيث نشرت مؤسسة (راند) الأميركية تقريراً استراتيجيّاً بعنوان (الإسلام المدني الديمقراطي: الشركاء، والموارد، والإستراتيجيات) للباحثة في قسم الأمن القومي (شيرلي بينارد)،وقد نُشِرَ هذا التقريرُ بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١، وتحديداً في عام ٢٠٠٣م ، وفي ربيع عام ٢٠٠٤م قامت الباحثة نفسها بنشر ملخصٍ عنه.

وقد جاء في الفصل الثالث منْ هذا التقريرِ،وعنوانه: «إستراتيجية مقترحة»: توصيات عملية موجهة لصانع القرار الأميركي **لاستبعاد التيارات الإسلامية المعادية وتدعيم التيارات الإسلامية الأخرى، وخصوصاً ما يطلق عليه التقرير التيارات العلمانية والحداثية، ولأنها أقرب ما تكون إلى قبول القيم الأميركية وخاصة القيم الديمقراطية.**

وتُقرِّر(بينارد) منْ خلال هذا التقريرِ أنَّ الغرب يراقب بدقة الصراعات الإيديولوجية العنيفة داخل الفكر الإسلامي المعاصر،وتقول بالنص: «من الواضح أن الولايات المتحدة والعالم الصناعي الحديث والمجتمع الدولي ككل تفضل عالماً إسلامياً يتفق في توجهاته مع النظام العالمي، بأن يكون ديمقراطياً، وفاعلاً اقتصادياً، ومستقراً سياسياً، تقدمياً اجتماعياً، ويراعي ويطبق قواعد السلوك الدولي،وهم أيضاً يسعون إلى تلافي (صراع الحضارات) بكل

---

(١)-انظر:"مجلة البيان": العدد(٢١٩)ذو القعدة ١٤٢٦هـ.

(٢)-مؤسسة (راند):مؤسسة نشأت بصفتها مركزاً للبحوث الإستراتيجية لسلاح الجو الأميركي، ثم تحولت بعد ذلك إلى مركز عام للدراسات الإستراتيجية الشاملة، ويعدها المحللون السياسيون بمثابة «العقل الاستراتيجي الأميركي».انظر:"الإسلام الليبرالي":(ص/٩٣-١٠٥)للأستاذ محمد إبراهيم مبروك،و"مجلة البيان": العدد(٢١٩)ذو القعدة ١٤٢٦هـ.

تنويعاته الممكنة، والتحرر من عوامل عدم الاستقرار الداخلية الــتي تــدور في جنبــات المجتمعات الغربية ذاتها بين الأقليات الإسلامية والسكان الأصليين، في الغرب،وذلك تلافياً لتزايد نمو التيارات المتشددة عبر العالم الإسلامي،وما تؤدي إليه من عدم استقرار وأفعــال إرهابية»[1].

٣-تقرير صادر عَنْ مؤسسة كارنيجي للسلام العالمي-واشنطن،كتبه الخــبير والمحلــل السياسي بالمؤسسة: عمر حمزاوي:

بدأ عدد من مراكز الأبحاث والمؤسسات السياسية الأمريكية، المهتمة بــشؤون الــشرق الأوسط، في الأيام القليلة الماضية نشاطاً لافتاً للنظر.فقد نظم معهد «المؤسسة الأمريكية» مؤتمراً حول الديمقراطية في العالم العربي، عنوانه «إلى المعارضين العرب: ارفعوا أصواتكم»، **ودعا إليه مجموعة من ممثلي التيارات الليبرالية لمناقشة دورهم في تحــولات أوطــانهم السياسية والاستراتيجية الأنجع للدعم الغربي لهم، وتلاه «معهد واشــنطن لدراســات الشرق الأدنى»، بعقد ورشة عمل حول مستقبل الليبرالية العربية،** في ضوء نجاحــات القوى الدينية في مجمل ما أجري من انتخابات في عام ٢٠٠٥، إن برلمانيــة في العــراق ومصر، أو بلدية في الأراضي الفلسطينية المحتلة. وتواكب ذلك مع سلسلة من النقاشــات حول نتائج الانتخابات العربية أجرتها المؤسسات الأمريكيــة العاملــة في مجــال نــشر الديمقراطية، مثل «الوقف الوطني للديمقراطية» و«المعهد الديمقراطي الــوطني» و«المعهــد الجمهوري الدولي»، بحضور ممثلين عن البيت الأبيض ووزارة الخارجية، غلــب عليهــا التوجس من الإسلاميين والقلق لضعف التيارات الليبرالية الواضح.

وعلى الرغم من أن الاهتمام الأمريكي الحكومي وغير الحكومي بالليبراليين العرب غــير جديد، إلا أن الأمر يبدو في اللحظة الراهنة وكأنه محاولة يائسة لدعم بديل سياسي أثبتت صناديق الاقتراع هشاشته الشديدة، والتمسك بقراءة غير واقعية لصيرورة السياسة العربية. ولذلك العديد من المسببات والدوافع. فمن جهة أولى، **يتحــدث الليبراليــون العــرب بخطاب يفهم الشريك الأمريكي مفرداته جيداً ويتوافق حــول مــضامينه الرئيــسية.**

---

(١)-انظر:"الإسلام الليبرالي": (ص/٩٣-١٠٥)للأستاذ محمد إبراهيم مبروك،و"مجلة البيان":العدد(٢١٩)ذو القعدة ١٤٢٦هــ.

التحول الديمقراطي، حقوق الإنسان، مشاركة المرأة، حقوق الأقليات؛ جميعها تمثل أهدافاً مشتركة للطرفين، تتطابق حولها رؤاهما بصورة شبه كاملة. في حين يثير حديث القوى الإسلامية، المازج في بعض الأحيان لتلك الأهداف بمفردات غامضة للخطاب الديني، من شاكلة الديمقراطية الإسلامية والمرجعية الإسلامية للنظام الديمقراطي، والمشدد في لحظات أخرى على توافق التحول الديمقراطي مع مبادئ ينظر لها في الغرب بريبة، مثل تطبيق الشريعة، مخاوف الأمريكيين من انعكاسات صعود الإسلاميين على أوضاع مجتمعاتهم، ويدفع إلى تصنيفهم كفصيل غير ديمقراطي،قد يستغل آلية الانتخابات للقفز على السلطة والاستئثار بها.ثانياً، يعمق المعلن من مواقف القوى الإسلامية تجاه إسرائيل، خاصة الإرهاصات العربية للخطاب النجادي (نسبة إلى الرئيس الإيراني أحمدي نجاد) النافي لشرعية وجود الدولة العبرية، من التحفظات الأمريكية ويرفع من أسهم أولئك في الولايات المتحدة الذين يقيسون مدى إيجابية إجراءات التحول الديمقراطي في عالمنا، استناداً إلى ضمانات الأمن الإسرائيلي.

لا يعدم، من جهة ثالثة، دفع الليبراليين بأن النظم السلطوية الحاكمة في الدول العربية قد همشتهم هم كتيارات سياسية، بينما سمحت للإسلاميين بالتواجد الكثيف في مجالات مجتمعية حيوية كالتعليم والإعلام والعمل الأهلي، وبأن نتائج انتخابات ٢٠٠٥، ما هي إلا تعبير مأساوي عن هذا الغبن الهيكلي، المؤيدين في واشنطن الذين يرون أن على الولايات المتحدة الأخذ بيد الليبراليين حتى يشتد عودهم، حتى إن عني ذلك الدفاع عن سياسات إقصائية تطول الإسلاميين. أخيراً، يعبر الاهتمام الحالي بالتيارات الليبرالية عن ميكانزم تعويضي تقتضيه توجهات إدارة الرئيس بوش التي تحظر على مراكز الأبحاث والمؤسسات الأمريكية المتلقية لدعم حكومي الاتصال بالقوى الإسلامية، وتضع العديد من القيود على دعوة ممثليها للولايات المتحدة. يلجأ عدد من المراكز والمؤسسات إزاء مثل هذا المنطق المنعي إلى رفع معدلات التواصل مع سياسيين ومثقفين ليبراليين بغية الاستئناس بشروحهم للظاهرة الإسلامية.

وإن صدق الاهتمام بالتحول الديمقراطي، هو إعادة تقييم التوجه نحو الإسلاميين والانفتاح المشروط عليهم، بصورة قد تدفع قواهم إلى مزيد من الاعتدال والبراجماتية.

لا يعني ذلك بأي حال من الأحوال تخلي الولايات المتحدة عن حلفائها من الليبراليين العرب أو إضفاء هالة من المثالية على قوى إسلامية يرد على فكرها وممارستها من المحاذير العديد، فقط البحث عن نقطة توازن واقعية جديدة في الإستراتيجية الأمريكية لنشر الديمقراطية عربياً بدونها تغيب الفعالية والمصداقية[1].

٤-تقرير صادرعن مجلس العلاقات الخارجية الأمريكية بتاريخ ٩ يونيو:

رَكَّزَ هذا التقرير على ضرورة أن يكون هدف أمريكا في الشرق الأوسط **تشجيع التطور الديموقراطي وليس الثورة، كما يجدر بصانعي السياسات أن يأخذوا بعين الاعتبار التنوع السياسي والاقتصاد في المنطقة. وذكر التقرير أن عملية التطور الديموقراطي بطيئة ومتدرجة ويجب أن تتم من خلال النظم السياسية الموجودة في الدولة العربية.**

وأشار التقرير إلى أن سياسة نشر الديموقراطية تؤدى الى بعض المخاطر ولكن حرمان الشعوب من الحرية ينطوي على مخاطر أكثر. **ونبه التقرير على أخذ الظروف الخاصة بكل دولة على حدة مع التأكيد على مبادئ أساسية مثل حقوق الإنسان وتقبل الآخر وسيادة القانون وحقوق النساء والأقليات وعدم ربط الإصلاح بالصراع العربي الإسرائيلي.**"[2].

كما أَنَّ هذا الدعمَ انتقلَ في الآونةِ الآخيرةِ من حيز التنظيرِ إلى دائرة التطبيق الفعلي باستضافة رموز هذا التيار في بعض القنوات المعروفة بتبعيتها الغربية صراحة مثل: قناة الحرة أو حالاً مثل قناة العربية،وقد استضافت قناة الحرة (خالد الغنامي وغيره)وأما قناة العربية فاستضافت عددا كبيراً من رموز هذا التيار وأبرزهم من خلال برامج متعددة ،وعلى رأسها برنامج إضاءات مثل:(خالص جلبي،وإبراهيم البليهي،وعبدالعزيز القاسم (المحامي)،ومنصور النقيدان،وعبدالله بن بجاد،ومشاري الذايدي،وخالد الغنامي) مع وجود مثقفين أكثر شهرة وأعمق ثقافة،وانتقاء هؤلاء له دلالاته التي لا تخفى .

---

(١)- انظر:المواقع الإلكترونية الآتية:"**www.carnegieendowment.org**" و"**www.swissinfo.org**".

(٢)-انظر:الموقع الإلكتروني:"**www.mengos.net**".

سابعاً:الانكباب على تراث المنحرفين الزائغين من أمثال الصوفيةِ الزنادقة والفلاسفة الملاحدة:

المتأمل في تاريخ هؤلاء الليبراليين،يلحظُ بجلاءٍ أنَّ انكبابَهم على تراث المنحرفين الزائغين من أمثال الصوفيةِ الزنادقة والفلاسفة الملاحدة-مع ضعف العلم والبصيرة-كان هو نقطة التحولِ الرهيبة في حياتِهم الفكرية،مثلما كان هو الشرارة النارية الأولى في تغير نسجيهم الثقافي،حيثُ يفعلُ ذلك التراثُ فعله الفظيع في النفس الإنسانية؛إذ يغرز فيها حُبَّ التفلتِ والتحررِ من أيِّ قيودٍ أو ضوابط شرعية،كما أنَّه يُعَمِّقُ فيها منهجَ الشَّكِ في كلِّ شيء حتى في قطعياتِ الدِّين وثوابته الراسخة[1].

(١)-للوقوفِ على التحولات الجذرية في حياة منصور النقيدان ومشاري الذايدي وعبدالله بن بجاد العتيبي،انظر-غير مأمور-مقالاً للكاتبة الإمريكية(اليزابيث روبين) بعنوان:(الجهادي الذي ظل يتساءل:لماذا؟)،نُشِرَ في مجلة(نيو يورك تايمز)بتاريخ:(٢٠٠٤/٣/٧).

الفصل الأول: معالم الفكرِ الليبراليِّ

الفصل الأول
معالم الفكرِ الليبراليِّ
المعلم الأول
الموقف من النص الشرعي

مضى في التمهيد من هذا الكتاب:بيان حقيقة هذا الفكر،وأسباب انتشاره في حياة المسلمين المعاصرة،ونأتي الآن-بعون الله-إلى كشف معالم هذا الفكر المنحرف في صورةٍ واضحةً بَيِّنةً،مع تسليط الضوء عليها؛؛لتكونَ أخي القارئ واعياً بِها،مُحيطاً بأطرافها-بإذن الله تعالى-:

منَ الْمُسلَّماتِ الشَّرعِيَّةِ أن النَّص الشرعي هو المرجع وهو الحاكم في حياة المسلمين،والعقل مصدر تابع له.

وقد تباينت مواقف هذه المدرسة المنحرفة التي تخالف أصول الإسلام من هذه القضية الكبرى وهي مرجعية الشريعة وتعظيم النصوص الشرعية،فحصل منهم تعدي وتهوين من شأن النصوص الشرعية؛لأنها هي العائق الكبير أمام مايطرحونه من أمور تخالف الشرع صراحة؛فعمدوا إلى موقف سيء من النصوص الشرعية يتجلى في القضايا الآتية:

١-**تقديس العقل في مقابل التهوين من شأن النصوص:**

وقبل الحديث عن موقفهم من النص الشرعي وتقديمهم العقل عليه لا بد من تجلية موقف الإسلام من العقل وأهل السنة تحديداً ، وأنهم هم أهل العقل والحكمة وليس كما يصمهم خصومهم بأنهم حرفيون ونصيون وعبدة نصوص وجامدون وغيرها من الألقاب التي —إن شاء الله —لن تغير من الواقع والحقيقة شيء فنقول :

أولاً:صُورُ تكريمِ الإسلامِ للعقلِ:

١-إشادة القرآن الكريم وثناؤه على من استعمل عقله،وذمه لمن عطَّله:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:"...مدح الله العلم والعقل والفقه ونحو ذلك في غير موضع وذمَّ عدم ذلك في مواضع"[(١)]،وفي كتاب الله آيات كثيرة تثني على من أعمل عقله،واستعمله فيما خُلق له،كما في مثل قوله تعالى:{وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا

---

(١)-"الاستقامة": (١٥٧/٢)لابن تيمية،

يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ }[العنكبوت:٤٣]،وفي مثل قوله تعالى:{يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ }[البقرة:٢٦٩]٠

٢-جعل الإسلام للعقل حدوداً لا يتعداها:

منْ المسَّلمِ به لدى العقلاء أنَّ العقل البشري هو كغيره من أعضاء الإنسان له طاقة محدودة واختصاص معين،ومنِ الخطأ والعبث أن يطالب بما فوق طاقته وأن يطالب كذلك بما هو خارج عن اختصاصه،فإذا حُمِّل فوق طاقته كان نصيبه العجز والهلاك،وإذا استعمل خارج نطاق اختصاصه حاد عن الصواب وكان نصيبه التخبط والانحراف٠

يقول السفاريني-رحمه الله-:"فإنَّ تسليط الفكر على ما هو خارج عن حده تعب بلا فائدة،ونصب من غير عائدة،وطمع في غير مطمع،وكد في غير منجع"[(١)]٠

ويقول الشاطبي-رحمه الله-:"إنَّ الله جعل للعقول في إدراكها حدًّا تنتهي إليه لا تتعداه،ولم يجعل لها سبيلاً إلى الإدراك في كلِّ المطلوب،ولو كانت كذلك لاستوت مع الباري-تعالى-في إدراك جميع ما كان وما يكون وما لا يكون،إذ لو كان كيف كان يكون؟،فمعلومات الله لا تتناهى،ومعلومات العبد متناهية،والمتناهي لا يساوي ما لا يتناهى"[(٢)]٠

وفي العصرِ الحديث يشهد بهذه الحقيقة أكابر أطباء وحكماء الغرب الدكتور(ألكسيس كاريل)،حيث يقول:"**وواقع الأمر أنَّ جهلنا مطبق،فأغلب الأسئلة التي يلقيها على أنفسهم أولئك الذين يدرسون الجنس البشري تظل بلا جواب؛لأنّ هناك مناطق غير محدودة في دنيانا الباطلة ما زالت غير معروفة**"[(٣)]،ويقول:"**إنَّنا ما زلنا بعيدين جداً عن معرفة ماهية العلاقات الموجودة بين الهيكل العظمي والعضلات والأعضاء ووجوه النشاط العقلي والروحي٠٠٠كيف نستطيع أن نحول دون تدهور الإنسان وانحطاطه في المدنية العصرية؟وهناك أسئلة أخرى لا عداد لها يمكن أن تلقى في موضوعات تعتبر**

---

(١)-"لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضية": (١٠٥/١)للسفاريني٠

(٢)-"الاعتصام": (٣١٨/٢)للشاطبي٠

(٣)-"الإنسان ذلك المجهول":(ص/١٧)للدكتور ألكسيس كاريل،تعريب:شفيق أسعد فريد٠،وانظر:"الثبات والشمول": (ص/٢٨٧-٢٨٨)للدكتور عابد بن محمد السفياني٠

على غاية الأهمية بالنسبة لنا،ولكنَّها ستظل جميعاً بلا جواب،فمن الواضح أَنَّ جميع ما حَقَّقه العلماء من تقدمٍ فيما يتعلق بدراسة الإنسان ما زال غير كافٍ،وأَنَّ معرفتنا بأنفسنا ما زالت بدائية في الغالب"[1].

٣-العقل أحد الضروريات الخمس التي جاءت الشريعة بحفظها:

جاءت الشريعة بحفظ العقل؛لأَنَّهُ أحد الضروريات الخمس التي لا بدَّ منها لقيام مصالح الدين والدنيا،وقد حفظت الشريعة جانب العقل من ناحيتين:

الناحية الأولى:من جانب الوجود وذلك بفعل ما به قيام العقل وثباته،ولَمَّا كانَ العلمُ النافعُ يزيدُ من قوة إدراك العقل،ويزيدُ من عمق تفكيره،جعل منه الإسلام ما يجب تعليمه على كُلِّ مكلفٍ،سواء كان ذكراً أو أنثى،وهذا العلم منه ما هو فرض عين لا يعذر أحد بجهله،ومنه ما يكون فرض كفاية[2].

الناحية الثانية:من جانب العدم،وذلك بحفظ العقل من كلِّ ما يؤثرُ فيه بشكلٍ سلبيٍّ،وهذا يتضح فيما يلي:

أ-حرَّم الإسلام الجناية على العقل بالضرب والترويع،وجعل الدية كاملة على من تسبَّبَ في إزالته،يقول ابن قدامة-رحمه الله-:"وفي ذهاب العقل الدية،لا نعلم في هذا خلافاً..."[3].

ب-النَّهي عن كُلِّ ما يؤثر على وظائفه ومن ذلك:تحريم شرب الخمر وكلِّ مسكر ومفتر، يقول القرطبيُّ-رحمه الله-:"إِنَّ السكر حرام في كُلِّ شريعةٍ؛لأَنَّ الشرائع مصالح العباد،لا مفاسدها،وأصل المصالح العقل كما أَنَّ أصلَ المفاسد ذهابه،فيجب المنع من كلِّ ما يذهبه أو يشوشه"[4].

---

(١)-"الإنسان ذلك المجهول":(ص/١٨-١٩)للدكتور ألكسيس كاريل،تعريب:شفيق أسعد فريد.

(٢)-انظر:"الاتجاه العقلاني لدي المفكرين الإسلاميين المعاصرين،للدكتور/سعد بن عيضه الزهراني،(١/٤٤-٤٦).

(٣)-"المغني":(١٢/٤٩٧)لابن قدامة.

(٤)-"الجامع لأحكام القرآن": (٦/٢٨٧)للقرطبي.

ج-ومنْ صور محافظة الإسلام على العقل،تحريم ما تنكره العقول وله تأثير عليها كالسحر الذي يُذهبُ العقل كُلياً أو جزئياً،فقد ثبت عنه صَلَّى الله عليه وسلَّمَ قولـــه:" «اجتنِبـــوا السَّبعَ الموبقات. قالوا: يا رسولَ اللهِ، وما هُنَّ ؟ قال: الشِّرْكُ باللهِ، والسِّحرُ..."[١].

وكذلك تحريم الكهانة والعرافة والتنجيم،فقد جاءت النصوص صريحة في النهي عن مثـــل هذه الأوهام والخرافات والاعتقادات الباطلة،ومنها قوله صلَّى الله عليه وسلَّم:"«من أتـــى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم»[٢].

٤-العقل مناط التكليف:

من القواعد المعلومة في هذا الدِّين أَنَّ العقل مناط التكليف في الإنسان،وإذا زالَ العقل زال التكليف،فالتكليف يدور مع العقل وجوداً وعَدَماً،ومن هنا يتبين أهمية العقل ومكانتـــه في الإسلام إذ بالعقل الذي هو عمدة التكاليف يكون التفضيل لهذا الإنسان،كما بيَّنَ ذلـــك القرطبيُّ-رحمه الله-بقوله:" والصحيح الذي يعوّل عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف، وبه يُعرف الله ويُفهم كلامه، ويوصل إلى نعيمه وتصديق رسله؛ إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بُعثت الرسل وأنزلت الكتب. فمثال الشرع الشمس، ومثال العقل العين، فإذا فتحت وكانت ســليمة رأت الــشمس وأدركـــت تفاصـــيل الأشياء"[٣].

ويقول الشاطبي-رحمه الله-:"إنَّ مورد التكليف هو العقل وذلك ثابت قطعاً بالاســتقراء التام،حتى إذا فُقدَ ارتفع التكليف رأساً،وعُدَّ فاقده كالبهيمة المهملة"[٤].

---

(١)-أخرجـــه مـــسلم في"صـــحيحه"(كتـــاب الأشـــربة،باب أنَّ كـــل مـــسكر خمـــر وأن كـــل خمـــر حرام،١٣/١٤٤/رقم٥١٧٤).

(٢)-أخرجه أحمد في"مسنده": (١٦٤/٣)،وَصحَّحه الألباني في"إرواء الغليل":(٦٨/٧).

(٣)-"الجامع لأحكام القرآن":(٢٩٣/١٠).

(٤)-"الموافقات":(٢٧/٣)للشاطبي.

٥-العقل له دور فعَّال في قضية الاجتهاد:

من المعلوم أَنَّ استنباط الأحكام فيما لا يوجد فيه نصٌّ من كتاب أو سنة أو إجماع يرجعُ إلى الاجتهاد-الذي يقوم مداره على العقل-،حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاضًّاً عليه-عند فَقْدِ النَّصِّ-:"إذا حكمَ الحاكمُ فاجتهدَ ثم أصابَ فله أجران،وإذا حكمَ فاجتهدَ ثم أخطأ فله أجر»[1].

فجعلَ من اجتهاد العقل أساساً للحكم-لمن هو أهله-عند فقدان النَّصِّ،مع تثبيت الأجر عند الخطأ[2].

ثانياً:مكانةُ العقل في الإسلام: العقل نعمةٌ عظيمةٌ امتنَّ اللهُ بها على بني آدمَ،وميَّزهم بها على سائر المخلوقات،غيرَ أنَّ هذا التكريم لا يتحقق إلاَّ إذا كانَ العقل مهتدياً بوحي الله محكوماً بشرعِ الله،وبذلك ينجو صاحبه من الضلال والغواية،ويهتدي إلى الحق،كَمَا قالَ تعالى:{وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }[آل عمران:١٠١].

أَمَّا إذا كان العقل مقدماً على وحي الله،حاكماً على شرع الله،فقد ضلَّ صاحبه سواء السبيل[3]،كما قال تعالى:{فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }[القصص:٥٠].

ومن هنا وقفَ الإسلام موقفاً وسطاً تجاه العقل،فلم يتخذ مسلك الفلاسفة والمعتزلة الذين غلوا في تقديس العقل وجعلوه الأصل لعلومهم ومعارفهم،وسبيل الوصول إلى الحقائق،والحكم المقدم على النقل والشرائع.

---

(١)-أخرجه البخاري في"صحيحه"(كتاب الاعتصام بالسنة،باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد،٢٥٧/١٥،رقم٧١٨٧).

(٢)-انظر:"العقلانيون أفراخ المعتزلة العصريون": (ص/٢٩-٣٠)لعلي بن حسن عبدالحميد.

(٣)-انظر:"الاتجاه العقلاني لدي المفكرين الإسلاميين المعاصرين":(٢٦/١).

ومن الأمثلة التي توضح مسلك الغلاة في العقل،ومدى خطورته،ما ذكر عمرو بن عبيد[1]عن حديث عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-:"إنَّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه..."،الحديث،قال:"لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبته،ولو سمعت زيد بن وهب يقول هذا ما أجبته،ولو سمعت عبد الله بن مسعود يقول هذا ما قبلته،ولو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا لرددته،ولو سمعت الله يقول هذا لقلت له ليس على هذا أخذت ميثاقنا"[2].

كما أَنَّ الإسلام لم يتخذ مسلك الصوفية والرافضة الذين ذموا العقل وعطلوه واعتقدوا ما لا يُقبلُ ولا يُعقلُ من الحماقات والخرافات.

ومن الأمثلة التي توضح مدى استخفاف الجفاة في هذا الباب،ما قاله مؤلف جواهر المعاني عن التجاني الصوفي أنه قال:"من حصل له النظر فينا يوم الجمعة أو الاثنين يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب،إن لم يصدر منه سب في جانبنا ولا بغض ولا أذية..."[3].

والرافضة لهم النصيب الأوفى والقدح المعلى في مثل هذه الخرافات والحماقات،يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-في بيان ذلك:"ومن حماقاتهم تمثيلهم لمن يبغضونه بالجماد أو الحيوان،ثم يفعلون بذلك الجماد والحيوان ما يرونه عقوبة لمن يبغضونه مثل اتخاذهم نعجة-وقد تكون نعجة حمراء لكون عائشة تُسمَّى الحميراء-يجعلونها عائشة ويعذبونها بنتف شعرها وغير ذلك،ويرون أن ذلك عقوبة لعائشة،ومثل اتخاذهم حلساً[4]مملوءاً سمناً ثم يبعجون[5]بطنه فيخرج السمن فيشربونه،ويقولونَ:هذا مثل ضرب عمر وشرب دمه.ومثل

---

(١)-عمرو بن عبيد بن كيسان التميمي القدري كبير المعتزلة،وأولهم.مات سنة١٤٣هـ.انظر ترجمته في"ميزان الاعتدال":(٢٧٣/٣-٢٨٠)،و"سير أعلام النبلاء":(١٠٤/٦)كلاهما للذهبي،و"تهذيب التهذيب":(٧٠/٨)لابن حجر.

(٢)-"تاريخ بغداد":(١٧٢/١٢)للخطيب البغدادي،و"ميزان الاعتدال":(٢٧٨/٣).

(٣)-"التجانية":(ص/٢٣٨)للدكتور علي بن محمد الدخيل.

(٤)-الْحِلْسُ:كُلُّ شَيْءٍ وَلِيَ ظَهْرَ البعير والدَّابةِ تحتَ الرَّحْلِ والقَتَبِ والسَّرْجِ،وهي بمنزلةِ الْمِرْشَحَةِ تكونُ تحتَ اللِّبْدِ.انظر:"لسان العرب":(٥٤/٦).

(٥)-بَعَجَهُ،كَمَنَعَهُ:شَقَّهُ.انظر:"القاموس المحيط":(ص/٢٣١)للفيروزآبادي.

تسمية بعضهم لِحِمَارَيْنِ من حُمُر الرَّحا أحدهما بأبي بكر والآخــر بعمــر،ثُمَّ يعــاقبون الحمارين،جعلاً منهم تلك العقوبة عقوبةً لأبي بكر وعمر"[١].

إنَّ الإسلامَ كمنهجٍ رباني أَنزله اللطيف الخبير-جلَّ وعلا-اتخذ مسلكاً وسطاً تجاهَ العقــلِ حيثُ عَرف للعقلِ قدره؛فَوضَعَهُ في مكانهِ اللائق به بلا إفراطٍ ولا تفريط،وإليكَ كلامــاً نفيساً-يكتب —بحقٍ- بمدادٍ من ذهبٍ على صفحاتٍ من نور-لشيخ الإسلام ابن تيميــة يُوضِّحُ فيه حقيقةَ تلك المسالك المنحرفة تجاه العقلِ،مع بيان المنهج الوسطي(المنهج الحــقِّ) في هذه القضيةِ،يقول-رحمه الله-:"**ولما أعرض كثير من أربــاب الكــلام والحــروف. وأرباب العمل والصوت، عن القرآن والإيمان : تجدهم في العقل على طريق كثير مــن المتكلمة، يجعلون العقل وحده أصل علمهم، ويفردونه، ويجعلون الإيمان والقرآن تابعين له.**

والمعقولات عندهم هي الأصول الكلية الأولية، المستغنية بنفسها عن الإيمان والقرآن.

وكثير من المتصوفة يذمون العقل ويعيبونه، ويرون أن الأحوال العاليــة، والمقامــات الرفيعة، لا تحصل إلا مع عدمه، ويقرون من الأمور بما يكذب به صريح العقل.

ويمدحون السكر والجنون والوله، وأموراً من المعارف والأحوال التي لا تكون إلا مــع زوال العقل والتمييز، كما يصدقون بأمور يعلم بالعقل الصريح بطلانها، ممن لم يعلــم صدقه، وكلا الطرفين مذموم.

بل العقل شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل؛ لكنه ليس مستقلاً بذلك؛ لكنه غريزة في النفس، وقوة فيها، بمترلة قوة البصر الــتي في العين؛فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن،كان كنور العين إذا اتصل به نــور الــشمس والنار.

وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها،وإن عزل بالكلية:كانت الأقوال،والأفعال مع عدمه:أموراً حيوانية،قد يكون فيها محبة،ووجد،وذوق،كما قــد يحصل للبهيمة.

فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة.

---

(١)-انظر:"منهاج السنة":(٤٩/١)لابن تيمية.

والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه. لم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه، لكن المسرفون فيه قضوا بوجوب أشياء وجوازها، وامتناعها لحجج عقلية بزعمهم اعتقدوها حقاً، وهي باطل، وعارضوا بها النبوات وما جاءت به، والمعرضون عنه صدقوا بأشياء باطلة،ودخلوا في أحوال، وأعمال فاسدة، وخرجوا عن التمييز الذي فضل الله به بني آدم على غيرهم"[1].

هكذا وقفَ الإسلامُ مُتَمَثِّلاً في منهج أهل السنة والجماعة موقفاً متميزاً تجاهِ العقلِ،أَمَّا الليبراليون،فقد اتخذوا مسلك الفلاسفة والمعتزلةِ تجاه العقلِ،يظهر هذا بجلاءٍ من خلال الجوانب الآتية:

١-تقديس العقل في مقابل التهوين والتهكم من شأن النصوص.

أ-خالص جلبي يدعو إلى أَنْ يتجاوز العقلُ نطاقَ الثَّوابت الدينية،ويقفز عليها،يقول:"المواطن العربي اليوم محاصر في مثلثٍ من المحرَّمات،بين الدِّين والسياسة والجنس،كلُّ ضلعٍ فيه يمثل حاجزاً شاهقاً لا يستطيع أفضل حِصانٍ عربيٍّ رشيقٍ،أنْ يقفزَ إلاَّ بالقفزِ إلى الإعدامِ. ،فأمام حائط الدِّينِ يُطِّلُ مفهوم الرِّدةِ،وأمام جدار السياسة يبرزُ مصطلح الخيانةِ،وعند حافة الجنسِ تَشِّعُ كُلُّ ألوان الحرامِ والعيبِ،**فالعقلُ مُصادرٌ ومؤممٌ وملغي حتى إشعارٍ آخَرَ**"ثُمَّ يدعو إلى ثَوْرةٍ عقليةٍ:"**لا بُدَّ منْ تدريبِ عقولنا على النِّقاشِ والجدلِ،وذلكَ يفتحُ طُرُقاً عصبيةٍ رائدةٍ،فالعقل النَّقدي حي والعقل النَّقلي ميتٌ**"[2].

ب-وهاهو يوسف أبا الخيل يرى أَنَّ النصوص في الشريعة الإسلامية جاءت محدودة بطبيعتها باعتبار توقف الوحي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم،ومن هنا اقتصرت الشريعة بناءً على تلك النصوص على بيان الفروض والحدود،أما ما سوى ذلك فهو ميدان العقل والتدبير الإنساني،وقد استند أبا الخيل في رأيهِ هذا على كلامٍ لابنِ المقفعِ الفارسيِّ؟

وَهَاهُنا حَقيقٌ بكَ أَنْ تعجبَ أخي القارئ غايةَ العجبِ،أتدري لِمَ؟

---

(١)-"مجموع الفتاوى":(٣/٣٣٨-٣٣٩).

(٢)-جريدة الرياض،العدد(١٠٣٤٩)،بتاريخ: ٢٤/١٠/١٩٩٦م.

لأنَّ هّذا الرَّجلَ الَّذِي جعله أبا الخيل عُمْدَتَهُ فيما ذهبَ إليهِ منْ رأيٍ هُوَ رجــلٌ مُــتَّهمٌ بالزَّندقةِ[1].

يقول:"**وبما أن النصوص في الشرع الإسلامي محدودة بطبيعتها باعتبار توقف الــوحي بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، في مقابل تجدد النوازل وتغير الأحــوال بتجــدد الزمان وتطور الاجتماع، وهو أمر طبيعي إذ لو أن الشرع على رأي ابن المقفع لم يغادر حرفاً من الأحكام والأوامر والنواهي وجميع ما هو حادث في الناس منذ مبعث الــنبي صلى الله عليه وسلم إلى يوم يلقونه إلا جاء فيه بحكم معين لكان الناس قد كلفوا ما لا يطيقونه فضاق عليهم أمرهم وأتاهم ما لم تتسع له أفهامهم ولا قلوبهم ولحارت عقولهم وألبابهم التي امتن الله بها عليهم ولكانت تلك العقول لغواً لا يحتاجون إليها في شــيء، ولذلك فمن لطف الله بعباده أن اقتصرت الشريعة على بيان الفــروض والحــدود،أما ماسوى ذلك فهو من ميدان العقل والتدبير الإنساني**"[2].

وهاهو إبراهيم البليهي يجعل العقل الناقد هو الحكم على رؤى الإنــسان ومواقفــه وسلوكه،يقول:"**أما المفتاح الوحيد الذي يعيد للفرد ذاته فهو امتلاك العقل الناقد الذي يتيح للفرد أن يراجع محتويات ذهنه ويعيد فحص عاداته وطريقة تفكيره فيبني وعيــه بنفسه ويتحمَّل مسؤولية تكوين رؤاه ومواقفه وسلوكه**"[3].

٢-تقديم المصلحة المتوهمة على النص:

هذا الموقفُ المنحرف متفرِّعٌ عمَّا سبقَ من غلوهم في جانب العقلِ على حساب النقــلِ-عياذاً بالله-،حيث اعتقدوا أَنَّ العقل لهُ الصلاحيةُ الكاملة،والأهلية التامــة في أنْ يــستقل بإدراك المصالح والمفاسد بعيداً عن نور الوحي،وهذا بلا ريبٍ مصادمٌ للحق والحقيقةِ؛إذْ إنَّ العقلَ-كما ذكرنا آنفاً-تابعٌ للشرعِ وخاضعٌ تحت حكمه،فلا يجوزُ له حينئذٍ أن يتخطــى

---

(١)-انظر:"سير أعلام النبلاء":(٦/٢٠٩)،و"البداية النهاية": (٥/٩٦)لابن كثير،و"الوافي بالوفيات":(٦/١١).

(٢)-في مقالٍ له بعنوان(العلاقة بين الديني والمدني عند ابن المقفع)،نُشِرَ في(جريدة الرياض:الخميس ٢٤ رمضان ١٤٢٦هـــ - ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٥م - العدد ١٣٦٣٩)٠

(٣)-في مقالٍ له بعنوان(التباس مفهوم الثقافة)،نُشِرَ في(جريدة الرياض:الأحد غرة ذي الحجة ١٤٢٦هـــ - ١ يناير ٢٠٠٦م - العدد ١٣٧٠٥)٠

ما حدَّهُ الشرعُ زاعماً أنهُ إنَّما يتبع المصلحة ويريد الإحسان والتوفيق،بل الحكـــم الأول والأخير للشريعة.

ومعلوم أن العلماء جعلوا المصالح على أنواع منها مصالح معتبرة يؤخذ بِها وهي مـــا دل الدليل على اعتبارها وجوازها وحليتها ودعا إليها ، ومصالح ملغاة لا اعتبار ولا ميزان لها وهي ما جاء النص صراحة بإلغائها كما حرم الخمر مع اشتماله على بعض المصالح وهي مصالح ملغاة بنص الشارع الحكيم ، وأصحاب هذه المدرسة يصرحون -كما سوف يأتي —باعتبار المصالح الملغاة ويضربون بالنصوص الشرعية التي جاءت مصادمة لهذه المـــصالح عرض الحائط،فيصبح الدين تبعاً للهوى وما تمليه الشهوات والأهواء لا عبوديـــة لـــرب الأرض والسماء.

"ولقد زعمت طوائف كثيرة من البشر بأنَّ العقل-الذي لا يخضع لحكم الشرع-يمكن أنْ يُعَرِّفها بمصالحها فماذا صنعت؟

أ-كان أهل الجاهلية الأولى يرونَ أَنَّ المصلحة في وأد البنات!!!

ب-كان أهل الجاهلية يرون حرمان الإناث من الإرث،ومثلهم في ذلك أهـــل الجاهليـــة الحديثة حيث ظلَّ القانون الإنجليزي يحرم الإناث من الإرث قرابة عشرة قرون!!!

ج-قانون الجاهلية الأولى يرى المصلحة في أَنَّ المدين إذا لم يستطع أن يدفع لدائنه فعليه أن يدفع مقابل الأجل فوائد حتى يقضي أو يُقضى عليه،وأَمَّا القانون الرُّومـــاني فهـــو أشـــد جاهلية،فإنَّه يجيز للدائن أن يسترق مدينه إذا لم يستطع أن يقضي دينه،وإذا كـــان هنـــاك أكثر من دائنٍ و لم يجدوا من يرغب في شراء المدين فإنَّ لهم الحقَّ-بموجـــب القـــانون-أن يقتسموا جثته!!!

د-أعطى القانون الأمريكي الحقَّ للموصي أن يُوصي بكامل ثروته لخليلته-فإنهم يتخذون الأخدان-ويرى أنَّ المصلحة في إعطاء الخليل وخليلته الحرية لأنَّ ذلك لا مفسدة فيه"[١]!!!

هكذا يصنع العقل بصاحبِهِ إذا جعله هو الحاكم المقدَّم،وأعطاه كامـــل الـــصلاحية في أنْ يستقل بإدراك المصالح والمفاسد بعيداً عن نور الوحي.

---

(١)-انظر:"الثبات والشمول":(ص/٤٨٢-٤٢٩) للشيخ/عابد السفياني.

ثم إنَّ هاهنا أمراً مهماً للغايةِ،وهو أَنَّ تقديم المصلحة المدعاة على النصوص الشرعية فيه جهلٌ فاضحٌ بحقيقة ما تنطوي عليه النصوص،وسوء ظنٍّ بِها،حيثُ إنَّ الشارع كما جاء بمصالح العباد،جاء بالطريق الذي يدلنا على ذلك،فجعل النصوص محققة للمصلحة ابتداء،وذلك لأنَّها هي رحمة للعالمين،فإنَّ القرآن هدى ورحمة،فلو لم تحقق نصوصه المصلحة،فكيف يكون هدى ورحمة؟!

وكذلك الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم رحمة للعالمين فلو لم تكن أحاديثه تحقق المصلحة والرحمة،فكيف يكون هو رحمة للعالمين؟!

فالمصالح إذاً جاءت بِها الشريعة،والطريق للتعرف عليها جاءت ببيانه الشريعة أيضاً،ألم يبين الله لنا أنَّ كتابه هو الصراط المستقيم،وأَنَّ سنَّة نبيه صلَّى الله عليه وسلَّمَ هي البيان له،وأَنَّ من اتبع هذا النَّبِيَّ عليه الصلاة والسلام هُدِي إلى ذلك الصراط المستقيم.

أفلا يقتضي هذا اتباع نصوصه ورفض الأهواء وعدم تحكيم العقول المخالفة لمقتضى تلك النصوص.

أفلا يكفي كل ذلك للقطع بأَنَّ الهدى والخير والمصلحة والرَّحمة في اتباع هذه النصوص،فكيف تنكص أقلام هؤلاء الكُتَّاب على أعقابِها ثُمَّ يقولون إنَّ المصلحة تقدم على النص،أو لم يكفهم إقرارهم أنَّ الشريعة جاءت لإقامة المصالح وأَنَّها هدى ورحمة،فكيف يطلبون مصلحة فيما يُخالفها[1]؟!

ولنا أن نأتي بمثال تطبيقي نرد به على القائلين بتقديم المصلحة على النص،وهو موقف عمر من أبي بكر-رضي الله عنهما-في إنفاذ جيش أسامة-رضي الله عنه-حيث تظهر فيه مقابلة المجتهد النص بالمصلحة التي يحسبها شرعية..ولننظر أيقبل ذلك منه أم لا؟

لقد طلب المسلمون-كما جاء ذلك في كتب التاريخ والسِّيَر- ومنهم الفاروق-رضي الله عنه من الصديق -رضي الله عنه-إيقاف جيش أسامة-رضي الله عنه-الذي عقدَ لواءَ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ بنفسهِ قبل موته[2]؛نظراً لأنَّ المصلحة الراهنة كانت تقتضي

---

(١)-انظر:**"الثبات والشمول"**:(ص/٥٠٠-٥٠١).

(٢)-**"صحيح البخاري"**:(٧٥٨/٧-٧٥٩-مع الفتح).

ذلك،حيثُ عظم الخطب،واشتد الحال،وَنَجمَ النفاقُ بالمدينة،وارتد من ارتد من أحياء العرب حول المدينة،وامتنع آخرون من أداء الزكاة إلى الصديق،ولم يبق للجمعة مقام في بلدٍ سوى مكة والمدينة...تقولُ أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها-في تصوير هذا الموقف العصيب-:" لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب قاطبة واشرأب النفاق، والله لقد نزل بي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها، وصار أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كأنهم معزى مطيرة في حش في ليلة مطيرة بأرض مسبعة، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بخطلها وعنائها وفصلها..."[1].

ومع هذا الواقع المرير المحاط بالأخطار من كُلِّ جانبٍ،امتنع الصديق-رضي الله عنه- من ذلك،وأبى أشدَّ الإباء؛تمسكاً بالنصِ في مقابل المصلحة،وتنفيذاً لأمرِ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ،وفي ذلك قال-رضي الله عنه-كلمته الخالدة التي سجَّلها التاريخ في صفحات من نورٍ بمدادٍ من ذهب-:"والله لا أحل عقدةً عقدها رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ،ولو أَنَّ الطير تخطفنا،والسباع من حول المدينة،ولو أَنَّ الكلاب جرتْ بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزن جيش أسامة"[2].

ولنا أن نتساءل: ما قيمة هذا الإجراءِ الذي اتخذه الصديق-رضي الله عنه-،وهل جَرَّ على الأمةِ أيَّ نوعٍ من الويلاتِ والنكسات؟!

بالنظر إلى فلسفة الليبراليين القائمة على تقديم المصلحة القائمة على الهوى وحظوظ الدُّنيا على النص فإنَّ هذا الإجراء في حدِّ ذاتهِ يعدُّ نوعاً من السفه والتهورِ والجمودِ وعدم التلائم مع الواقع ومستجدات الحياة،ومنْ ثَمَّ فإنَّ فيه تضييعاً لمصالح الأمة!!!؛وعليه فإِنَّ الأمة ستكون في خطرٍ محدقٍ،وهلاكٍ مُحَتَّم،وستكون عُرضةً للضياع،ونُهْبَةً للأعداء.

أَمَّا أتباع الوحي وأنصار الرسالة(أهل السنة)،فإِنَّ نظرتهم تختلف اختلافاً جذرياً عن أولئك،فهم ينطلقون من منطلقاتٍ ربانيةٍ راسخةٍ لا تزعزها الرياح العاتية ولا تؤثر فيها-

---

(١)-"البداية والنهاية":(٣٠٤/٣).

(٢)-المرجع السابق.

بحول الله-الأعاصير المحرقة،لذا فإِنَّهم ينظرون لهذا الإجراء بكلِّ إجلالٍ وإكبار،ويرون فيه عين الحقِّ وقمة المصلحة،وهذا ما تمخضت عنه الأحداث،فكان ما فعله الصديق-رضي الله عنه-فيه المصلحة كُلُّها،وفيه الخير كُلُّه،حيث كان جيش أسامة-رضي الله عنه-لا يمر بحي من أحياء العرب إلاَّ أرعبوا منه،وقالوا:ما خرج هؤلاء من قوم إلاَّ وبهم منعة شديدة،فقاموا أربعين يوماً ويُقال سبعين يوماً،ثُمَّ أتوا سالمين غانمين[1].

ففي هذه القصة دليلٌ واضحٌ على أَنَّ المصلحة التي تعارض النص مردودة،حتى وإن ظَنَّ المجتهد أَنَّها مصلحة،وآية قبولها شهادة الشرع لها،فإذا لم يقبلها لم تُقبل،قال الشاطبي-رحمه الله-معُلِّقاً على القصة-:"وسألوه في ردِّ أسامة ليستعين به وبمن معه على قتال أهل الردة،**فأبى لصحة الدليل عنده بمنع ردِّ ما أنفذه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ**"[2].

---

(١)-**"البداية والنهاية":(٣/٣٠٨-٣٠٩)**.

(٢)-**"الموافقات":(٤/٢٢٥)للشاطبي**.

كما أَنَّ في القصةِ بياناً واضحاً لمنهج الصحابة-رضي الله عنهم-حيث لم يُـصِرّوا علـى موقفهم-بدعوى المصلحة المتوهمة-بل انقادوا للحق أتم الانقياد بعدما استبان لهـم ذلـك بواسطة الصديق-رضي الله عنه-،وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمـه الله-:" فَالصَّحَابَةُ فِي زَمَنِ أَبِي بَكْرٍ لَمْ يَكُونُوا يَتَنَازَعُونَ فِي مَسْأَلَةٍ إلَّا فَصَّلَهَا بَيْنَهُمْ أَبُـو بَكْـرٍ وَارْتَفَعَ النِّزَاعُ،فَلَا يُعْرَفُ بَيْنَهُمْ فِي زَمَانِهِ مَسْأَلَةٌ وَاحِدَةٌ تَنَازَعُوا فِيهَا إلَّا ارْتَفَعَ النِّزَاعُ بَيْنَهُمْ بِسَبَبِهِ كَتَنَازُعِهِمْ فِي وَفَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَدْفِنِهِ وَفِي مِيرَاثِهِ،**وَفِي تَجْهِيزِ جَـيْشِ أُسَامَةَ،وَقِتَالِ مَانِعِي الزَّكَاةِ،وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْمَسَائِلِ الْكِبَارِ،بَلْ كَانَ خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّـهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ يُعَلِّمُهُمْ وَيُقَوِّمُهُمْ،وَيُبَيِّنُ لَهُمْ مَا تَزُولُ مَعَهُ الشُّبْهَةُ**"[١].

وجديرٌ بالذِّكر هاهنا أَنْ يُقال:إنَّ باعثَ الصَّحابةِ-رضي الله عنهم-مِنْ وراءِ ذلكَ لَمْ يكنْ هو الهوى أو حظوظ الدُّنيا،كما هُوَ الشَّأنُ عند أصحاب الفكر الليبرالي،بلْ كانَ باعثـهُ الغيرة والخوف على المسلمين منْ أن تستأصل شأفتهم،وتُستباح بيضتهم؛فيغدون أَثَراً بعد عينٍ.

وقد نقلَ جَمعٌ من الأئمة كالغزالي[٢]،والشاطبي[٣]،الإجماع على ردِّ المصلحة إذا خالفـت النَّص الشَّرعي،وهذا المعنى الذي انعقد عليه الإجماع بدهي من بدهيات الإسلام؛لأَنَّ الله-جلَّ وعلا-هو الشَّارع،ولم يترك لأحدٍ من خلقه هذا الحق؛لأَنَّه سبحانه وهو الرحيم بهـم يعلم ابتداءً أَنَّ عقولهم-التي خلقها لهم-لا تُطيقه وأَنَّهم إنْ حَكَّموا العقل فستغلب عليـه الأهواء والمصالح وتنقلب البشرية إلى أحزابٍ متناحرةٍ،تتبع ما فيه هلاكها مـن المـذاهب والشرائع،وتعرض عما فيه نجاتها من الاستسلام لله وحده والخضوع لحكمه.

---

(١)-"الفتاوى الكبرى":(٤٨٨/٦)لابن تيمية.

(٢)-انظر:"المستصفى":(٢٨٤/١، ٣١٠-٣١١)للغزالي،

(٣)-انظر:"الاعتصام":(١١٣/٢)للشاطبي.

ثم نحن نتساءل أخيراً:إذا كانَ العقل لهُ الصلاحيةُ الكاملة،والأهلية التامة-كما يعتقد الليبراليون-في أنْ يستقل بإدراك المصالح والمفاسد بعيداً عن نور الوحي،فما الفائدة إذاً من إنزال الكتب،وإرسال الرسل؟!

كما أَنَّ هذا الاعتقاد قد يقودهم إلى أمرٍ خطيرٍ للغاية،ألا وهو:اتِّهام الله -جلَّ وعلا- بالعبثِ في أفعاله وتقديره-تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً-،ذلك لأَنَّ من غايات إنزال الكتب وإرسال الرسل تعريف الناس بالشر والخير،وبيان المصالح والمفاسد لهم[1]،فإذا كان العقل البشري يستقل بمعرفة ذلك-كما يعتقد كثيرٌ من الليبراليين-كان إنزال الكتب وإرسال الرسل-حينئذٍ-لا طائل من ورائه ولا جدوى فيه،وهذا هو حقيقة العبث الذي يتعالى الله عنه علواً كبيراً.

إنَّ هذه المفاسد الخطيرة الناجمة عن اعتقادهم باستقلال العقل في إدراك المصالح والمفاسد تكفي العاقل المنصف في بيان فساد هذا الاعتقاد وانحرافه عن جادة الصواب.

-أقوال الليبراليين في هذا الجانب:

أَمَّا أقوال الليبراليين التي تبرهن على أَنَّهم يقدمون المصلحة المزعومة على النَّصِ الشرعي،فهي كما يلي:

أ-ويقول مشاري الذايدي:"**نحن مطلوب منا أن نمارس السياسة وفق مصالحنا،وحيث ما كانت المصلحة كان دين الله،هكذا أفهم الأمور،هكذا أفهم الأمور**"[2].

ب-يقول محمد المحمود:"ما نحتاجه الآن: **قطيعة نوعية مع تراث بشري تراكم على مدى أربعة عشر قرناً، يقابله اتصال خلاق بالنص الأول في مقاصده الكبرى، وليس مجرد ظاهرية نصوصية لا تعي ما بين يديها ولا ما خلفها**"[3].

يقول يوسف أبا الخيل-معلقاً على معاهدة الحديبية-:"**ولم يشأ أن يستصحب خلال أي من تلك المناسبات الظرفية التاريخية أياً من نصوص الشريعة التي كان يطبقها في الداخل**

(١)-انظر:"الرسل والرسالات":(ص/٤٣-٥٥)للدكتور/عمر سليمان الأشقر.

(٢)-انظر:"موقع قناة العربية"-برنامج إضاءات،بتاريخ:٢٢/١٢/٢٠٠٤م.

(٣)-جريدة الرياض،الخميس٢٥ربيع الآخر١٤٢٦هـ-٢يونيو٢٠٠٥م-العدد:١٣٤٩٢.

الإسلامي قدر استصحابه ما يؤمن به المصلحة العليا له ولصحابته ولغير المسلمين ممن ينضوون تحت لواء الدولة الإسلامية مثل يهود المدينة"[1].

وهذه طريقة القوم في التعامل مع النصوص الشرعية،حيث لا يُذْعِنونَ لَهَا،ولا يرفعونَ رأساً بِها،ومن تأمَّل بتجردٍ وإنصافٍ في المصلحة التي يقدموها على النص،يجد أَنَّها مصلحةٌ مزعومةٌ قائمةٌ على الهوى،نابعةٌ من ضغوط الواقعِ الفاسدِ الذي يعايشونه،ويحيط بهم من كُلِّ جانب!! والله المستعان.

٣-دعوى تعدد قراءات النص الواحد:

يعتقد الليبراليون أَنَّ النص الشرعي له قراءات متعددة وتفسيرات متنوعة،وكلُّها صحيحة،وهذه العقيدة من الفساد بمكان؛لأَنَّها تفتح الباب على مصراعيه لكل مبطلٍ أَنْ يستدل على مذهبه الفاسد من النص الشرعي بدعوى(تعدد قراءات النص)،ولا ريب أَنَّ هذا أصل خطير يُسَوِّغ زندقة كل متزندقٍ وكفر كلِّ كافرٍ،فالباطني مثلاً الذي يفسر قول الله تعالى:{... إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً...}[البقرة:٦٧]بأَنَّها عائشة-رضي الله عنها-بناءً على ذلك الأصل قوله حقٌّ،والذي يقول:إِنَّها البقرة المعروفة قوله حقٌّ[2].

ويُطْلِقُ بعض الأئمةِ على هذا الأصلِ(دعوى عدم إفادة النص للعلم واليقين)[3].

والعجيب أَنَّ زنادقة عصرنا من المتكلمين الذين يسمون(مثقفين!!)،و(عصريين!!)اتكأووا على هذا الأصل لتسويغ باطلهم وتمرير انحرافهم،ولهذا زعم من زعم منهم أَنَّ القرآن يمكن أن يدل على كل مذهبٍ في الأرض.

وقد أشار إلى هذا الأصل وبيَّن فساده الإمام ابن قتيبة-رحمه الله-حيث قال:" ثم نصير إلى عبيد الله بن الحسن وقد كان ولي قضاء البصرة فتهجم من قبيح مذاهبه وشدة تناقض قوله ...**وذلك أنه كان يقول: إن القرآن يدل على الاختلاف فالقول بالقدر صحيح وله أصل في الكتاب والقول بالإجبار صحيح وله أصل في الكتاب ومن قال بهذا فهو**

---

(١)-جريدة الرياض،بتاريخ:٢/٢/٢٠٠٤م.

(٢)-انظر:"مجموع الفتاوى":(٥٥١/٥).

(٣)-انظر:"الصواعق المرسلة": (٦٣٣/٢-٧٩٣)لا بن قيم الجوزية.

مصيب ومن قال بهذا فهو مصيب لأن الآية الواحدة ربما دلت على وجهين مختلفين واحتملت معنيين متضادين.

وسئل يوماً عن أهل القدر وأهل الإجبار فقال: كل مصيب هؤلاء قوم عظموا الله وهؤلاء قوم نزهوا الله.

قال: وكذلك القول في الأسماء فكل من سمى الزاني مؤمناً فقد أصاب ومن سماه كافراً فقد أصاب، ومن قال: هو فاسق وليس بمؤمن ولا كافر فقد أصاب، ومن قال: هو منافق ليس بمؤمن ولا كافر فقد أصاب ومن قال: هو كافر وليس بمشرك فقد أصاب ومن قال: هو كافر مشرك **فقد أصاب لأن القرآن قد دل على كل هذه المعاني.**

قال:وكذلك السنن المختلفة كالقول بالقرعة وخلافه والقول بالسعاية وخلافه وقتل المؤمن بالكافر ولا يقتل مؤمن بكافر وبأي ذلك أخذ الفقيه فهو مصيب. قال: ولو قال قائل إن القاتل في النار كان مصيباً ولو قال هو في الجنة كان مصيباً ولو وقف فيه وأرجا أمره كان مصيباً إذ كان إنما يريد بقوله إن الله تعالى تعبده بذلك وليس عليه علم المغيب. وكان يقول في قتال علي لطلحة والزبير وقتالهما له: إن ذلك كله طاعة لله تعالى.

وفي هذا القول من التناقض والخلل ما ترى وهو رجل من أهل الكلام والقياس وأهل النظر"[1].

وقد بَيَّنَ شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-**أنَّ أصل هذا المذهب الفاسد،يرجع إلى قول السوفسطائية**[2]**من الفلاسفة،ثُمَّ أَخذه عنهم طوائف من ملاحدة الصوفية**[3].

---

(١)-"تأويل مختلف الحديث":(١٣/١)لابن قتيبة.

(٢)-السوفسطائية:مأخوذةٌ من السفسطة،وهي:قياس مركب من الوهميات،وهم طائفةٌ من فلاسفة اليونان ممن ينكرون الحسيات والبدهيات،ومعناها باليوناني(سوفا):اسم للعلم،و(اسطا):اسم للغلط،فسوفسطا:معناه علم الغلط،ومثَّلوا لإنكارهم الحسات بأَنَّ الأحول قد يرى الواحد اثنين،والماشي يرى القمر ذاهباً؛وعليه فلا يُجزم بأَنَّ أيهم يعرف حقاً وأيهم يريد باطلاً.انظر:"كشاف اصطلاحات الفنون": (٦٦٥/٢)،و"التعريفات للجرجاني": (ص/١٥٨)،و"مجموع الفتاوى": (٩٨/٢).

(٣)-انظر:"مجموع الفتاوى":(٩٨/٢).

والفلسفة المعاصرة الحديثة أخذت في بعض تقريراتِها بهذا المذهب الفاسد،فصحَّحُوا كُــلَّ الأديان،والمذاهب الباطلة،ولم يجعلوا لنصوص القرآن والسنة منزلةً ولا حرمةً،فكلٌّ شخصٍ يفهم النص بما يريد ويشتهي لا بما هو عليه في الحقيقة.

وقد أثبت هذه الحقيقة أحد المفكرين الغربيين،فقال:"لقد خَلَّف لنـــا التـــاريخ تـــصورين مختلفين للتأويل،فتأويل نص ما:حسب التصور الأول يعني الكشف عن الدلالة التي أرادها المؤلف،أو على الأقل الكشف عن طابعها الموضوعي،وهو ما يعني إجلاء جوهرها المستقل عن فعل التأويل،**أمَّا التصور الثاني فهو على العكس من ذلك حيث يتمثـــل في كـــونِ النصوص تحتمل كل تأويل...**"[1].

إذاً؛فهو يرى أنَّ هناك مذهبين:أَمَّا الأوَّلُ،فهو يرى الوقوف مع النص على ظاهره أَيًّا كان هذا النص،وأَمَّا الثاني،فهو على نقيضه تماماً يرى أَنَّ النص يحتمل كل تأويـــل يُمكـــن أَن يخطر ببال بشر.

والمعركة التي تدور رحاها الآن بين أقطابِ الزندقة المعاصرين ومن فُتِنَ بِهم ممن يزعمـــون أَنَّهم مثقفون!!وبين من يتمسك بدينه والثوابت أساسها،تتمثَّلُ في هذه القضية الكـــبرى: النَّصِ،وهل يمكن لأَيِّ أحدٍ أَنْ يُفَسِّره بما شاء؟[2].

-أقوال الليبراليين في هذا الجانب:

أ-يوسف أبا الخيل يزعم أنَّ دعوى تعدد قراءات النص الواحد قد أصَّلها علي-رضي الله عنه-،بينما القول بوجود قراءة واحدة للنص هو مذهب الخوارج!!؟.

يقول:"لم يقاتل الخوارج عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه من أجل مغنم دنيوي ابتغـــوه عاجلاً أو أسسوا له آجلاً، ولكنهم قاتلوه وقتلوه في النهاية لأنهم ابتغوا فـــرض مـــنطقهم التأويلي للقرآن الكريم عليه وعلى الصحابة الأجلاء معه،**ومن يومها وعلى وقـــع تلـــك الأيديولوجية تشكلت في جذور الثقافة العربية ما يعرف ب «ثقافـــة فـــرض الرؤيـــة الشخصية بكافة تمظهراتها على الآخرين ولو بالقوة»،من جانبه فقد دشن علي رضـــي**

---

(١)-"التأويل بين السميائيات والتفككية": (ص/١١٧)لإمبرتو إيكو،ترجمة:سعيد بنكراد.

(٢)-انظر:"منهج أهل السنة والجماعة في تدوين علم العقيدة إلى نهاية القرن الثالث الهجري-رسالة علمية تحت الطبع":(٩١٢/٢).

الله عنه على هامش معركته مع أولئك الخوارج ثقافة تعددية قراءة النصوص بقوله(القرآن بين دفتي المصحف لا ينطق وإنما يتكلم به الرجال)ويعني بذلك أن سياق القراءة،سواء للقرآن الكريم أو للسنة النبوية ابتغاء استنباط الأدلة منهما،إنما هو سياق مختلف متعدد المشارب، تعتمد القراءة فيه على ثقافة كل قارئ وأيديولوجيته وزمانه ومكانه، ومراميه من القراءة نفسها.

في مقابل ذلك التسامح الذي كان الإمام عليٌ رضي الله عنه يحاول تهيئة جينات الثقافة العربية لقبوله، كانت الأيديولوجية الخوارجية تنطلق من مبدأ (ما أُريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد)، وهي أيديولوجية تعتمد على قراءة حرفية للنصوص مهمِلة كافة السياقات المختلفة لها، مع اعتقاد جازم لا يتزعزع بأنها القراءة الوحيدة الصحيحة وما سواها فضلال وزيغ وتنكب عن الصراط المستقيم"[١].

ويقول أيضاً:"إنَّ أول خطوة في مكافحة العصاب الوسواسي للتعصب تكمن في تقديري **في إصلاح مناهج المواد الدينية التي تقدم للناشئة في مراحل التعليم العام بما يؤدي بها إلى أن تقدم مضموناً يعلم الطالب التفرقة بين النص الديني في ذاته المتعالية وبين قراءته البشرية،بحيث يتم (تعبئة) الذهنية الطرية الغضة بأن النص في ذاته كبنية متعالية هو واحد لا يتعدد ولا يتنسب (من النسبية) أما قراءة البشر لهذا النص فهي تتعدد وفقاً للدوافع الرغبوية للقارئ وللظروف الزمانية والمكانية والحاجات المعيشية والنوازل الجديدة التي تحيط به سواء أكان هذا القارئ فرداً أو جماعة أو مذهباً أو طائفة**"[٢].

٤-رد السنة صراحة لأنَّها لا تتوافق مع العصر ومتطلباته ومستجداته:

-يقول عبدالله بن بجاد العتيبي في مقالٍ له بعنوان(**حتى لا يتحكم فينا الخارجون من التاريخ)-نقلاً عن موقعه على الشبكة-**:"بينما نقرأ على وجه العملة الآخر لخارجين آخرين من التاريخ يناقضون هؤلاء تماما على النتيجة ويملكون نفس مفتاح الخروج ولكن بيقين معاكس، ويمثل هؤلاء بعض المتشددين من الجماعات الدينية والتي تمثل الجماعات

---

(١)-في مقالٍ له بعنوان(طمس صور الشوارع:ثقافة فرض الرؤية الخاصة على الآخرين)،نشر في(جريدة الرياض:الخميس ٥ من ذي الحجة ١٤٢٦هـ - ٥ يناير ٢٠٠٦م - العدد ١٣٧٠٩).

(٢)-جريدة الرياض،بتاريخ:السبت ١٨ ذي القعدة ١٤٢٧هـ - ٩ ديسمبر ٢٠٠٦م - العدد ١٤٠٤٧ .

الإسلامية المتشددة مثالهم الصارخ في مقابلة خصوم الصراع، وينطق بن لادن ومنظروه باسمهم، **لقد آثر هؤلاء الخروج من التاريخ هروبا للخرافة ليثبتوا مقولاتهم التي يعوزها المنطق والواقع، وقد حدثونا عن سفياني سيخرج وقحطاني سيسوق ومهدي سيملأ الدنيا،ولذا فهم ينتظرون هذا ويسخنون العالم لذاك، ولكن طرفي العملة يلتقيان على العالم ليحرقاه في مبخرة التعالي عليه والهروب منه ويقدماه قربانا لنظرة أيديولوجية ضيّقة لا تستطيع صدورها أن تحمل أعجازها ولا تطيق مقدماها ثقل نتائجها،الطرفان يبنيان ناطحات سحاب على بيوت عنكبوت، ويسكنان العالم مرغما في بناياتهما المهترئة"**أ.هـ

فانظر أخي القارئ،كيف وصلتْ به الجرأة على أن يصف الأحاديث التي جاء فيها ذِكْرُ القحطاني[1] والمهدي[2] بأنَّها خرافة،وقد جاءت بأسانيدَ صحيحةٍ عن المعصوم صلَّى الله عليه وسلم وهو الذي لا ينطق عن الهوى،إنْ هو إلاَّ وحي يُوحى؟!

أمَّا ما ورد في شأن السفياني وخروجه في آخر الزمان،فلا يصح منه شيء سنداً، ولا يصلح للاعتماد على رواياتِها؛لأنَّ الكثير منها موقوفات بل ومقطوعات ضعيفة الإسناد،فيها مجاهيل وضعفاء،وكذا المرفوع لا يصح منه شيء[3].

---

(١)-ثبت حديثه في الصحيحين،فقد أخرجه البخاري في"صحيحه"(كتاب المناقب،باب ذكر قحطان،٤/١٥٩/رقم٦١،وكتاب الفتن،باب تغير الزمان حتى يعبد الأوثان،٨/١٠٠/رقم٩٢)ومسلم في"صحيحه"(كتاب الفتن،باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء،٤/٢٢٣٢/رقم٢٩١٠).

(٢)-أحاديث المهدي كما حكى غير واحدٍ من أهل العلم متواترة،وتواترها تواتر معنوي لكثرة طرقها،واختلاف مخارجها وصحابتها ورواتها وألفاظها،وقد نصَّ على صحة هذه الأحاديث جمع كبير من نقاد الحديث وأئمته،منهم:الحاكم،والذهبي،وأبونعيم،وابن العربي المالكي،والقرطبي،وشيخ الإسلام ابن تيمية،وابن= =قيم الجوزية،وابن حجر العسقلاني،والسيوطي،وغيرهم.انظر:"الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي": (ص/١٥٧)للشيخ/عبدالمحسن العباد،و"السلسلة الصحيحة": (٤/٣٨،و٢/٣٣٦)للشيخ/الألباني-رحمه الله-.

(٣)-انظر:"السلسلة الضعيفة":(٤/٣٦٩)،و"ضعيف الجامع الصغير":(٤/٢٢٤)للألباني،و"إتحاف الجماعة":(١/٤٩)للشيخ حمود التويجري.

٥-تقسيم السنة إلى سنة تشريعية وسنة غير تشريعية،وما كان غير تشريع فلا يلزم الأخذ به:

يرى كثير من الليبراليين أَنَّ السنة النبوية ليست على نمطٍ واحدٍ،فمنها ماهو تشريع يلزم الأخذ به وهو ما يسمى عندهم بِ(السنة التشريعية)،ومنها ماهو تشريع لا يلزم الأخذ به،وهو ما يعبرون عنه بِ(السنة غير التشريعية)،ومن تأمل في هذا التقسيم،وقلّب فيه النظر،أدرك بجلاء أَنَّ هذا التقسيم هو-بحقٍ وحقيقةٍ-من أخطر شبهاتِهم في هذا الميدان،وقد اعتمدوا في هذا التقسيم المحدث المبتدع على حديث(تأبير النخل)،وانطلقوا منه في ترسيخِ تلك الشبهة وتكريس بنائهم الفكري عليها.

ولنا أن نجمل الرد عليها في النقاط الآتية:

أوَّلاً:تقسيم السنة إلى سنة تشريعيةٍ وأخرى غير تشريعية تقسيم باطل لا مستند عليه،والصواب الذي أجمع عليه أئمة المسلمين أَنَّ كُلَّ ما أُقِرَّ عليه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ قبل وفاته ثُمَّ لم يُنسخ هو شرعٌ ودين يُتعبَّدُ الله به،ولكن هذا الدين والتشريع يختلف حكمه،فمنه ما هو فرض عين،ومنه ما هو فرض كفايةٍ،ومنه ما هو واجبٌ،ومنه ماهو سنة مؤكدة،ومنه ماهو مندوبٌ،ومنه ماهو مباح.وكُلُّ من عمل شيئاً من ذلك بنية التقرب إلى الله عزَّ وجلَّ يُثاب على فعله،سواءٌ كان فرضاً،أو سنة مؤكدة أو مندوباً،أو مباحاً[١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:"**كُلُّ ما قاله النبي صلَّى الله عليه وسلَّم بعد النبوة وأُقِرَّ عليه،ولَم يُنْسخْ فهو تشريعٌ،لكن التشريع يتضمن الإيجاب،والتحريم والإباحة**"[٢].

وقد قال الله تعالى:{...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ...}[المائدة:٣].،وما لم يكن في ذلك اليوم ديناً فلن يكون اليوم

(١)-انظر:"الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية-دراسة نقدية": (ص/٢٧٠-٢٧١)للدكتور/مفرح القوسي،بتصرف يسير.

(٢)-"مجموع الفتاوى":(١٨/١١-١٢).

ديناً،وحدود الشريعة حدَّدها رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ،وليس لأحدٍ بعده أن يحذف منها،أو يضيف إليها؛لأَنَّ أمور الدِّين توقيفية،فالله تعالى هو المشرع،والرسول صلَّى الله عليه وسلَّم هو المبلِّغ،وما علينا إلاَّ التسليم.

يقول الإمام محمد بن شهاب الزهري-رحمه الله-:"من الله عزَّ وجلَّ الرِّسالة،وعلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ البلاغ،وعلينا التسليم"[1].وحذف شيءٍ مِمَّا جاء به الرسول صلَّى الله عليه وسلَّمَ لا يقِل خطراً وإثماً عن إضافة شيءٍ جديد.

ثانياً:أَنَّ الله جعل رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم قدوةً للمؤمنين،حيث قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً }[الأحزاب:٢١].

وهذا-بلا ريبٍ-يعم كل نواحي حياته الشريفة بلا تمييزٍ إلاَّ ما خصَّه الله تعالى به كتزوجه بأكثر من أربع زوجاتٍ،ووصاله في الصيام.

وأمر سبحانه بطاعة رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم بدون قيدٍ أو شرطٍ،فقال:{...وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }[الحشر:٧]،وقال أيضاً:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً }[النساء:٥٩]،وقال صلَّى الله عليه وسلَّم:"إِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ ،وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ »[2] .

---

(١)-انظر:"فتح الباري":(٢١/١٢١).

(٢)-أخرجه البخاري في"صحيحه"(كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة،الباب(٢)،١٣/٢٥١/رقم٧٢٨٨)،ومسلم في"صحيحه"(كتاب الفضائل،باب(وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم)،١٥/ص١٠٩).

وعن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما-أنه كان يكتب كل ما سمع من النبي صلَّى الله عليه وسلم،فقالت له قريش:إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم في الغضب والرضا فلا تكتب كل ما تسمع،فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك،فقال له:"اكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه إلاَّ حَقّاً"،وأومأ بإصبعيه إلى فيه[1].

إذاً؛فكل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم تشريع ؛لأنه يدل على حكم شرعي،سواء في ذلك مسائل باب العبادات أو المعاملات أو العقوبات،ويدخل فيه أيضاً ما صدر عنه صلى الله عليه وسلم من أفعاله بمقتضى جبلته البشرية وطبيعته الإنسانية،فهذا النوع من الأفعال وإن لم يكن فيه أسوة أو قدوة ولا يتعلق به أمر باتباعه ولا نهي عن مخالفته،إلاَّ أنه يدل على الإباحة،والإباحة من الأحكام الشرعية[2]،فالمباح قسم من أقسام السنة،والسنة

---

(١)-أخرجه ابن عبدا لبر في"جامع بيان العلم": (١/٨٥)،وأخرجه أبو داود في"سننه"(كتاب العلم،باب(في كتاب العلم)،٣/٣١٨/رقم٣٦٤٦)٠وقال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-:"ولهذا-أي الحديث المذكور-طرق أخرى عن عبد الله بن عمرو يقوي بعضها بعضاً"٠انظر:"فتح الباري": (١/٢٠٧)٠والحديث صحَّحه الشيخ الألباني-رحمه الله-في"الصحيحة": (٤/٥٤و١٠٦)٠

(٢)-انظر:"إرشاد الفحول": (ص/٣٥)للشوكاني-رحمه الله-٠

ليست على درجةٍ واحدةٍ من درجات الإلزام،ثم"أليس تحليل الحلال من أهم مقتــضيات الإيمان؟ألا يقدح في الإيمان تحريم الحلال أو تحليل الحرام؟،فإذا كان الحل والجواز بمثل هذه الأهمية،فكيف تكون السنة التي تدل على هــذا الحــل وهــذه الإباحــة ســنة غــير تشريعية؟!!"[1].

ثالثاً:إدراج ما جاء في السنة من مسائل باب(المعاملات)ضمن السنة غير الملزمة بحجةٍ أنها من أمور الدنيا التي نحن أعلم بها جرمٌ عظيمٌ،ذلك أنَّ كل ما بينه الرسول صلى الله عليــه وسلم وجاءت به سنته فهو من أمور الدين التي يجب على كل مسلمٍ الالتزام بها،ومما يؤكد ذلك أمران:

الأول:أَنَّ النبي صلَّى الله عليه وسلم لم يبين لنا فرقاً واضحاً في سنته بين أمور الدنيا وأمور الدين،ولو كان مثل هذا التقسيم حقيقة قائمة لأوضح لنا كيف نميز بين القسمين تمييزاً لا

---

(١)–**"مفهوم تجديد الدين":(ص/٢٤٦)لبسطامي سعيد.وانظر:"الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية–دراسة نقدية":(ص/٢٧٢–٢٧٣).**

نقع معه في لبسٍ؛لأَنَّ الحاجة ماسة لمثل هذا التمييز،فلمَّا لم نجد بياناً عنه صلى الله عليه وسلم مع قيام الحاجة إليه تأكدنا أن هذا التقسيم إلى سنة خاصةٍ بأمور الدين وسنة خاصةٍ بأمور الدنيا تقسيم لا وجود له.وحتى أولئك الذين وَلَّدَ وهمهم هذا التقسيم لم يستطع أحد منهم أن يقدم معياراً صحيحاً للتمييز بين ما ظنوه سنة تشريعية وغير تشريعية.

الثاني:أَنَّ الصحابة والتابعين وأئمة المجتهدين والفقهاء خلال أربعة عشر قرناً من الزمان لم يُعرف عن أحدٍ منهم أنه ردَّ سنة من سنن الرسول صلى الله عليه وسلَّم بحجة أنها خاصة بأمور الدنيا،مع تنوع أقوالهم،وردِّ بعضهم على بعضٍ عند تعارض الأدلة[1].

رابعاً:تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم في القضاء والإمامة إنما هي تشريع يلزم العمل به،وأما ما ذهب إليه الإمام القرافي من تقسيمه تصرفاته صلى الله عليه وسلم إلى أربعة أقسام:تصرفات بوصفه رسولاً،وبوصفه مفتياً،وبوصفه قاضياً،وبوصفه إماماً(رئيس دولة)،فليس فيه أدنى حجة على ما ذهب إليه الليبراليون من اعتبار تصرفاته في القسمين الأخيرين ليست من السنة التشريعية الملزمة،ذلك لأنَّ من تمعن فيما ذكره الإمام القرافي يتضح له أنَّ مقصوده-رحمه الله-من تقسيماته تلك"هو التفرقة بين الأمور الخاصة بالسلطة التنفيذية والتي لا يجوز للأفراد العاديين مباشرتها،والأمور الخاصة بالسلطة القضائية والتي لا يجوز لعام الأفراد ممارستها إلا بعد حكم قضائي وإذن،وبين الأمور التي ترك للناس الحرية في التصرف فيها دون حاجةٍ إلى إذنٍ من السلطات.فالمقصود من كلام القرافي البحث عن ذلك في تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم بياناً للاختصاصات،وتوزيعاً للسلطات،وحصراً لما يدخل تحت اختصاص كل سلطة من سلطات الدولة[2].

ولا يفهم من كلامه بحالٍ أن تصرفات الرسول في قسمي الإمامة والقضاء ليست تشريعية،بل إنَّ صفة الرسالة وهي الوظيفة التشريعية لا تفارق الرسول حتى وهو حين يتصرف باعتباره رئيس دولة،أو حين ترفع إليه الخصومات ويقضي فيها بوصفه قاضياً،فهو حين يقسم الغنائم،أو حين يقيم الحدود،أو حين يعلن الحرب-وكل ذلك من تصرفات

---

(١)-"مفهوم تجديد الدين":(ص/٢٥٢)،وانظر:"مناقشة هادئة لبعض أفكار الدكتور حسن الترابي": (ص/٨١-٨٢)للأمين الحاج احمد.

(٢)-انظر:"الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام": (ص/٨٦-١٠٨).

الإمام(رئيس الدولة)-تشريعه في هذه الأمور تشريع لازم لكل إمام بعده وكذلك أحكامه القضائية"[1].

خامساً:حديث تأبير النخل الذي ينطلق منه الليبراليون في ذلك التقسيم المحدث،هو برواياته المتعددة لا يجوز الاحتجاج به على أَنَّ من سنته صلى الله عليه وسلم ما لا يُعدُّ تشريعاً ملزماً؛لأَنه خارج محل النزاع لسببين:

أحدهما:أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يصدر عنه في هذا الحديث أمر للقوم بترك التلقيح،ولم يصدر منه خبر أنَّ التلقيح مفيد أو غير مفيد،بل هو قد ظنَّ ظناً وغلط القوم في فهم هذا الظن فتركوا التلقيح بناء عليه.ونجد هذه الحقيقة صريحة في رواية موسى بن

---

(١)-انظر:"مفهوم تجديد الدين":(ص/٢٥٦-٢٥٧)،و:"الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية- دراسة نقدية": (ص/٢٧٤).

طلحة عن أبيه قال:"مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْمٍ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ فَقَالَ مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ فَقَالُوا يُلَقِّحُونَهُ يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الْأُنْثَى فَيَلْقَحُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا قَالَ فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَقَالَ إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ اللَّهِ شَيْئًا فَخُذُوا بِهِ فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"[(١)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-موضحاً ذلك:" هُوَ { صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَآهُمْ يُلَقِّحُونَ النَّخْلَ قَالَ لَهُمْ : مَا أَرَى هَذَا - يَعْنِي شَيْئًا - ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : إنَّمَا ظَنَنْت ظَنًّا فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ وَلَكِنْ إذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ اللَّهِ فَلَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ } وَقَالَ : { أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأُمُورِ دُنْيَاكُمْ فَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ فَإِلَيَّ } وَهُوَ لَمْ يَنْهَهُمْ عَنْ التَّلْقِيحِ لَكِنْ هُمْ غَلِطُوا فِي ظَنِّهِمْ أَنَّهُ نَهَاهُمْ كَمَا غَلِطَ مَنْ غَلِطَ فِي ظَنِّهِ أَنَّ (الْخَيْطَ الْأَبْيَضَ) و (الْخَيْطَ الْأَسْوَدَ) هُوَ الْحَبْلُ الْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ"[(٢)].

ويؤكد الإمام النووي-رحمه الله- هذه الحقيقة،فيقول:"قال العلماء:ولم يكن هذا القول خبراً،وإنَّما كان ظَنَّاً"[(٣)].

الثاني:أَنَّ مسألة تلقيح النخل تُعدُّ من أمور معايش الدنيا التي لم يتعرض لها النبي صلى الله عليه وسلم ببيان،والتي يتعامل معها المرء بحسب خبرته ويكون هو أعلم بها،شأنها في ذلك شان خياطة الملابس وصنع السيوف والدروع ونصب الخيام وطبخ الأطعمة...،ولهذا قال صلَّى الله عليه وسلم في بعض روايات الحديث:"إذا كان شيئاً من أمر دنياكم فشأنكم

(١)-أخرجه مسلم في"صحيحه"(كتاب الفضائل،باب وجوب امتثال ما قاله صلَّى الله عليه وسلَّم شرعاً،١٥/ص١١٦-١١٧).

(٢)-"**مجموع الفتاوى**":(١٢/١٨).

(٣)-"صحيح مسلم": (١١٦/١٥-بشرح النووي).

به"،وقال:"أنتم أعلم بأمر دنياكم"٠والنزاع إِنَّما هو في المسائل التي أقرَّها النبي صـــلى الله عليه وسلم أو فعلها أو صدرت فيها الأوامر والنواهي منه وأُقِرَّ عليها قبل وفاته(١)٠

ونختم الكلام في هذا الحديث بكلامٍ نفيسٍ للشيخ أحمد شاكر-رحمه الله-:"وهذا الحديث مما طنطن به مُلحدو مـــصر،وصنائع أوربـــة فيهـــا مـــن عبيـــد المستـــشرقين،وتلامذة المبشرين،فجعلوه أصلاً يحجون به أهل السنة وأنصارها،وخُدَّام الشريعة وحُماتها،إذا أرادوا أن ينفوا شيئاً من السنة وأن ينكروا شريعةً من شرائع الإسلام في المعـــاملات وشـــؤون الاجتماع وغيرها يزعمون أَنَّ هذه من شؤون الدنيا،يتمسكون برواية أنس":أنتم أعلـــم بأمر دنياكم"والله يعلم أنهم لا يؤمنون بأصل الـــدين،ولا بالألوهيـــة،ولا بالرســـالة،ولا يصدقون القرآن،في قرارة نفوسهم،ومن آمن منهم فإنما يؤمن لسانه ظاهراً،ويؤمن قلبه فيما يُخيل إليه،لا عن ثقة وطمأنينة،ولكن تقليداً وخـــشية،فإذا مـــا جـــد الجد،وتعارضـــت الشريعة،الكتاب والسنة،مع ما درسوا في مصر أو أوربة،لم يترددوا في المفاضلة،ولم يحجموا عن الاختيار،فَضَّلُوا ما أخذوه عن سادتهم،واختاروا ما أشربته قلوبهم!ثم ينسبون نفوسهم بعد ذلك،أو ينسبهم الناس إلى الإسلام!!والحديث واضح صريح،لا يعارض نصاً،ولا يدل على عدم الاحتجاج بالسنة في كل شأن؛لأنَّ رسول الله لا ينطق عن الهوى،فكل ما جاء عنه فهو تشريع،{٠٠٠وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ٠٠٠}[النور:٥٤]،وإنما كان في قصة تلقـــيح النخل أن قال لهم:"ما أظن ذلك يغني شئاً"فهو لم يأمر ولم يَنْهَ،ولم يُخبِرْ عن الله،ولم يسن في ذلك سنة،حتى يُتوسع في هذا المعنى إلى ما يهدم به أصول التشريع،بل ظَنَّ،ثُمَّ اعتذر عن ظنه،قال:"فلا تؤاخذوني بالظن"فإين مما يرمي إليـــه أولئك؟هـــدانا الله وإيـــاهم ســـواء السبيل"(٢)٠

-أقوال الليبراليين في هذا الجانب:

يقول يوسف أبا الخيل:"**هكذا ينظم ابن المقفع*العلاقة بين الشأن المدني والديني بتحديد مجال وحدود كلٍ منهما مما يؤدي إلى فك الإشكال بينهما بشكل سليم، ومن الواضح**

---

(١)-انظر:"مفهوم تجديد الدين":(ص/٢٤٧-٢٤٩)٠

(٢)-"مسند الإمام أحمد":(٢/٣٦٤-٣٦٥-الهامش)،تحقيق وشرح الشيخ أحمد شاكر-رحمه الله-.

*أرأيت أخي القارئ كيف أَنَّ القومَ ينطلقون في تقريرِ باطلهم مـــنْ نظريـــاتِ أُنـــاسٍ مـــشبوهين متـــهمين بالزندقة؟!وَصَدَقَ منْ قال:إِنَّ الطُّيورَ على أشكالها تقع.

أنه يقصد بكلمه هذا أن كل ما من شأنه تنظيم العلاقة بين الإنسان وبين ربه (العبادات المفروضة عليه مثلاً) فهو خاص به لا يجوز لأحد أن يتدخل فيها ما لم يكن في تنظيمها مصلحة ظاهرة للمجتمع كالحج مثلاً، أما ما شأنه المعاملات على اختلاف أنواعها سواء منها ما يختص بعلاقة أفراد المجتمع بعضهم ببعض (السياسة الداخلية) أو سواء ما يتعلق منها بعلاقة الدولة بغيرها من الدول (السياسة الخارجية) فهي أمور مدنية صرفة متروك أمر تدبيرها وفق الصالح العام والمصلحة الوطنية للحاكم أو الحكومة بشكل عام ...هذا التكييف الرائع لمسألة ظلت شائكة وعصية الفهم على الفكر العربي إلى اليوم يتفق في تقديري مع ما أرشد الرسول صلى الله عليه وسلم صحابته إليه لفك مثل هذا الإشكال عندما يعترضهم في حياتهم، ففي مسند الإمام أحمد بن حنبل عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال:(سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصواتاً فقال ما هذا؟ قالوا يلقحون النخل فقال لو تركوه فلم يلقحوه لصلح،فتركوه فلم يلقحوه فخرج شيصا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم؟ قالوا تركوه لِما قلت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان شيء من أمر دنياكم فأنتم أعلم به، أمَّا ما كان من أمر دينكم فإليَّ)، إذاً أمر الدين يُرجع فيه إلى ما شرعه صلى الله عليه وسلم وهو كما رأينا يتحقق عملياً–وفقاً لنظرية ابن المقفع –في أمر الفرائض والحدود وجميع العبادات التي يجعلها العبد جسراً لعلاقته مع خالقه عز وجل،أما ما كان من أمر الدنيا،أو من الشأن المدني كما في اللغة المعاصرة فيُرجع فيه إلى المصلحة الراجحة التي يقررها الإمام أو الحكومة التي تنطلق في تأطيرها وتكييفها بما يتفق والصالح العام الذي يختلف باختلاف ظروف الزمان والمكان،وليس من العقل ولا من الشرع أن يترك أمر تقريره لآحاد الناس أو جمعهم اتكاءً على تقرير ما إذا كان فيه ثمة مخالفة أم لا، فالتشريع النظامي أو القانوني له من قبل الدولة معناه اكتسابه صفة الإلزام بطاعته والالتزام بمحدداته"[1].

---

(١)–في مقالٍ له بعنوان(العلاقة بين الديني والمدني عند ابن المقفع)،نشر في(جريدة الرياض)بتاريخ:الخميس ٢٤ رمضان ١٤٢٦هـ – ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٥م – العدد ١٣٦٣٩)٠

المعلم الثاني

موقفهم من قضايا العقيدة وأصول الدين الكبرى

١-موقفهم من قضايا التوحيد والإيمان:

موقفُ الليبراليين من قضايا التوحيد والإيمان موقف في غاية القبح والشَّناعةِ،حيثُ يلوحُ في مقالاتِهم التهوين والتقليل من شأن قضايا التوحيد،بل وصلَ الأمرَ لبعــضهم إلى درجـــةِ الاستخفافِ والسخريةِ بِهذا الأصل العظيمِ الَّذِي قامتْ منْ أجلهِ السَّمواتُ والأرض.

كَما أَنَّهم حَرَّفوا مفهوم الإيمان،وأخرجوه عن مدلوه الشرعي الذي جاء واضحاً بَيِّنًّـا في نصوص الوحيين،كذلكَ فإنَّكَ تلحظ في كتابات بعضهم الترعة الإلحادية المادية كقولهم:إنَّ الطبيعة هي التي تعطي وهي التي تمنح!!.

-أقوال الليبراليين في هذا الجانب:

أ-يرى محمد المحمود أَنَّ تطبيق التوحيد على أرض الواقع من المنظور السلفي يقارب الهوس الأيديولوجي،حيث يقول:"**إنَّ السلفية التقليدية المتغلغلة في أعماق وعينا الاجتمــاعي والثقافي،تزعم أنَّ(التوحيد)هو مرتكز خطابها،وأنها-كخطاب أيديولوجي نشط-تسعى للقضاء على مظاهر التوثن،أيَّاً كانت تمظهراها في المجتمع،وهذا الزعم يكاد-إبَّان محاولة موضعته في الواقع-يقارب درجة الهوس الإيديولوجي،أو يتم من خلاله ممارسة ســلوك النفي(المفاصلة)للآخر الإســلامي في الــداخل والخارج،تحــت وعــاء التمــذهب والافتراق**"[١].

كما يقول:"ربما كان من قدر المرأة لدينا، أن تواجه أكثر من سور منيع، يحول بينها وبين الحصول على أقل القليل من حقوقها الفطرية، **تلك الحقوق التي منحتها إياها الطبيعــة ابتداء**"[٢].

---

(١)-كتاب الرياض الإلكتروني"حروف وأفكار":(ص/١٧)لمحمد بن علي المحمود،في مقالٍ له بعنوان(التقليــد والتوثين)،وقد نُشر في جريدة الرياض بتاريخ:١ /٢٠٠٥/٩م.

(٢)-في مقالٍ له بعنوان(المرأة .. من الإيديولوجيا إلى الإنسان)،نُشِرَ في جريدة الرياض،بتاريخ: الخمــيس ٢٤ المحرم ١٤٢٧هـــ - ٢٣ فبراير ٢٠٠٦م - العدد ١٣٧٥٨ .

وها هو المحمود يضعَ تفسيراً غريباً عجيباً لمعنى الإيمان ومدلوله بعيداً عن المعنى الشرعي المنصوص عليه،حيث يجعل الإيمان مرتبطاً بالإنسان والعلم المادي،قائماً عليهما كما هو الشأن في عصر التنوير الأوربي،يقول:" **لم ينهض التنوير الأوروبي المجيد، الذي أخرج الإنسانية من ظلمات الجهل والتخلف والانحطاط، إلى نور العلم والتقدم والمدنية الإنسانية، إلا على إيمان راسخ وعميق بهذا الإنسان، إيمان متفائل، يتكئ على فعاليات عقلية، ومعطيات تجريبية من عالم الوقائع المادية، ولكنه – قبل ذلك وبعده – يكاد يكون عقيدة كلية، تستولي على مشاعر أولئك الفلاسفة العظام، في عصر النهضة الأوروبي.**

ويقول في نفس السياق:"... وإذا كان هذا الإيمان هو الروح العام، الذي سرى في خلايا الإنسان الأوروبي آنذاك، ومكنه من انجاز الوعد الحضاري، فإن وجود بعض الأصوات التي تشكك بالإنسان – بخيريته وبقدرته – لم تكن لتوقف مسيرة الإنسان المؤمن. كانت تلك الأصوات لا تعبر عن المكنون العام، ومن ثم، لم تعرقل المسيرة. ومن تأمل هذا التشكيك، وجد أنه يتصاعد في أوقات الأزمات، وخاصة الحروب التي تضع الإنسانية على حافة الهاوية. لكنها سرعان ما تتراجع أو تخفت أو تقل درجة تأثيرها عندما تتعافى المسيرة، وتنهض من كبوتها.

ويبقى التاريخ شاهداً وحكماً عدلاً على أن الإيمان بالإنسان هو المنتصر دائماً. والديمومة هنا لا تعني عدم وجود فترات الانكسار والتراجع، بل إن وجود هذه الفترات الاستثنائية في تعثرها المتشكك، والتي تستطيع المسيرة تجاوزها، هودليل على حقيقة الانتصار الإنساني"

ويقول:"**درجة الإيمان بالعلم الذي يصنع المعجزات للإنسان**،كانت قبل قرنين أقوى مما هي عليه الآن في وعي الطلائع المثقفة. كانت الحالة الأوروبية نموذجية في وعي تلك الطلائع، بحيث تستحق الاحتذاء والتماهي. لكن، كان النفس القومي والإسلامي لهذا

الوعي التقدمي بالمرصاد، بل كانت الإسلاموية - فيما بعد - كارثة على هــذا الاتجــاه التقدمي الصاعد"[1].

٢- موقفهم من قضايا الولاء و البراء والحكم بما أنزل الله:

يتضح من خلالِ كتابات الليبراليين التحريف والتبديل والتشويه لهذه القضايا العقدية.

-أقوال الليبراليين في هذا الجانب:

أ-يقول مشاري الذايدي:"**التصور الحقيقي للولاء والبراء أن يكون مربوطــاً بمــصلحة الأمـــة ومـــصلحة الدولـــة ومـــصلحة المجتمـــع..**

تركـــي الـــدخيل [مقاطعـــاً]: مـــن يحـــدد مـــصلحة..؟

مشاري الذايدي [متابعاً]:لحظة شوية،لا يجوز أن تكون مربوطة بمصلحة جماعة معينـــة **وأيدولوجية معينة**"[2].

ب-يقول منصور النقيدان:":**فنحن بحاجةٍ إلى إسلام متصالح مع الآخر، إسلام لا يعرف الكراهية للآخرين من أجل معتقداتهم أو توجهاتهم**"[3].

وقال في إحدى الإجابات:" **نحن نحتاج إلى إسلام كإسلام الجيل الثالث اليوم من أبنـــاء المسلمين في فرنسا**"[4].

ج-المحمود، ولنتأَمَّلْ هذا المقطعَ من الحوارِ:

الدخيل:"**ما هي مظاهر في تقديرك التغلغل الأيديولوجي الإرهابي في مظاهر.. في تيـــار التشدد الديني وعندنا تقصد عندنا في السعودية.**

محمد المحمود: مظاهرها؟

تركي الدخيل: إي.

---

(١)-في مقال له بعنوان:(المستقبل لهذا الإنسان)،نُشِرَ في جريـــدة الرياض،بتـــاريخ: الخمـــيس ١٦ صـــفر ١٤٢٧هـ - ١٦ مارس ٢٠٠٦م - العدد ١٣٧٧٩.

(٢)-انظر:"موقع قناة العربية"-برنامج إضاءات-بتاريخ٢٢/١٢/٢٠٠٤م.

(٣)-موقع النقيدان بالشكبة العنكبوتية.

(٤)-المصدر السَّابق.

"الآن لو تقرأ ما يكتبه منظري الحركة الإرهابية، أو يعني هم يسموهم مشرعين لهم لو تقرأ ماذا.. أو بماذا أو ما هي المحددات التي يتكؤون عليها لوجدنا أنها محددات موجودة عندنا متغلغلة في نسيجنا الاجتماعي هم فقط..

تركي الدخيل: زي إيش ممكن تكلمنا علشان ما نصير نتكلم بنظرية ما تصير واضحة، أنا مش واضحة لي وأعتقد وأظن أن كثير من المشاهدين مش واضحة لهم؟

محمد المحمود: مثلاً مثل مسألة الولاء والبراء كمثال مثلاً، هذه تطرح لا شك أنها تطرح وتدرس حتى في كلياتنا الشرعية وفي..

تركي الدخيل: أنت ضد مسألة الولاء والبراء؟

محمد المحمود: لا، لست ضدها وطبعاً لست ضدها من حيث مفهومها العام باعتبار أن كل عقيدة تقوم على نوع من المفاصلة ومن التحيّز لمجموعاتها ولمفرداتها حتى العقائدية الأصلية.

تركي الدخيل: طيب إذن أين تحفظك على الولاء والبراء؟

محمد المحمود: لأ، **هو في مسألة العداء والكره والبغض، هم الآن يدرس على أنه كره وبغض في الله، فهذه عندما تطرح**"[1].

د-أمَّا يوسف أبا الخيل،فيرى أنَّ الأخوة ينبغي أن تبنى على أساس الإنسانية لا على أساس الدين والمعتقد،ولا ريب أنَّ هذا هو دين الماسونية الخبيث،وليس دين الإسلام الذي أنزله الله جلَّ وعلا على نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم،يقول:"**الإنسانية بآفاقها الرحبة الواسعة والطائفية بأفقها الضيق المنعزل ضدان لا يلتقيان،الأولى منهما تتعامل مع الإنسان انطلاقاً من قيمته المطلقة باعتباره ابناً لآدم بعيداً عن أية تصنيفات فئوية مكتسبة أو ملتصقة بالإنسان قسراً،أما الثانية فلا تجد بداً لكي تتمكن من التموضع ...الصراع بين هذين الضدين إنما هو صراع بين التقدم والتخلف، أو هو صراع بين الإنسانية واللانسانية، وإن شئت فقل هو صراع في مجمله بين الحياة والموت، لأن الفرد المتكور حول حمى الطائفية لن يكون على بينة من أمر قيمته في مجتمعه ما لم يحدد علاقته**

(١)-انظر:"موقع قناة العربية"-برنامج إضاءات-بتاريخ: الأحد:٦ربيع الأول ١٤٢٨ هـ،٢٥ مارس ٢٠٠٧م.

بأخيه المصنف في فئة أدنى وفق فواصل ثابتة صخرية لا تزعزعها أحاديـــد الـــزمن ولا مراكمات التعليم الذي يظل مشدوداً بطبيعته إلى أفقه الثقافي الذي انطلق منه أصلاً.
ومن ثم فهو لا يتردد عن أن يعمل كل ما في وسعه من أجل إعادة تلـــك المـــسافات الفئوية إلى نقاطها الفاصلة متى ما رأى أنها استبيحت، حتى ولو كلفه ذلك العبث بحياة من يعتقد أنهم حاموا حول حماها التي يتحصن داخلها في كهـــوف ظـــلام الطائفيـــة البغيضة. ...(؟إلى أن قال) :... وهكذا طور القرآن آلية جديدة لتشكيل العلاقـــات الاجتماعية قوامها النظر إلى الإنسان بصفته الآدمية فقط،"أ.هـ[1].
ويقول أيضاً:"يمثل رمي الجمرات في أيام الحج مغزى حنفياً كـــبيراً مـــؤداه التـــصدي لمحاولات الشيطان إغواء الإنسان بصده عن ذكر الله وملء قلبه بالشحناء والبغـــضاء والحسد وتمني السوء لأخيه في الإنسانية، وملئه بدلاً من ذلك بالحب والسكينة وتمثـــل القيم الإنسانية بكل معانيها وما يترتب عليها من استحقاقات تجاه الآخر، هذا الآخـــر الذي يربطه بأخيه رباط الإنسانية المقدس قبل أي رباط هوياتي آخر"[2].
ويوسف أبا الخيل له فلسفة منحرفة للولاء والبراء،حيث يقول:"...مفهوم الـــولاء والبراء من هذه الزاوية يشير إلى موالاة الموالي المسالم الجانح للسلم والبراءة من المعتدي أياً كانت نحلته ومذهبه وديانته، ومن غير المعقول لكل من استقرأ نصوص الـــشريعة ومقاصديتها أن يتصور مفهوماً ينادي بالولاء للمعتدي لأنه فقط يتمظهـــر أو ينطـــق بالإسلام وبنفس الوقت البراءة وما سيترتب عليها من استحقاقات أخرى مـــن غـــير المسلم ولو كان مسالماً باراً مؤدياً لشروط العلاقة السلمية مع المسلمين، هذا مفهـــوم مغلوط ومشين تُنزه عنه الشرائع السماوية فضلاً عن الإسلام وهو خاتم الديانات، لأنه تعدٍ صريح على عدل الله تعالى بين خلقه، ولا يمكن أن تستقيم علاقة سلمية تعاونيـــة مؤدية لخير الإنسانية ما دمنا نتصور أن علاقة الولاء والبراء مبنية على الولاء للمسلم

---

(١)–في مقالٍ له بعنوان(الإنسانية والطائفية:صراع الأضداد)،نُشر في(جريدة الريـــاض:الأحـــد ٢٠ المحـــرم ١٤٢٧هـــ – ١٩ فبراير ٢٠٠٦م – العدد ١٣٧٥٤).

(٢)–في مقالٍ له بعنوان(رمي الجمرات:المغزى الرمزي لمحاربة الشيطان)،نُشرَ في(جريدة الرياض:السبت ١٤ من ذي الحجة ١٤٢٦هـــ – ١٤ يناير ٢٠٠٦م – العدد ١٣٧١٨).

ولو كان من جنس «الحجاج بن يوسف أو صدام حسين» والبراءة من غير المسلم ولوكان على شاكلة داعيي السلام والإنسانية «المهاتما غاندي ونلسون مانديلا»[1].

ولم يقف يوسف أبا الخيل عند ذلكَ الانحراف الخطير في قضية الولاء والبراء،بل تعدى ذلك إلى القولِ بأنَّ عقيدة الولاء والبراء التي طبَّقها النبي صلَّى الله عليه وسلم في المجتمع المدني قامتْ على أساسِ الوطن والبلد الواحد بغض النظر عن ملة الشخص وانتمائه الديني،يقول:" **كان يمكن فض الاشتباك بين هذه الولاءات لو تم الاعتراف من البداية بمدنية الولاء الهوياتي واعتبار الهوية الدينية التي تم تدشينها مع الانقلاب الأموي مجرد مرحلة على طريق تطور الفكر السياسي الاسلامي، كما كان عليه الأمر في التجربة الأوروبية القروسطية، كان يمكن مثلاً تفعيل مواد عقد الصحيفة**[2]**الذي عقده الرسول صلى الله عليه وسلم بين كافة سكان المدينة من يهود ومسلمين والذي ينص على الدفاع عن المدينة وحمايتها(هوية مدنية) كجامع هوياتي لسكانها، مقابل فردية الهوية الدينية، لقد كان ذلك العقد بمثابة عقدٍ اجتماعي صرف يجعل العقيدة وما يترتب عليها من ممارسة شعائرية اختياراً شخصياً، بينما يجمع كافة السكان حول شأن مدني يمكن له**

---

(١)–في مقال له بعنوان(فلسفة الولاء والبراء في الإسلام)،نُشرَ في جريدة الرياض،بتاريخ: الثلاثاء ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ – ٢٦ يوليو ٢٠٠٥م – العدد ١٣٥٤٦ .

(٢)–حكمَ جمعٌ من الباحثين على مرويات هذه الصحيفة وأسانيدها بأنها ضعيفةٌ لا تصح،وينبغي عدم الاحتجاج بها،وعلى فرضِ ثبوتِ صحتها فإنه ليس فيها تقريرٌ أو تأصيلٌ البتة لعقيدةِ الولاء والبراء على أساس الوطنِ أو البلد الواحد،وإنَّما غاية ما فيها –كما ذكَرَ بعض العلماء–التطبيق العملي لأخلاقِ البرِ والعدلِ مع اليهودِ غيرِ المحاربين،وهذا داخل في دائرة المعاملة بالحسنى وليس له علاقة بالولاء والبراء، كما نصَّ على ذلكَ القرآن العظيم:{لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }[الممتحنة:٨]،أمَّا ما جاء في بنود الصحيفة عن الصلح مع اليهود بغير الجزية فهو منسوخ بآية الجزية: {قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ }[التوبة:٢٩]،وكان ذلك في سنة تسع،ومن المعروف أنَّ سورة التوبة من أواخر ما نزل على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم.انظر:"السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية": (ص/٣٠٦–٣١٨)للدكتور:مهدي رزق الله،و"بيان الحقيقة في الحكم على الوثيقة(وثيقة المدينة)": (ص/٣٣،و٣٨–٣٩)للأستاذ/ضيدان اليامي،و"المجتمع المدني": (ص/١١١)للدكتور:أكرم العمري.

مع شيء من التفعيل أن يوحد بينهم على أساس قيم مشتركة من التآخي والتعاضد والتعاون والاعتراف العقائدي المتبادل"[1].

هـ-ويقول عبد الله بن بجاد العتيبي في مقالٍ له بعنوان:"أفكار العنف والبيئة التي تخلقه":**"إن أفكاراً كالولاء والبراء والحاكمية،وجاهلية المجتمعات المسلمة والعزلة الشعورية والغربة وغيرها من الأفكار التي تشكل عموداً فقرياً يقف به الأرهاب والعنف على قدميه هي أفكار بعيدة الجذور وكثيرة التشعب في الخطاب الديني السائد لدينا، وأي محاولة لجعل الخطأ في فهم هذه الأفكار وتطبيقها وليس فيها ذاتها لا يمكن أن يكون حلاً بل سيكون تكريساً لها، وآلية الولاء والبراء تحديداً كانت على مدار التاريخ الإسلامي الايديولوجيا التي تتبناها الفرق الخارجة عن القانون العام والمعبرة بعنف عن سخطها على السلطة كالخوارج والشيعة، وذلك في مقابل السلطة تلك التي تتبنى بدورها أيديولوجية الطاعة والجبر لتقابل بها تلك الفرق، وحين يصبح الولاء والبراء المصنوع تاريخياً أساساً في خطاب ديني ما فإنه بالتأكيد سيجعله يأكل نفسه وأبناءه ومجتمعه لأنه يقوم أساساً على اختزال المشهد المجتمعي المتنوع في طيفين اثنين، ويختزل بالتالي المواقف منهما في موالاة تامة او عداوة تامة، في غفلة تامة عن مدى التداخل في المجتمع الإنساني نفسه الذي يلزم منه ضرورة التداخل في المواقف المتخذة تجاه كل جزء منه"**[2].

---

(١)-في مقالٍ له بعنوان:(إشكالية الولاءات المزدوجة)،نُشِرَ في جريدة الرياض،بتاريخ: الأحد ١٨ ربيع الأول ١٤٢٧هـ - ١٦ أبريل ٢٠٠٦م - العدد ١٣٨١٠ .

(٢)-انظر موقعه على الشبكة العنكبوتية.

-تعليق:

كلام ابن بجاد السابق،فيه زلل عظيم،وانحراف رهيب،مع ما فيه من التحريف والتزوير،وهذا يتضح فيما يلي:

١-أَنَّ في كلامه دعوةً سافرة لإلغاء عقيدة والولاء والبراء،فليس سبب التطرف والغلو من منظاره المنحرف ناجماً عن الفهم الخاطيء لقضايا الولاء والبراء من أولئك الغلاة المنحرفين،بل السبب الرئيس في ذلك يتمثل في عقيدة الولاء والبراء نفسها!!!.

٢-أَنَّه نسب عقيدة الولاء والبراء لبعض الفرق المنحرفة كالخوارج والشيعة من أجل تنفير الناس عنها-عياذاً بالله-،والحق أَنَّ الخوارج والرافضة لهم فهم خاص لقضية الولاء والبراء يُخالفون به أهل السنة والجماعة،ففرقة الخوارج مثلاً لا تُوالي إلاَّ من يدين بنحلتها القائمة على تكفير مرتكب الذنوب وخاصة الكبائر[1]،والرافضة تقول:لا ولاء إلاَّ ببراء:أي لا يتولى أهل البيت حتى يتبرأ من أبي بكر وعمر[2]-رضي الله عنهما-.

ولئن كانت فرقتا الخوارج والروافض قد انحرفتا في عقيدة الولاء والبراء،فلا يعني هذا أبداً أن نلغي هذه العقيدة من أصلها وأساسها،بل الواجب-حينئذٍ-أَن نرد عليهم فهمهم المنحرف،وأنْ نفهم هذه العقيدة،كما فهمها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

إنَّ هذه العقيدة المباركة دلَّت عليها نصوص الكتاب والسنة،بحيث صارت أصلاً من أصول الاعتقاد،وتاريخ الأنبياء الزَّاهر -عليهم الصلاة والسلام-عبر جهادهم الطويل مع أممهم يشهد بهذه الحقيقة كما هي الشمس في رائعة النهار،فهاهو الخليل إبراهيم-عليه السلام- يُعادي قومه ويتبرأ منهم،بسبب كفرهم وانحرافهم عن الصراط المستقيم ،ويعلن ذلك بكل صراحةٍ ووضوح،ويأبى-عليه السلام-أن يلتقي معهم تحت مظلة الحب والود حتى يؤمنوا بالله وحده،وقد جعل الله-عز وجل- هذا الموقف الإيماني الباهر لإبراهيم-عليه السلام- أسوةً للأمم من بعده،وبخاصةٍ الأمة الإسلامية،قال تعالى:{**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا**

---

(١)-"التنبيه والرد":(ص/٥٣)للملطي.

(٢)-"شرح الطحاوية": (ص/٥٣٢).

بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ...}[الممتحنة:٤].

يقول شيخ المفسرين ابن جرير الطبري-رحمه الله-في تفسير الآية:" قد كانت لكم أُسوة حسنة في إبراهيم والذين معه في هذه الأمور التي ذكرناها من مباينة الكفار ومعاداتهم، وترك موالاتهم ...يقول تعالى ذكره: فكذلك أنتم أيها المؤمنون بالله، فتبرّءوا من أعداء الله من المشركين به ولا تتخذوا منهم أولياء حتى يؤمنوا بالله وحده ويتبرّءوا عن عبادة ما سواه وأظهروا لهم العداوة والبغضاء"(١).

يتضح مِمَّا تقدم أَنَّ مفهوم الولاء والبراء عند أهل السنة لا ينطلق من أهواءٍ ثائرة ولا من حظوظٍ نفسيةٍ-كما هو الشأن عند أهل البدع والأهواء-،بل يقوم على أساس الدِّين والعقيدة الصحيحة،فمن كان مؤمناً وجبت موالاته ونصرته ولو كان أبعد الأبعدين،ومن كان كافراً وجبت معادته والبراءة منه ولوكان أقرب الأقربين.

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله-:"وحيث أَنَّ الولاء والبراء تابعان للحب والبغض،فإنَّ أصل الإيمان أن تحب في الله أنبياءه وأتباعهم،وتبغض في الله أعداءه وأعداء رسله"(٢).فملخص العبارة :**ما ذنب من يحب من أحبه الله ويبغض من أبغضه الله ؟**

---

(١)-"تفسير الطبري": (٦٢/٢٨).

(٢)-"الفتاوى السعدية": (٩٨/١).

وممَّا ينبغي التنبيه عليه هاهنا أَنَّ هذا الأصلَ العقدي العظيم لا يعني بحالٍ أنْ نظلم الكافرينَ،أو نتعدى على حقوقهم المقررة في الشريعة الإسلامية،كحرمة دماء أهل الذمة والمعاهدين،وحرمة أموالهم وأعراضهم وكرامتهم،والرفق واللطف في معاملتهم،فهذا كُلُّه يدخل في دائرة المعاملة بالحسنى،ولا علاقة له بالولاء للكافرين،والأصل في ذلك قوله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }[الممتحنة:٨].

يقول شيخ المفسرين ابن جرير-رحمه الله-بعد أن ساق أقوالٍ مختلفة في تفسير الآية-:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِي بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرُّوهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم، إن الله عزّ وجلّ عمّ بقوله:(الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ) **جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصصْ به بعضًا دون بعض، ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ، لأن برّ المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب، أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غير محرّم ولا منهيّ عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له، أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكُراع أو سلاح. قد بين صحة ما قلنا في ذلك، الخبر الذي ذكرناه عن ابن الزبيرفي قصة أسماء وأمها"**[(١)].

"وفي تفسير آيات الأحكام للشافعي رحمه الله مبحث هام يتعلق بهذا الصدد نسوقه أيضاً بنصه لأهميته:"قال:"قال الله عز وجل:{ لاَّ يَنْهَاكُمُ الله عَنِ الذين لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدين } الآية .قال :يقال:**والله أعلم إن بعض المسلمين تأثر من صلة المشركين أحسب ذلك لما نزل فرض جهادهم وقطع الولاية بينه وبينهم ونزل { لاَّ تَجدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بالله واليوم الآخر يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ الله وَرَسُولَهُ }[المجادلة : ٢٢]الآية،فلما خافوا أن تكون المودة الصلة بالمال أنزل{ لاَّ يَنْهَاكُمُ الله عَنِ الذين لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدين وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وتقسطوا إِلَيْهِمِ إِنَّ الله يُحِبُّ المقسطين إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ الله عَنِ الذين قَاتَلُوكُمْ فِي الدين وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُواْ على إِخْرَاجِكُمْ أَن**

---

(١)-"تفسير الطبري": (٢٨/٦٦).

تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فأولئك هُمُ الظالمون }،وكانت الصلة بالمال والبر والإقساط ولين الكلام والمراسلة بحكم الله غير ما نهوا عنه من الولاية لمن نهوا عن ولايته مع المظاهرة على المسلمين ، وذلك لأنه أباح بر من لم يظاهر عليهم من المشركين والإقساط إليهم ولم يحرم ذلك إلى من لم يظاهر عليهم بل ذكر الذين ظاهروا عليهم فنهاهم عن ولايتهم إذ كان الولاية غير البر والإقساط ،وكان النَّبي صلى الله عليه وسلم فادى بعض أسارى بدر،وقد كان أبو عزة الجمحي ممَّن منَّ عليه،وقد كان معروفاً بعداوته ، والتأليب عليه بنفسه ولسانه،ومنَّ بعد بدر على ثمامة بن أثال،وكان معروفاً بعداوته، وأمر بقتله ثم منّ عليه بعد أسره وأسلم ثمامة وحبس الميرة عن أهل مكة فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأذن له أن يميرهم فأذن له فمارهم . { وَيُطْعِمُونَ الطعام على حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً } [الإنسان : ٨] والأسرى يكونون ممن حاد الله ورسوله"[١].

يقول ابن حجر-رحمه الله-:"اَلْبِرُّ وَالصِّلَة وَالْإِحْسَان لَا يَسْتَلْزِمُ التَّحَابُبَ وَالتَّوَادُدَ اَلْمَنْهِيَّ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:(لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاَللَّهِ وَالْيَوْم اَلْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اَللَّه وَرَسُولَهُ . اَلْآيَة فَإِنَّهَا عَامَّةٌ فِي حَقِّ مَنْ قَاتَلَ وَمَنْ لَمْ يُقَاتِلْ"[٢].

---

(١)-"أضواء البيان": (١٥٤-١٥٥)للشنقيطي،بتصرف يسير.

(٢)-"فتح الباري": (٥/٢٣٣).

فهذه هي ثقافة التسامح والرحمة التي نادى بها الإسلام قبل أربعة عشرة قرناً من الزمان،وهي الوسطية بين تحريف الغالين وتمييع الليبراليين.

ويدخلُ في دائرة انحرافهم في عقيدة الولاء والبراء:الثناء والمدح لأرباب الضلال والانحراف،سواء أكان ذلك على مستوى الأديان والمذاهبِ الأرضية المعاصرة كالشيوعيين والزنادقة والفلاسفة أو على مستوى الفرق الضالة المبتدعة كالمعتزلة و الجهمية،والترويج لما يحملونه من أفكارٍ ومعتقدات.

-أقوال الليبراليين في هذا الجانب:

أ-يقول جودت سعيد:"والشعور بالأناقة-المدنية-قد يكون في صورةِ انتصارٍ عسكري،أو عدالة اجتماعية،كما في الثورة البلشفية،أو في صورة حقوق إنسان،كما في الثورة البلشفية..."[(١)].

-تعليق:

لنا مع كلام جودت سعيد في مدحه للثورة البلشفية الشيوعية الوقفات الآتية:

١-إنَّهُ لمن عجائب الأمور أن يتناسى جودت المآسي التي تركتها الشيوعية في العالم؟!فقد حرمت الإنسان من حريته ومن حقه في أن يجني ثمرة عقله،وحقه في السعي والابتكار،وأرادت ان تساوي قسراً بين الناس.

٢-لماذا يتناسى جودت أن الشيوعية قد حاربت الأديان والقيم والأخلاق العليا،وسحقت كل المعارضين،وعاش ملايين المسلمين مضطهدين،أو منفيين إلى سيبريا؟!

٣-لماذا يتناسى جودت سعيد أن المسلمين كانوا في ظل الشيوعية الملحدة الآثمة يحتفظون ببعض نسخ القرآن في الأبنية والدهاليز لينقلوها إلى أبنائهم بعيداً عن أعين السلطات الكافرة[(٢)].

أبعد هذا كله هل ثَمَّ مجال لأحدٍ كائناً من كان أن يرى العدالة الاجتماعية تتمثل في الثورة البلشفية الحمراء؟!

---

(١)-"فقدان التوازن الاجتماعي": (ص/٢٧)لجودت سعيد.

(٢)-انظر:"المدرسة العصرانية في نزعتها المادية":(ص/٩٧).

ب-وهاهو خالص جلبي(شيخ العصرانيين في القصيم)يُشيدُ بالزِّنديق(محمود محمد طه)[1]. ،ويَكيلُ لهُ الثَّناءَ العاطرَ،ويتباكى على إعدامه منْ قبلِ الحكومة السودانية في عهد الـــرئيس محمد جعفر النميري،يقول:"وفي عام ١٩٧١م أُعدم"محمود طه"في السودان بيد الطغمـــة العسكرية بتهمة الردة،**وكان الرجل مجدداً،ولم يكفر ولم يرتد**،ولكنَّها الـــسلطة الـــتي لا تتحمل النقد والمعارضة" [2].

ج-أَمّا محمد بن علي المحمود،فقد أثنى على رموز التنوير من الفلاســـفة،والتنويرين،حيث يقول:"بينما **كان فيلسوف التنوير الأكبر(فولتير)على فراش الموت حضر إليـــه رجـــل الدين الكهنوتي،يطالبه بالاعتراف؛ليحقق له الغفران،وبما أن فيلسوف التنـــوير قـــضى عمره الطويل في العمل في فضح الدجل الكنسي،وتعرية الاســـتغلال الكهنوتي،فقـــد رفض هذا الإجرا الذي لو قبله لكان تضحية(فضائحية،بمسيرة عمره التنويري الملـــئ بالصراع مع عالم الخرافة**"[3].

ويقول:"**رحلة البحث عن الإنسان، من خلال البحث عن العقل الممكن وإمكاناتـــه، ومن خلال التمحور الحقوقي حول حريته المسلوبة، ومن خلال البحث عـــن ســـبل انعتاقه من أسْر ماضيه، ووضعه على عتبات المستقبل، كانت ملحمة من أروع الملاحم في تاريخ البشرية. تلك الرحلة التي بدأت بوادرها الخافتة منذ القرن الثالـــث عـــشر الميلادي، وظهرت جلية في المنجزات النظرية التي تعكس الوعي، كما عنـــد لـــوثر،**

---

(١)- قُتِل هذا الرجل مُرتداً؛لأنَّه أَدَّعى النُّبُوَّة،ولمعرفة المزيد حول أفكار هذا الرجل،والتَّبصر في شخصيته،انظر المصادر الآتية:

-موقف الجمهوريين من السنة النبوية)لشوقي شبير.

-الردة ومحاكمة محمود محمد طه)للمكاشفي طه الكباشي.

(٢)-مجلة الشرق الأوسط،العدد(٨٣٢٤)في ١٢/٩/٢٠٠١م.

(٣)-كتاب الرياض الإلكتروني"حروف وأفكار":(ص/١٧)لمحمد بن علي المحمود،في مقالٍ له بعنوان(التقليـــد والتوثين)،وقد نُشر في جريدة الرياض بتاريخ:١ /٩/٢٠٠٥م.

وسبينوزا، وديكارت.. الخ، إلى راسل، وهيدجر، وفوكر، وريكور، ودريـــدا.. الخ، مروراً بكانت، وهيجل، وروسو، وفولتير"[١].

ويقول:" **لم ينهض التنوير الأوروبي المجيد، الذي أخرج الإنسانية من ظلمـــات الجهـــل والتخلف والانحطاط، إلى نور العلم والتقدم والمدنية الإنسانية إلا على إيمـــان راســـخ وعميق بهذا الإنسان، إيمان متفائل، يتكئ على فعاليات عقلية، ومعطيات تجريبية مـــن عالم الوقائع المادية، ولكنه – قبل ذلك وبعده – يكاد يكون عقيدة كلية، تستولي على مشاعر أولئك الفلاسفة العظام، في عصر النهضة الأوروبي**"[٢].

ويقول مشجعاً لنشر ثقافة رواد التنوير:"**إنَّ كثيراً من كتب رواد التنوير العـــربي منـــذ الطهطاوي وإلى آخر كتاب ثقافي صدر في دور النشر العربية لا وجود لها في ذاكـــرة أبنائنا**"[٣].

ونقول لهذا الكاتب المفتون:ماذا تركت للأنبياء والمصلحين؟!

وانظر إليه كيف يثني على حسن المالكي؛لأَنَّهُ ذَمَّ منهج السَّلف وكتبهم،يقول:"**ولعلَّ مـــا واجه الشيخ المحقق حسن المالكي،عندما أصدر كتابه"قراءة في كتـــب العقائـــد" مـــن اهتياجٍ سلفي غير مبرر،كفيل بأن يبين حجـــم الـــذعر الـــذي يتلـــبس المـــؤدلجين والتقليديين،عندما يتم فضح مرتكزات الأدلجة ومحددات التقليد على نحو صريح**"[٤].

ولا غرو–بعدئذٍ–أنْ يثني المحمود على حركة التحرير المنحرفة في مصر،ويحاول جاهداً أن يتلمَّس لها الأعذار!،إذ يقول:"**ولو أننا نظرنا إلى مواقف كثيرٍ من رواد الأســـلمة مـــن**

---

(١)–في مقال له بعنوان:(المستقبل لهذا الإنسان)،نُشِرَ بتاريخ: الخميس ١٦ صفر ١٤٢٧هـ – ١٦ مـــارس ٢٠٠٦م – العدد ١٣٧٧٩ .

(٢)–المرجع السابق.

(٣)– كتاب الرياض الإلكتروني"حروف وأفكار":(ص/٢٦)لمحمد بن علي المحمود.

(٤)–المرجع السابق.

المسألة النسوية التي كانت تحدياً حضارياً منذ فجر النهضة،لوجدناها تتسم بالسلبية والاتهام.فحركة التحرير النسوية المصرية دارت عليها رحى الاتهامات وتم وضعها كنقطة انحراف في مسيرة العفاف والاحتشام الإسلامي.لم يحاول أي منهم أن يتفهم سياق تلك الحركة التي أرادت معانقة العصر بعد اصطدام المجتمع بالحداثة،فكانت خطواتها في ذلك السياق خطواتٍ تأخذ ردة الفعل أكثر مما تأخذ طابع الفعل.

لقد كانت تلك الحركة–وغيرها من فعاليات التنوير آنذاك–محاولة لتحرير المرأة من قرون من القمع والحجر في ظلمات الحريم التركي.ماذا كان يمكن أن تفعل الحركة النسوية التي حايثت التحرر النسوي الأوروبي،ما دام أنَّ النهضوي الإسلامي يرفض أن يراها قضية؟!بل يسعى إلى شرعنة عهود القمع الحريمي،ويعارض أي فاعلية إيجابية دون تقديم البديل"[(١)].

وانظر إليه كيف يُعلن عن فرحه وسروره وابتهاجه بإقبال الجماهير في معرض الكتاب الأخير الذي أُقيم في مدينة الرياض على كتب المنحرفين من أصحاب المذاهب الهدامة،وعزوفها في الوقت نفسه عن كتب التراث الأصيلة التي يصفها–عياذاً بالله– بالعبثيات،ويا لها من كارثة!!يقول–المأفون–:"**...ما رأيناه في معرض الكتاب الأخير، لم يكن متوقعاً. لقد كان الاقبال ليس على تلك العبثيات والتراثيات، كما كان متوقعاً، بل رأينا القارئ الجماهيري يتجه صوب الكتب التي تؤسس لروح العلم والمعرفة النقدية بالواقع والتراث. ورأينا المشاريع العلمية النقدية تتصدر قائمة المبيعات، وبأرقام تدعو إلى التفاؤل بمستقبل واعد*، وقريب – نسبياً –.**

لقد كنتُ في غاية السعادة وأنا أرى كتب الجابري،وعبدالمجيد الصغير، وحسن حنفي، وعلي حرب، ونصر أبوزيد، وأبي يعرب المرزوقي، وخليل عبدالكريم، واليوسفي، والوردي، ومحمد مفتاح، ورمسيس عوض، والمسيري.. الخ، أراها محل احتفاء وتقدير وإقبال شرائي كبير، من قبل القارئين والقارئات. والمبهج، ان كل هذا يحدث، رغم الحجر الثقافي، والدعاية الايديولوجية العريضة، المضادة لهذه الأسماء أو بعضها. وهو ما

---

(١)–كتاب الرياض الإلكتروني"حروف وأفكار":(ص/٢١)لمحمد بن علي المحمود.

*لا يلزم من ازدياد مبيعات كاتبٍ ما القناعةُ أو الإعجاب بفكره أو منهجه.

يعني ان الإنسان يتحدى – لا شعورياً – ما يحس انه يتهدد إنسانيته، خاصة إذا مهدت له الظروف التي تكفل له حرية الاختيار"[1].

هـ-أما سعود السرحان،فلا يكتم ثناءه العاطر على الفلسفة وأصحابِها،بل يتباكى على عدم وجود جامعات في المملكة العربية السعودية تدرس الفلسفة،يقول:"**نحن مثل كثير من بحارة الجاذيف، نقضي أعمارنا ونحن نجذف باتجاه وعيوننا معلقة إلى الوراء باتجاه مغاير"، هذه الجملة البليغة تصور حال العلم والثقافة في السعودية بكل دقة، وتشرح سبب الجمود الذي أصاب الحركة السلفية؛ فقد ظلت نظرة ابن تيمية الحراني (٦٦١-٧٢٨هـ/ ١٢٦٣- ١٣٢٨م) إلى كثير من المسائل، والفلسفة واحدة منها، هي الحَكَمُ عند السلفيين على شتى توجهاتهم، ولم تتعرض مواقف ابن تيمية للدراسة والتمحيص، بل بقيت أسيرة التقليد من الأتباع، وصار غايةُ مطلب هؤلاء القوم فهمَ كلام ابن تيمية على وجهه، وقلَّما كانوا يفعلون ذلك، فضلاً عن النظر في صحة هذا الكلام أو ما وراءه، وصارَ غايةُ بعضهم، وكدت أقول غالبهم، الاكتفاءَ بنقل كلام ابن تيمية دون تكلُّفِ فهمٍ له أو دراسة، مما أدى إلى جمود الفكر، وضعفِ حال كثير من المنتسبين إلى وخريجي معاهده ومدارسه وجامعاته، ولو أخذنا "الفلسفة " مثالاً، فانظر إلى موقف ابن تيمية ودراسته لها، وقارنه أول ما تقارنه بموقف تلميذه ابن القيم، في كتابه "إغاثة اللهفان"فيتبين لك صدق كلامي.**

تتجاوز أهمية هذا البحث مجرد كونه عرضاً لموقف ابن تيمية من الفلسفة إلى توضيح آثار هذا الموقف على الواقع العلمي والثقافي في السعودية، **فبسبب هذا الموقف توجد في السعودية قرابة عشر جامعات وعشرات الكليات لا تحوي بين جنباتها قسماً واحداً لدراسة الفلسفة، واعتماداً على نظرة ابن تيمية إلى الفلسفة التي تراها كفراً وضلالاً لم تتجرأ أي جامعة سعودية على فتح قسم للفلسفة في أيٍ من كلياتها، ولا على تدريس**

---

(١)-في مقالٍ له بعنوان:(المستقبل لهذا الإنسان)،نُشِرَ في جريدة الرياض،بتاريخ: الخميس ١٦ صفر ١٤٢٧هـ - ١٦ مارس ٢٠٠٦م – العدد ١٣٧٧٩ .

مواد فلسفية، وإن مرَّ ذكر الفلسفة عَرَضاً فينبغي وصفها بالكفر والضلال، والتأكيد على أن تحكيم العقل هو طريق الهلاك.

...هذه نماذج من آثار موقف ابن تيمية من الفلسفة ونظرته إليها، ولا يتوقف هذا التأثر على جامعة الإمام بل يتعداها إلى جميع الجهات التعليمية في السعودية،ومع هذا التأثير الكبير لابن تيمية إلا أنه لم تظهر حتى الآن (في السعودية) أي دراسة علمية محايدة تدرس موقف ابن تيمية من الفلسفة"[1].

و-يوسف أبا الخيل يثني على رجلٍ متهمٍ بالزندقة وهو(عبدالله بن المقفع)،يقول:"**عبدالله بن المقفع أحد أعلام «فقه السياسة العربي»صاحب أشهرترجمة عن التراث الهندي بفضل ترجمته لكتاب (كليلة ودمنة) والذي يعد من أبرز الكتب القديمة التي خلدها التاريخ،وهو من تأليف الفيلسوف الهندي بيدبا،ويقدم الكتاب الكثير من الحكم والمواعظ التي يلقيها الفيلسوف على مملكة دشليم جاعلاً الحيوانات أبطالاً لقصصه،مما جعله – أي الكتاب – يظهر بأسلوب جذاب وحافز للقارئ للاستمتاع بقراءته حتى النهاية.**

هذا العَلَم العربي (وهو بالمناسبة من أصل فارسي) قام بالتنظير لمسألة لا زالت حتى الآن وبعد مرور ما يقرب من ألف وثلاثمائة سنة على وفاته شاغلة دنيا العرب والمسلمين، وهي مسألة العلاقة بين الشأن الديني والشأن المدني، أو بتعبير هي مناسبة للتراث الذي كان ابن المقفع ينطلق منه آنذاك العلاقة بين الدين والدنيا"[2].

ز-أمَّا إبراهيم البليهي الذي يعتبر أحد رموزهم الكبار،فلا يجد غضاضةً ولا حرجاً في حشدِ هالاتِ الثناء والمدحِ على جماعةٍ من المنحرفين كالفلاسفة اليونانيين،و رموز الحداثة كأدونيس و جبران خليل جبران و جبرا إبراهيم جبرا،وزكريا نجيب محمود الذي يعد رأساً من رؤوس العلمنة والتغريب.

---

(١)-في مقالٍ له بعنوان(الحكمة المصلوبة:مدخل إلى موقف ابن تيمية من الفلسفة)،نشر في موقع(جدل)الذي يشرف عليه بتاريخ:(٢٣ديسمبر ٢٠٠٣م).

(٢)-في مقالٍ له بعنوان(العلاقة بين الديني والمدني عند ابن المقفع)،نُشرَ في(جريدة الرياض:الخميس ٢٤ رمضان ١٤٢٦هـ – ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٥م – العدد ١٣٦٣٩).

يقول في مدحِ الفلسفة والفلاسفة اليونانيين[1]:" إن الفلسفة التي أبـــدعها اليونـــانيون ابتداء من القرن السابع قبل الميلاد والتي بلغت ذروة ازدهارها في القرن الخامس قبل الميلاد والتي أحياها الأوروبيون في العصر الحديث تمثل طفرة ثقافية هائلة على المستوى الانساني كله فهي أول انطلاقة ذاتية للعقل البشري خارج السائد والموروث فقد كان الناس قبلها وما زالوا في المجتمعات التي لم تستفد من الفكر الفلسفي يستـــسيغون أن يبقوا نسخاً مكررة ..."[2].

ويقول أيضاً:"لذلك فإن اهتداء الإنسان اليوناني إلى سبب العطالة الحضارية وإصراره بأن يتغلب على هذه العطالة الراسخة كان حدثاً غير مسبوق في التاريخ البشري إلا في الرسالات الإلهية التي ينحرف عنها الناس سريعاً لذلك فإن تكرار وصـــف البـــاحثين والدارسين لهذه الوثبة المذهلة بأنها معجزة يونانية فريدة يمثل عين الحقيقة .... (إلى أن قال):...ثم جاء الرومان واستولوا على بلاد الإغريق ومدّوا سلطتهم إلى الكثير من بلدان العالم في أوروبا وآسيا وأفريقيا وتبنّوا الكثير من نتاج الفكر اليوناني وراحوا يدرســـونه بشغف ويستمتعون به ويحاولون الاستفادة منه في معالجة أمور السياسة والمجتمع "[3].

ويقول أيضاً:" إن العودة لتاريخ الفلسفة أو تاريخ العلوم أو تاريخ الحضارة الغربيـــة بشكل عام تكشف للباحث كيف كانت الفلسفة اليونانية منذ القرن الـــسابع قبـــل الميلاد تتأمل وتتفكَّر في كل شيء وتحاول بمنهج التأمل العميـــق والـــتفكير النظـــري

---

(١)-يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-في شأنِ الفلاسفة اليونانيين-:"وأما أرسطو وأصحابه فكـــانوا مشركين يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب،ويبنون لها هياكل في الأرض،ويصوِّرون لهـــا أصـــناماً يجعلون لها طلاسم،من جنس شرك النمرود بن كنعان وقومه الذين بُعث إليهم إبراهيم الخليـــل-صـــلوات الله وسلامه عليه-،وهكذا كان دينهم قبل ظهور دين المسيح فيهم.وكان أرسطو قبل المـــسيح بنحـــو ثلثمائـــة سنة"."كتاب الرد على المنطقيين":(ص/٢٨٣)بتصرف.

(٢)-في مقالٍ له بعنوان(الفكر الفلـــسفي هـــو العامـــل الحاســـم في ثقافـــة الغـــرب)،نُـــشرَ في (جريـــدة الرياض:١٧/١٠/٢٠٠٤م).

(٣)-في مقالٍ له بعنوان(أصالة الظلم في الطبيعة البشرية)،نُشرَ في (جريدة الرياض:١٦/٧/٢٠٠٣م).

الخالص والجهد المنظَّم أن تفهم الكون وأن تتعرَّف على نظامه وعناصر تكوينه ثم مع الفلاسفة المتجولين ومع سقراط وأفلاطون وأرسطو وسَّعَت الفلسفة دائرة اهتماماتها فصارت تحاول أن تفهم طبيعة الإنسان والمجتمع والحاضر والماضي والمصدر والمسعى والمصير وكانت تقترح القوانين لتنظيم المجتمعات وتتحرى بها تحقيق العدالة وتقييد السلطة وتقليص أسباب الجور كما كانت تبشِّر بالقيم الإنسانية العليا وتُشيع الإيمان بالنزعة الفردية وتحرِّض الأفراد على الخروج من كهوف السائد من الأفكار والقيم والممارسات كما ابتكرت الفلسفةُ النظام الديمقراطي وأشاعت الحرية وأكدت على حقوق الإنسان وتقييد السلطات وإشهار حق الناس بالأمان وبالشفافية والوضوح والخروج من قيود الخوف وخنادق الإخفاء.....(إلى أن قال):...إن الفلسفة اليونانية التي ورثها الأوروبيون كانت طفرة هائلة في التفكير البشري لذلك فإنها في ذلك الوقت المبكر من التاريخ الإنساني"[1].

وانظر-رعاك الله-كيف يضع إبراهيم البليهي رموز الحداثةِ والزندقة المعاصرينَ كأدونيس و جبران خليل جبران و جبرا إبراهيم جبرا في قائمة الإبداعِ والمبدعين؟!ويا ليت شعري أي إبداع هذا؟!

يقول في شأن أدونيس[2]:"في مجتمع تقوم ثقافته على المشافهة وتعتمد السماع ويستهويه الارتجال في الفكر والفعل وينحصر عنده الإبداع في قول الشعر وتوارثت أجياله هذا التطبيق الخالق للإبداع.. في مثل هذا المجتمع كالمجتمع العربي لا يجد المبدعون وسيلة للتعبير عن أنفسهم سوى فن الشعر الذي هو فن العاطفة وليس صناعة العقل وهو فن الارتجال وليس نتاج الاستقصاء ولا ثمرة الجهد المديد لذلك نجد أن مبدعاً تنوعت مجالات نبوغه مثل غازي القصيبي لا يريد أن يعرفه الناس إلا بأنه شاعر ويرى أنه لن يبقى من إنتاجه سوى الشعر ولن يتذكره الناس إلا بما أبدعه في هذا المجال رغم أنه أبدع في مجالات كثيرة

---

(١)-في مقالٍ له بعنوان:(علوم الغرب ما زالت نشاطاً فلسفياً)،نُشرَ في(جريدة الرياض:٣١/١٠/٢٠٠٤م).

(٢)-هو شاعر سوري باطني نصيري خبيث من زنادقة هذا العصر، جحد الوحي وأنكر ثبوته،واسمه"أدونيس"يعني إله الخصب عند الفينيقيين!!!،ويعد أدونيس من أبرز شعراء الحداثة والمجون والفسق والخلاعة في العصر الحديث.انظر:"مجلة البيان": (العدد:١٦٤)،ص(٧٤).

ومتباينة **ومثله يفعل أدونيس فهو يعتقد بأن الناس سوف لا يذكرونه بالثابت والمتحول بمجلداته الأربعة ولا بغيره من الكتابات النثرية المثيرة والكثيرة وإنما يريد أن يُعرف بأنه شاعر وهو يفضِّل هذا الوصف على وصف المفكر أو المثقف أو الكاتب أو الباحث**"[1].

ويقول في شأن جبران خليل جبران[2]:"هناك أديبٌ له شهرة عالمية هو **جبران خليل جبران متخصص دراسياً في الفن التشكيلي (الرسم) ولكن لأنه عاش في الغرب فإنه قد أبدع في الرسم مثلما أبدع في الشعر وفي الفن الروائي وفي الكتابة وقد راجت لوحاته في الغرب مثلما راجت أشعاره وكتاباته أما في المجتمعات العربية فإنه لا يُعرف إلا بأشعاره ورواياته وترجماته وكتاباته وحتى هذه لا يعرفها سوى شريحة محدودة من المثقفين**"[3].

(١)–في مقالٍ له بعنوان(تنوُّع مجالات الإبداع)،نُشر في(جريدة الرياض:٢٠٠١/٥/٦م)

(٢)–هو:جبران خليل جبران بن ميخائيل،ولد عام ١٣١٣هـ/١٨٩٥م لأسرة لبنانية مارونية،وسافر من صغره إلى بوسطن في أمريكا،وتعرَّف على ماري هاسكل فغيَّرت مجرى حياته،وسافر إلى باريس لتعلم الرسم على نفقتها،شارك في تأسيس الرابطة القلمية عام١٣٣٨هـ/١٩٢٠م في أمريكا وهي التي روَّجت لكتبه،مات في نيويورك عام١٣٤٩هـ/١٩٣١م،يعتبره الحداثيون القائد الأول للاتجاه الحداثي بسبب ما لديه من عقائد إلحادية،وشكية،وانحرافات سلوكية مثل الشذوذ الجنسي،إضافة إلى غرور شيطاني ركبه كان يعتقد معه انه نبي مخلص،ويعتقد أيضاً عقيدة التناسخ،إضافة إلى أنه عند وفاته طلب الكاهن الخوراسغف فرنسيس واكيم راعي كنيسة القديس يوسف المارونية في نيوريك ليموت بين يديه،فبئس الخاتمة–عياذاً بالله–.انظر:"تاريخ الشعر العربي الحديث": (ص/٢٩٥)لأحمد قبش،و"وأضواء جديدة على جبران"لتوفيق صايغ،و"المرشد لتراجم الكتاب والأدباء": (ص/٤٦)للغيثة بلحاج.

(٣)–في مقال له بعنوان:(تنوُّع مجالات الإبداع)،نُشرَ في جريدة الرياض،بتاريخ:٢٠٠١/٥/٦م).

ويقول في شأن جبرا إبراهيم جبرا[1]:"وإذا كان جبران خليل جبران قد تخصص دراسياً في الرسم وأبدع فيه وفي الأدب والفكر **فإن جبرا إبراهيم جبرا عكسه تماماً فقد تخصص دراسياً في الأدب ونال الماجستير من بريطانيا في الأدب الانجليزي لكنه أبدع في مجال تخصصه كما أبدع أيضاً في الفن التشكيلي فهو رسام مبدع وصدرت دراسات عن إبداعه في مجال الرسم لكن في المجتمعات العربية يعرفه المثقفون بأنه شاعر وباحث وناقد ومترجم وقاص وروائي**"[2].

ويصف زكي نجيب محمود الذي يعد رمزاً من رموز العلمانية المعاصرة[3]،بأنَّه المفكر العظيم،وأنَّه من أبرز الناصحين للأمة،حيث يقول:"**وقد كان المفكر العظيم زكي نجيب محمود رحمه الله من أشد المفكرين العرب إحساساً بالمشكلة الثقافية وأكثرهم معالجة لها وأطولهم حديثاً عنها لكن جهده ضاع في أمة لا تقرأ وإذا قرأت لا تدقق ولا تمعن النظر في ما يقال وتَحْكُم على الأفكار والرجال والأعمال بحكم مسبق**..(إلى أن قال

---

(١)–هو:جبرا إبراهيم جبرا،شاعر وناقد حداثي نصراني من فلسطين،رأس مجموعة الشعراء التموزيين الذين يصوِّرون حاضر العرب والمسلمين:عقيدةً وسلوكاً وقيماً وانتماءً؛تصويراً مليئاً بالشتم والاستخفاف،يصورون ذلك كله أرضاً خراباً ماتت فيها القيم الإنسانية ومعالم الحضارة،ثمَّ يلوِّحون بقيم جديدة وعقائد جديدة،ويرون أنَّ بلوغ العالم الجديد الذي يتوقون إليه وينتمون عقدياً إليه لا يكون إلا بالموت والهدم الذي يعقبه البعث والخصب أي بعث الآلهة تموز(وثن آشوري بابلي كانوا يعتقدون أنه رب المحاصيل والإنبات وأنه يموت كل شتاء ويولد في كل ربيع)وأدونيس(وثن الخصب اليوناني)٠انظر:"الانحرافات العقدية في أدب الحداثة وفكرها": (٢٣٥/١)،و"الحداثة الأولى": (ص/١١٢–١١٥)لمحمد جمال باروت،و"تاريخ الشعر العربي الحديث":(ص/٧٢٦)٠

(٢)–في مقالٍ له بعنوان:(تنوُّع مجالات الإبداع)،نُشرَ في جريدة الرياض،بتاريخ:٢٠٠١/٥/٦م)٠

(٣)–انظر:"مجلة البيان": (العدد:٦٩،ص(١٩٨)،،(العدد:٧٠،ص(٩١)،في دراسةٍ بعنوان(قراءة في فكر د٠زكي نجيب محمود)(ج١،ج٢)للدكتور:نعمان السامرائي٠

):..**وقد كان هذا المفكر الكبير من أبرز المفكرين الناصحين للأمة ومن أشدهم إلحاحاً عليها بأن تأخذ بأسباب النهوض وكان ناشطاً إلى آخر يوم من حياته** »[1].

ط–وهاهو مشاري الذايدي يروِّجَ لدينِ ابن عربي القائم على زندقةِ(وحدة الوجــود)في معرضِ حديثه عن التسامح لدى بعض المنحرفين الزائغين من المتصوفة،يقول:" ومن هــذه الجملة الاخيرة، حقوق الانسان، نُمسك بـ«السر» الذي يوجه مثل هذه التصرفات من هذا العالم المحدث المتصوف،**وهو الايمان العميق بفلسفة الحب، بل ان عبد القادر كــان يرى أن الناس، كل الناس، متروكون لله في شأن اختياراهم الدينية، حتى ولو في أصول العقائد،**ويقول في «مواقفه»، حسب سرد الباحث الجزائري، شارحا حــديثا نبويــا في صحيح البخاري وغيره: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجــران، وإذا حكــم الحاكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر واحد». يقول الأمير عن الحديث إنه: «**أعمّ في الحاكم المجتهد في الفروع الشرعية، أو الأصول العقلية الاعتقادية، إذ لا فرق بينــهما عنــد العارفين بالله تعالى، أهل الكشف والوجود، فإن كل واحد من المجتهدين في الفــروع والأصول فعل ما كلف به، وبذل وسعه، فوصل إلى ما أداه اجتهاده**».كان عبد القادر الجزائري يتمثل،**وهو يشرح قواعد التلاقي الانساني، ويحاول بناء جسور التواصل بــين**

---

(١)–في مقالٍ له بعنوان:(الثقافة بين المفهوم العلمي والاستخدام العربي)،نُشِرَ في(جريدة الرياض:الأحــد ٢٧ المحرم ١٤٢٧هـ – ٢٦ فبراير ٢٠٠٦م – العدد١٣٧٦١).

ابناء الأسرة الانسانية الواحدة،بوصفهم يبحثون عن حقيقة واحدة،كان في ذلك يتمثل فلسفة الحب التي أطلقها من قبله شيخه ابن عربي،وقد دفن الجزائري بجواره في دمشق.

ابن عربي الذي هتف قبل مئات السنين:

أدين بدين الحب(١) أنى توجهـــت...

ركائبه فالحب ديني وإيماني

---

(١)-دينُ الحب عند ابن عربي قائمٌ على زندقة(وحدة الوجود) الـــتي تُعـــدُّ العقيـــدة الكـــبرى في عقائـــد الصوفية،وهي تعني-بأوجز عبارة-:انَّ الله جلَّ وعلا والعالم شيء واحد!!وعليه؛فإنَّ القوم-وابـــن عـــربي في مقدمتهم-يعتقدون انَّ الله تعالى هو كلُّ ما يُرى،بل وما لا يرى أيضاً،ولذلك يقول ابن عربي:"فقل في الكون ما شئت.إنْ شئتَ قلتَ:هُوَ الخلقُ،وإنْ شئتَ قلتَ:هو الحقُ...:

فلا تنظر العينُ إلاَّ إليه ولا يقعُ الحكم إلا عليه"أ.هـ

يعني الزنديق أنَّ كل ما كل ما تقع العين عليه في الحياة فهو الله-تعالى الله عما يقول الزنادقة علوا كبيراً-،سل الصوفي في المواخير من ترى ثَمَّ؟وسل الصوفي يرعى الخنازير ماذا تسوق؟وسل الصوفي يرى الجيف المنتنة،والرمم البالية ماذا ترى؟إنك ستسمعه مجيباً-وهو يحدجك بالنظرة الساخرة-إنه الله!!!وعليه كما هو الشطر الثاني من البيت فإنَّ من عبد عجلاً أو صنماً أو صليباً أو حجراً او وثناً فهو-عند الزنادقة-عابدٌ لله على الحقيقة.

إذاً؛فالمعبود عند الصوفية لا يختلف من دينٍ لآخر فالكل هو الله،وفرَّعوا على ذلكَ صِحَّةَ كُلِّ دينٍ لأنَّ المعبودَ في كل دينٍ هو الله؛ومن هنا يجب على المرء محبة جميع الأديانِ ولا معنى حينئذٍ ولا وجه لبغض الأديان الأخرى التي لا يدين أصحابها بالإسلامِ إذ أَنَّ الكل واحد على الحقيقة.

وانطلاقاً من هذه الزندقة البشعة صرَّح ابن عربي قائلاً:"فإياك أن تتقيد بعقد مخصوص،وتكفر بما سواه،فيفوتك خير كثير،بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه.فكن في نفسك هيولي(أي ما يقبل التأثير)لصور المعتقـــدات كلها،فإنَّ الله تعالى أوسع وأعظم من أن يحصره عقـــد دون عقـــد...(إلى أن قـــال):...ومـــا ثَـــمَّ إلا الاعتقادات،فالكلُّ مصيبٌ،وكل مصيبٍ مأجورٌ،وكل مأجورٍ سعيدٌ،وكل سعيدٍ مَرْضِيٌّ عنه"أ.هـ

فقول ابن عربي هذا يعني بكل صراحةٍ ووضوحٍ أنَّ تجعل نفسك مهيئةً لتقبـــلِ كُـــلِّ معتقدٍ،ومحبتـــهِ والرضـــا به،واعتقادِ أنه حق.واحذر أن تقيد نفسك بدين خاص وتحارب سواه،فالآلهة المعبودة في كـــل ديـــن هـــي في حقيقتها الإله الواحد!!!وهذا ما ترجمه ابن عربي شعراً بقولهِ:

لقد صار قلبي قابلاً كُلَّ صورةٍ فَمَرْعَى لغزلانٍ ودَيْرٍ لرهبانِ

وبيتٍ لأوثانٍ وكعبةِ طائفٍ وألواحِ توراةٍ ومصحفِ قرآنِ

أدينُ بدين الحبِ أنَّى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني=

لكن، ومنعا لتضخم البياض الكاذب، فإن امثال عبد القادر الجزائري، نـــدرة في تراثنـــا، مسورون بأسلاك التصنيف والتضليل، ولكن لا بأس، فالنادر هو الاغلى"[1].

=انظر:"فصوص الحكم": (ص/١١٣)لابـــن عـــربي،و"تنبيـــه الغـــبي في تكفـــير ابـــن عـــربي":(ص/٩٨-١٠٠،و٢٤١)،و"الصوفية٠٠٠نشأهًا وتطورها": (ص/٥٩-٦٠)لمحمد عبده وطارق عبدالحليم٠

(١)-في مقالٍ له بعنوان:"إسكندرية...ليه"،نُشرَ في جريـــدة الـــشرق الأوســـط،بتاريخ الثلاثـــاء:٢٠ربيـــع الأول١٤٢٧هـــ ١٨إبريل٢٠٠٦م،العدد:١٠٠٠٣.

المعلم الثالث

موقفهم من التراث والتاريخ الإسلامي

المتأمل في مقالات الليبراليين،الدَّارس لها بتفحصٍ وتمعنٍ يظهر له-بجلاءٍ-أنَّ موقفهم من التراث يتمثل في الجوانب الآتية:

الجانب الأول:وصم هذا التراث بالرجعية والتخلف والتحجر والجمود على الماضي وعدم استشراف المستقبل،وبالتالي عدم جدواه في ظلِّ المستجدات الحديثة:

أ-يقول محمد المحمود:"**لن نستفد من تراثنا ما لم نسلط عليه ترسانة العلوم المعاصرة،لن نصنع عالمنا ما لم يحرر تراثنا من أسر الفهوم التي تشل قدرة هذا التراث على الفعل الإيجابي في سياق العصر**"[1].

ويقول بكل استخفاف:"**تصنيم التراث لم يقتصر على التراث،وإنما تعداه إلى سدنة التقليد،المتشدقين بصون التراث وحمايته،لقد أصبح هؤلاء السدنة أعظم صنمية من مقولات التراث ذاتها**"[2].

وانظر إليه كيف يصم الثقافة الإسلامية القائمة على ذلك التراث الأصيل بالرجعية والتقهقر والارتباط بعالم الغيب!!!،يقول:"**وبما أن الانهزامية الرجعية،وروح التقهقر، والارتهان للمعنى الميتافيزيقي*** **على حساب الإنسان، ظاهرة لا تغيب عن أي تجمع إنساني،فإنها لم تكن غائبة عن رحلة الإنسان الأوروبي نحو العلم والحضارة،ولكنها لم تكن هي المهيمنة على مجمل الوعي في كل مراحله. وهذا هو الفرق الحاسم. فبينما هي استثناء وهامش هناك، بقيت أصلاً ومتناً في ثقافتنا البائسة**"[3].

---

(١)-كتاب الرياض الإلكتروني"حروف وأفكار":(ص/١٤)لمحمد بن علي المحمود.

(٢)-المرجع السابق.

*الميتافيزيقا(METAPHYSICS):مصطلح فلسفيٌّ يُرادُ ما كانَ في(دائرة الغيبيات)،ويعبر عنه أيضاً بما هو كائن(وراء المادة أو الطبيعة).انظر:"معجم المطلحات الفلسفبة":(١٣٤/٢)لخليل أحمد خليل.

(٣)-في مقالٍ له بعنوان:"المستقبل لهذا الإنسان"،نُشرَ في جريدة الرياض،بتاريخ الخميس:١٦صفر١٤٢٧هـ.

ويقول:" **إن الركام التاريخي الهائل من التخلف والانحطاط وازدراء الإنسان، هذا الركام الذي تم الاحتفاظ به كتراث خاص وكتاريخ مجيد**، بحيث يتمحور الوعي حوله، ويتشكل بروحه، يقف حاجزاً منيعاً ضد أي فعل تنويري حقيقي. هذا الركام هو عدو التنوير، وإن كان يمد عمليات التدليس والتزوير التي تتلبس بالتنوير بمفردات تحفظ لهذا التدليس نوعاً من الاتساق التلفيقي (التوفيقي) الذي يمنحه شيئاً من القابلية للاستهلاك الجماهيري الساذج"(١).

وقد ترتب على هذا الموقف السَّلبيِّ منْ تراثِ الأمةِ،دعوة خطيرة إلى التحرر من هذا التراث والانعتاق منه،وضرروة نقدِه-بدعوى التجديد والاجتهاد-،كما ظهر ذلك جلياً من خلال النقولات السابقة.

إنَّ هذه الدعوة الخطيرة ترفع في ظاهرها شعارات براقة خلابة كالتجديد والاجتهاد،غير أنَّها تحمل في طياتِها سُمَّا زعافاً ورجساً قذراً فهي كما يقال: (كلمة حقٍ أريد بِها باطل)،ذلك لأنها لم تؤسس في حقيقتها على تقوى من الله،ولا على هدى منه-جلَّ وعلا-،ولك أن تبصرَ ذلك من خلال النقاط الآتية:

١-أنَّهم ينطلقون في حركة تجديدهم واجتهادهم من نظرة استعلائيةٍ ملؤها الغطرسة والغرورحيث ينظرون لهذا التراث وأصحابه نظرة احتقارٍ وازدراء كما تقدَّم معنا.

٢-أنّهم ينطلقون في حركة التصحيح والنقد من منهج تغريبي خارجٍ عن تراث الأمة وقيمها الأصيلة.

٣-أنَّهم يرمون من وراء ذلك إلى تمييع الدين،وإفراغه من معانيه الأصيلة وحقائقه الشرعية،وتطويعه بحيث يكون ملائماً لأسيادهم من الغربيين.

---

(١)-جريدة الرياض، الخميس ٢ ذي الحجة ١٤٢٥هـ - ١٣ يناير ٢٠٠٥ م - العدد ١٣٣٥٢ .

٤-أَنَّهم لا يملكون أدوات التجديد والاجتهاد الشرعية؛إذ أنَّهم أجهل الناس بِها،ومع ذلك تراهم عبر المجلات والجرائد والقنوات الفضائية ينعقون ويصيحون بضرورة هذا الأمر.

فدعواهم إذاً بالتجديد والاجتهاد في هذا التراث لا تعدو-في حقيقة الأمر-أن تكونَ إلاَّ تحريفاً وتخريباً وتدميراً لهذا التراث-عياذاً بالله-.

الجانب الثاني:وصم هذا التراث بالتشدد والعنف والإقصاء واللا إنسانية،وأنّه المنبع الأساسي للتكفير والتبديع والتضليل الظالم:

أ-يقول منصور النقيدان:" الجنون الذي نراه اليوم عرض من أعراض المرض والعلة التي استشرت في جسد هذه الأمة وثقافتها، **وهذه راجعة أساساً إلى تراث متعفن،وثقافة الصديد والضحالة التي يربى أبناؤنا عليها صباحاً ومساءً، في المساجد،وعبر خطب الجمعة، وفي دروس الدين، ومن إذاعة القرآن الكريم**"[(١)].

-تعليق:

فانظر-يا رعاك الله-إلى سوء التربية،وقلة الدِّيانة،وبذاءة اللسان أن يُوصف تراث الأمة بالمتعفن!!!:

ب-ويقول محمد بن علي المحمود:"**ثقافة الإرهاب المعلنة التي تدعو صراحة إلى التكفير والقتل تشرعن لذلك بطرح شرعي سلفي يتكئ على مقولات السلف واستدلالاتهم،والإعلام الذي يصدر التفجير والقتل-بجز الرؤوس-كل ذلك خدم الإرهاب الخفي الكامن في خطاب التطرف المتعاطف مع الإرهاب**"[(٢)].

ويقول:"**الإرهاب جزء من مكونات السلفية التي كانت و لاتزال تتغنى بقتل المعارضين بوصفهم زنادقةٍ ومارقين*وربما بوصفهم عقلانيين...**"[(٣)].

---

(١)-انظر موقعه على الشبكة العنكبوتية.

(٢)- كتاب الرياض الإلكتروني"حروف وأفكار":(ص/٢٩)لمحمد بن علي المحمود،في مقالٍ له بعنوان(قنوات الدعاية للإرهاب)وقد نُشر في جريدة الرياض بتاريخ:٦/١٠/٢٠٠٥م.

*أرأيت أخي القارئ كيف ينافح المحمود بكلِّ جرأة ووقاحةٍ عنْ أسلافه من الزنادقة والملاحدة؟!!!

(٣)-المصدر السابق: (ص/٤٤)في مقالٍ له بعنوان(مفهوم التسامح(٢-٢)).

ويقول منددا بالتراث السلفي:"**...هذه الدعاوى الأصولية يمكن أن يكون لها وجه منطقي لو كانت المنظومة السلفية -في أساسها- خالية من مفردات التبديع والتضليل والتكفير على امتداد تاريخها،لو أَنَّ التطرف والتعصب الذي اتخمت به المراجع السلفية**"[1].

ويقول:"على السلفية التقليدية وما يتبعها من حركات أصولية أن تؤكد على أنَّ حالتها الراهنة المعلنة،**إنَّما هي تراجع حقيقي عن المفردات السلفية التاريخية ذات المنحى الإقصائي،لا يكفي مجرد السكوت المؤقت.**

المنظومة السلفية-كتوصيف واقعي-مليئة بالتبديع والتضليل والتكفير فهل تجرؤ رموز السلفية والأصولية المعاصرة أن تتبرأ بصراحةٍ ووضوح من كُلِّ ما ورد على هذه الصورة في التراث السلفي،ولو كان القائل به من الرموز الكبار والمرجعيات العظام؟!"[2].

ويمضي قائلاً في توصيف العقيدة السلفية متهكماً عليها:"**...ولا يقل وضوحاً عن النصين السابقين في دلالتها عن الإقصاء والنفي والتكفير ومعاداة الآخر قولهم في مقرر التفسير للصف الثاني ثانوي ص٣٢"سُئل الإمام احمد-رحمه الله-عَمَّنْ يقول:القرآن مخلوق؟فقال"كافر،فقيل بما كَفَّرته؟قال بآياتٍ من كتاب الله:{...وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ}والقرآن من علم الله،فمن زعم أنه مخلوق فقد كفر".**

ولك أن تتصور الطالب في الصف الثاني ثانوي وهو يتلقى مثل هذا الكلام مشيعاً بالتبجيل والتقديس للقائل"[3].

---

(١)-كتاب الرياض الإلكتروني"حروف وأفكار":(ص/٤٤)لمحمد بن علي المحمود،في مقالٍ له بعنوان(قنوات الدعاية للإرهاب)وقد نُشر في جريدة الرياض بتاريخ:٦/١٠/٢٠٠٥م.

(٢)-كتاب الرياض الإلكتروني"حروف وأفكار":(ص/٤٥)لمحمد بن علي المحمود،في مقالٍ له بعنوان(قنوات الدعاية للإرهاب)وقد نُشر في جريدة الرياض بتاريخ:٦/١٠/٢٠٠٥م.

(٣)-المصدر السابق.

ولا عجب بعدما تقدَّم أن يرمي المحمود الثقافة الإسلامية بأنَّها ثقافةٌ لا إنسانية؛لأنها تُصنِّف الناس بحسب دينهم إلى مؤمن وكافر!!،**يقول:"تصنيف الإنسان – لتحديد قيمته كإنسان – على أساس من قوميته أو دينه أو وطنه أو لونه.. الخ هو تعبير صريح عن سلوك لا إنساني، أنتجته ثقافة لا إنسانية بالضرورة".**

ويقولُ في نفس المقال:" درس الإنسان لم يكن حاضراً في تراثنا، أو – على نحو أدق – لم يكن حاضراً بالدرجة التي تكفي لزحزحة تصورات بدائية تمتهن القيمة الإنسانية في سبيل الأسطوري والخرافي. لقد حاول محمد أركون في كتابه الرائع (معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية) أن يبرز ما كان مطموراً من تراثنا المتأنسن؛ بوصفه كان بداية لمشروع إنساني عربي كتب عليه الفشل. لكن، لا الأشخاص ولا الإنتاج المحدود الذي اشتغل عليه يكفي لأن يكون متكأ لمشروع معاصر.

الأبعاد الإنسانية في الطرح التراثي كانت خروجا عن النسق الثقافي، وزمنها كان استثناء من التاريخ العام للأمة. إننا مهما احتفينا –الآن–بالجاحظ أو مسكويه أو التوحيدي أو المعري.. الخ؛ فسيبقى هذ الاحتفاء مجرد مرافعة هزيلة عن الذات. هؤلاء يؤكدون – بمغايرتهم – أن الركام الهائل من التراث لم يكن يتقاطع معهم في الهم الإنساني،وإنما كان–بكل زخمه–النقيض الثقافي، بل والاجتماعي لكل ما طرحوه.

وإذا أضفنا إلى ذلك أن هؤلاء–على كل ما لهم من اعتبار ثقافي كبير في السياق الفلسفي أو الثقافي والأدبي–لم يكن لهم تأثير فعلي في تصورات الأمة ووجدانها العام، أدركنا أن وجودهم في تراثنا كان وجودا نظريا، أي أنه كان في الحقيقة وجودا غير معتبر. الأمة كانت تسير خلف الأشعري والغزالي وابن تيمية.. الخ، ولم يكن جميع مؤنسني الثقافة منها – بجميع ما أنتجوه – يعدلون أثر مؤلف واحد، لأحد هؤلاء.

ويقول في نفس المقال:" بتأملنا لمفردات الاجتماعي وجزئياته، سواء العام منها أو الخاص، ندرك أننا لم نكن أحفاداً للجاحظ والمعري والتوحيدي، وإنما كنا أحفادا للمكفراتية والمبدعاتية والمفسقاتية..! هذا الإرهاب المجنون الذي قاسيناه ونقاسيه هنا، وهذا الشبق العارم للقتل في العراق خاصة، وفي غيره من أقطار العروبة والإسلام، بل هذا الأسلوب الوحشي في القتل والإرهاب الذي تمارسه جماعة الزرقاوي وغيرها من

صبية القاعدة الخارجية، هذا الإرهاب إلى أي مقولات يحتكم، ومن أية مرجعية تراثية يستقي؟. هل مصادره سلفيات تقليدية إقصائية، نعرفها جميعا ونتردد في تعيينها أم أنها لزوميات المعري ورسائل الجاحظ وهوامل وشوامل التوحيدي؟!!!

الإرهاب هو السلوك الأبرز، والأشد إعلانا عن نفسه في نفيه للإنساني من محيط ممارساته، الإرهاب الذي نراه هنا وهناك هو التعبير الصارخ عن الوعي اللاإنساني المتمدد داخل نسيجنا الثقافي، والذي قد يأخذ صوراً أخف وطأة وأقل عنفاً مما هو عليه في الحالة الإرهابية. لكن، ليس هو التعبير الوحيد عن غياب القضية الإنسانية في وعي شرائح عريضة من مجتمعاتنا المتخمة بتصورات الإقصاء والنفي[1].

ج-ويقول يوسف أبا الخيل:" إن إشاعة مثل هذا النشاط المسرحي الذي كسرت به أمانة منطقة الرياض المألوف وحامت حول الحمى بل ودخلته يجب أن يعمم على كافة المناطق بأن يكون للفنون بكافة مناشطها نصيب مفروض في الأعياد والمناسبات كافة، بما فيها المناسبات الوطنية كالاحتفالات باليوم الوطني **وأن لا نستمر نخاتل فقط للتحرر من ربقة خطاب متشدد باض وفرخ على ثقافتنا ردحاً من الزمن حتى صرفنا عن الاستمتاع بما أحل الله ورسوله لنا مما جعل الفرصة تلو الفرصة تحل وتؤسس لتوطين التشدد والتطرف وتدشين ثقافة الموت التي انتشرت في مناشطنا التعليمية والدعوية ردحاً من الزمن نتيجة لغياب ثقافة الفنون البديلة التي استبدلت بعروض متحركة ومتعوب عليها من أجل إثراء ثقافة تلامذة في عمر الزهور عن كيفية التكفين والتغسيل والتجهيز للدفن مما يغيب معه أية إشاعة لقيمة الحياة ويحضر بدلاً منها في أذهانهم ووعيهم ولاحقاً في لاوعيهم حب الموت وكراهية الحياة واستحضار تفاهة الدنيا واعتبار ما أعطيه من سنوات في هذه الحياة بمثابة استعداد لرحيل أُعطي جزءاً من فصوله وهو لم يزل بعد غض العود طري الفؤاد.**

إنها دعوة لإشاعة الفرح وقيمة الحياة ودفن لثقافة الموت والتزهيد في الدنيا، فهل تكون مبادرة أمانة منطقة الرياض في عرضها المسرحي الأخير على هامش احتفالات العيد

---

(١)-في مقالٍ له بعنوان:(نحن.. والإنسان)،نُشِرَ في جريدة الرياض،بتاريخ:(الخميس ٤ ربيع الآخر ١٤٢٦هـ - ١٢ مايو ٢٠٠٥م - العدد ١٣٤٧١ .

هي البداية لقطيعة معرفية مناشطية لا رجعة فيها مع ثقافة الموت؟ كل العشم والأمـــل أن لاتبادر مناشط وثقافة ذلك الخطاب المتشدد لوأد هذه البداية الواعدة مع إشـــاعة ثقافة التسامح والابتهاج بالحياة"[1].

د-ويقول حسن بن فرحان المالكي:"ولو أن الحكومة والأغنياء اقتصروا على نشر الكتب المحايدة،لكان أولى،كالمصحف الشريف ثم الصحيحان وكتاب الأم للـــشافعي وكتـــاب الاستذكار لابن عبد البر ونحوها لكان أولى،بل حتى الكتب المذهبية كالمغني في فقه الحنابلة والسنن الكبرى للبيهقي في فقه الشافعية والعناية في الفقه الحنبلي والمدونة في الفقه المالكية **لكان أولى من نشر الكتب الموغلة في المذهبية التي لها أثرها البـــالغ في زيـــادة الغلـــو وتفكيك وحدة المسلمين وزيادة تنازعهم،ككتب ابن تيمية وكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب-رحمهما الله-فهذه الكتب تزرع من الشقاق أكثر مما تزرعه من الخير،ولا تكاد تدخل بيتا إلا وانتشر فيه الخلاف والتهاجر والتباغض٠٠٠لأنها تركز علـــى أمـــور خلافية ثم تنصر الرأي المتشدد في هذه الأمور،ثم ترتب على عدم اتباع هذا الموقـــف التكفير أو التبديع مع وجوب الهجر والبغض لمن لا يوافقهم على هذا الرأي؛لأنـــه-في رأيهم-هو الإسلام ذاته!وهو النص!وهو الحق المطلق!..."**[2].

---

(١)-في مقالٍ له بعنوان:"الابتهاج بالدنيا كبديل لثقافة الموت"،نُشرَ في جريدة الرياض بتاريخ الثلاثاء:١٣ شوال ١٤٢٦هـــ-١٥ نوفمبر ٢٠٠٥م -العدد:" ١٣٦٥٨".

(٢)-"داعية وليس نبيا"حسن بن فرحان المالكي،هامش(ص/١٧٧).ط.دار الرازي،عمان-الأردن.

ويقول:"**وقد احتوت كتب العقائد–ومن أبرزها كتب عقائد الحنابلة–على كثير من العيوب الكبيرة التي لا تزال تفتك بالأمة ولعلَّ من أبرزها:**
التكفير،والظلم٠٠٠والقسوة في المعاملة٠٠وزرع الكراهية الشديدة مع عدم معرفة حق المسلم"[1].

تعليق:

أقول:كيف تنسج الأباطيل حول تراث السلف،بحيث يتهم بالإقصائية والتعنت والعنف؟!،بينما يُترك عن عمدٍ تراث أهل البدع والضلال،الجدير حقا بهذه الصفة،ولك أخي القارئ أن تطالع سيرةَ الإمام أحمد بن حنبل–رحمه الله–،وتتأمَّل في محنته مع المعتزلة والجهمية الذين امتحنوا الناس بخلق القرآن[2]،وكيف أنَّهم ألهبوا جسده–رحمه الله رحمة واسعة–ضرباً بالسِّياط تحت حرِّ الشمس المحرقةِ.

الجانب الثالث:وصم هذا التراث بعدم الموضوعية والانزواء عن الواقع،وأنّه قائم على الخرافة والتنكر للعقل:

أ–يقول محمد المحمود:"**إنَّ النقد الحقيقي لابُدَّ أن يفك البنية العامة للمناهج،تلك البنية التي تكونت بفعل الوعي الجماهيري المتلبس بالخرافي والعاطفي**"[3].

ب–عبد الله بن بجاد يرى أن الكرامات هي من قبيل الخرافات التي تنافي العقل[4].

---

(١)–"قراءة في كتاب العقائد": (ص/٩٦)للمالكي٠

(٢)–"سير أعلام النبلاء":(١١/٢٥١–٢٥٣)للذهبي–رحمه الله٠

(٣)–كتاب الرياض الإلكتروني"حروف وأفكار":(ص/٣٢)لمحمد بن علي المحمود،في مقالٍ له بعنوان(من حديث المناهج:المرأة والحجاب"

(٤)–في مقال بعنوان:(هيمنة الخرافة)، جريدة الرياض: الاثنين: ١٠ رجب ١٤٢٦هـ – ١٥ أغسطس ٢٠٠٥م – العدد ١٣٥٦٦ ،وسيأتي تفصيل هذا في ص١٢٧.

ويقول:"ومِمَّا لا شك فيه أنَّ ضخَ هذا الكم الهائل من الرؤى التنويرية في المجتمع ساعد إلى حدٍّ كبير في مواجهة **كتب الخرافة التي تبحث في عالم الأرواح والشياطين وأحوال الجان وثعابين القبور**"[1].

الجانب الرابع:وصم هذا التراث متمثلاً في كتاب الاعتقاد بأنَّها كتب تجسيم وتشبيه:

-يقول حسن المالكي:" :"**وقد احتوت كتب العقائد-ومن أبرزها كتب عقائد الحنابلة- على كثير من العيوب الكبيرة التي لا تزال تفتك بالأمة ولعلَّ من أبرزها:التجسيم الصريح...**"[2].

الجانب الخامس:وصم هذا التراث بأنَّه نشأ نتيجةً لدوافع وصراعاتٍ سياسية:

أ-يقول حسن بن فرحان المالكي عن أئمة الحنابلة:"**وتراهم يتناقضون في الصحابة ووجوب تقديرهم فيذمون الشيعة لأنهم ينتقصون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بينما لا يذمون النواصب ولا يذكرونهم بسوء مع أنهم كانوا يلعنون علي بن أبي طالب ويذمونه ويرمونه بكلِّ طامةٍ!!سواءً كان ذلك من قبل حكامهم من بني أمية أو علمائهم كحريز بن عثمان وثور بن يزيد ونحوهم بل يقومون بالفعل نفسه عندما يعدون عمار وأباذر وابن عديس وابن الحمق وغيرهم يعدونهم في اتباع عبدالله بن سبأ مع أنهم من كبار الصحابة!!!وابن سبأ أقرب للأسطورة منه للحقيقة فضلاً عن الدور المزعوم الذي يزعمونه له حتى عدوا في أصحابه كبار البدريين!!!بالإضافة إلى أنهم عندما ينتقدون من يسب الصحابة لايريدون-في الأغلب العام-الدفاع عن أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم وإنما جُلُّ اهتمامهم في الدفاع عن الطلقاء وخاصة معاوية!!فسب معاوية عندهم أعظم من سبِّ علي...**"[3].

ويقول:"**وبما أنه من المعلوم عند عموم المسلمين أنَّ قتال المسلم للمسلم حرام فالسياسات تستعين بالعلماء الذين يسوغون للحكام قتال المسلمين وكان الشيعة**

---

(1)-كتاب الرياض الإلكتروني"حروف وأفكار":(ص/25)لمحمد بن علي المحمود،في مقالٍ له بعنوان(من حديث المناهج:المرأة والحجاب".

(2)-"قراءة في كتب العقائد":(ص/96).

(3)-المصدر السابق: (ص/123).

يلزمون أهل السنة بالنصب والانحراف عن علي وأهل البيت ويعممون أخطاء الشاميين من المنتسبين إلى السنة على جميع السنة فرد أهل السنة بأنَّ الشيعو يغلون في أهل البيت وعمموا أخطاء وعقائد غلاة الشيعة على جميع الشيعة ثم تجاوز بعضهم ودافع الباطل عن بني أمية وكأنَّ المطلوب هو الدفاع عنهم كالدفاع عن أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة رضي الله عنهم ،أصبح نقد معاوية بن أبي سفيان(وهو من الطلقاء)غير مقبول عند السنة وأدخلوه في كتب العقائد وامتحنوا به الناس بعد أَنَّ كان متقدموهم يذمون ظلم معاوية وانتزاؤه على هذه بالسيف وجعله الخلافة ملكاً عضوضاً واستئثاره ببيت المال وما إلى ذلك من المفاسد التي أحدثها..."[1].

ويقول:"والخلاصة هنا:أنَّ ما ننشره في كتب العقائد من تكفير وذمٍّ مبالغٍ فيه للجهمية والقدرية والشيعة والمعتزلة كان اتباعاً منا للسياسة للأموية دون علمٍ،فنحن ورثنا خصومات علماء الشام مع هؤلاء ووصفهم لهم بالكفر والزندقة والمجوسية والحكم عليهم بالنار...تماماً مثلما حكمنا على أبي حنيفة بالكفر والزندقة...وحرارة هذا القول مني كان أسفاً مني على سنواتٍ أضعتها في بغض ولعن الجهمية والقدرية ولم أنتبه لبراءاتهما من أكثر ما نُسب إليهما وظلمي لهما إلاَّ بعد بحثي!!! في الموضوع في فترة متأخرة وقد انخدع كثير من علماء الأمة الإسلامية بهذا وتواطأوا عليه تواطؤاً عظيماً حتى أنَّ القارئ يشك في نفسه لولا وجود بعض العلماء الذين سبقوه لهذا القول.

حقاً لقد صدق الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال:"فساد أمتي على أيدي أغيلمة سفهاء من قريش)فنحن ننطق بألسنتهم إلى هذا الزمان ونبغض بقلوبهم ونزالي ونعادي فيهم فتحقق(فساد الأمة)...إذن فقد قتلت الدولة الأموية غيلان الدمشقي وصاحبه صالحاً والجعد بن درهم وجهم بن صفوان وزيد بن علي والحارث بن سريج وقبل ذلك الحسين بن علي وعبدالله بن الزبير وكثيراً من المهاجرين والأنصار وأبنائهم بالمدينة وواصلت الدولة العباسية المسيرة القمعية فقتلت من العلويين أضعاف ما قتل منهم في عهد بني أمية وقد استعان الأمويون والعباسيون فيما بعد ببعض العلماء الموالين للسلطة!!!للتصدي لهؤلاء أو تلاميذهم وإصدار الفتاوى بقتلهم بل والتشفي من ذلك

---

(١)-"قراءة في كتب العقائد": ص/١٥٣).

ثم استمر ذم هؤلاء بين العوام وطلبة العلم بناءً على ما أسسه آباؤهم وأجدادهم من ذم هؤلاء المبتدعة من القدرية والجهمية..."[1].

ب-ويقول يوسف أبا الخيل:"وأولى الخطوات التي لا يخامرني شك في فاعليتها أن نؤصل لعلاقة اجتماعية بعيدة عن حمَّى التصنيف التي اجتاحت مجتمعنا منذ فترة على أيدي من ساوقوا فكر الحاكمية بأن ذاك علماني والآخر متأمرك والقاصي ملتزم والداني غير ملتزم وآخرين من الفرقة الناجية أما أصحاب ذلك المذهب فهم من الفرق الهالكة **وهكذا اعتماداً على تراث بشري يؤصل بالأساس لصراع ضللت معظمه السياسة وأجلبت عليه المصالح الآنية وقتها**"[2].

تعليق:

هذه التهمة الموجهة للتراث تحمل في مكنوناتِها تجريماً خطيراً للتراث ورموزه،وأنَّه لم يقم في حقيقة الأمر على الهدى والنور،بل قام على ضد ذلك من الهوى والمصالح الشخصية،ثُمَّ إنَّ فيه اتِّهاماً مبطناً لأصحاب التراث ورموزه من العلماء بأَنَّهم لم يكونوا علماء ملَّةٍ بل كانوا علماء سلطة يسيرون في ركاب الدولة أينما سارت ركائبها،وأَنَّهم كانوا طُلاَّب دنيا و لم يكونوا طُلاَّب آخرة.

والحق الأبلج-الذي هو كالشمس في رائعة النهار-أَنَّ علماء الأمة الرَّبانيين كانوا ولا يزالون منذ فجر التاريخ وإلى يومنا الحاضر،كانوا لا يحابون أحداً كائناً من كانَ في الحقِّ،فكانوا-رحمهم الله-ناطقينَ بالحق،صادعين به،ولو أدَّى ذلك إلى إزهاق أرواحهم.

والتاريخ كتاب مفتوحٌ-يقرأه الجميع- يشهد بِهذه الحقيقة،ويُعلي صوته بها:كم سطَّر أولئك العلماء صفحاتٍ من نور في بذل الحق والجهاد من أجله.

من منَّا لا يعلم-وهذا أقرب شاهد- محنة الأئمة الثلاثة(أبي حنيفة،ومالك،وأحمد)،وأَنَّهم تعرَّضوا لسياطِ أئمة الجور وتعذيبهم والتنكيل بهم،من أجل صدعهم بالحق وثباتهم عليه بلا مداهنة ولامواربة...

---

(١)-"قراءة في كتب العقائد":(ص/٨٤-٨٥).

(٢)-في مقالٍ له بعنوان:(ضرورة التلازم الفكري والعملي في محاربة الإرهاب)،نُشِرَ في جريدة الرياض،بتاريخ:الثلاثاء ٧ ذي الحجة ١٤٢٥هـ) - ١٨ يناير ٢٠٠٥م - العدد ١٣٣٥٧ .

ومن منَّا لا يعلم محنة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله،وأنَّه مات محبوساً في السجن بقلعة الأسكندرية.

هذا هو التاريخ يُسجِّل هذه الحوادث وغيرها-بمداد من ذهب-في صفحاتٍ منْ نــورٍ في جهاد العلماء وتحملهم الأذى و اللأواء في سبيل الحق الذي يدينون الله به.

بيد أَنَّهُ يحسن التنبيه هاهنا على أنَّ صدعهم بكلمة الحق،وبذلهم النصيحة لحكامِ الأمــةِ لم يكنْ-بأيِّ حالٍ من الأحوالِ-على شكلِ ثوراتٍ خارجيةٍ أو تهييجاتٍ عاطفيةٍ،بل كــان ذلك كله في إطارِ منهج السلف الصالح المنطلق من سنة رسول الله صلى عليه وسلم وأمره بالسمع والطاعة بالمعروف والنصيحة لمن ولاه الله أمر المــسلمين وإن كــان فاســقاً أو ظالماً،وأمره بالصبر على ما يحدث من الولاة المسلمين من الجور والظلم والأثرة مع أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بالحكمة،وكراهيةِ ما يصدر عــن بعــضهم مــن المظــالم والمنكرات،وهذا أمر مستفيض ثابت بأحاديث صحيحة، في الصحيحين وغيرهما.

فهذه التهمة إذاً عاريةٌ من الصحة،وهي-والله-مغالطة مكشوفة-لكنَّ القومَ أصحاب هوى وتلبيس وخداعٍ،وهم-والله-أبعد الناس عن الموضوعية والعقلانية التي يرفعــون عقيرتهــم بها،ويزعمون بأنهم هم أهلها وأحق الناس بها.

هكذا استبان لك أخي الكريم -بما لا يدع مجالٍ للشك والريب-موقف الليبراليين السلبي المخزي من تراث الأمة ورموزها،ونحن هاهنا نعني بالأمة وبخاصــة في المجــال العقــدي والتشريعي،نعني(أهل السنة والجماعة)الذين هم الامتداد الطبيعي للأمة الواحدة المجتمعــة على عقيدة ومنهج واحد في زمن الرسالة،وذلك قبل نجوم الفِــرقِ والمــسالك الــضالة المنحرفة،فأهل السنة والجماعة هم المعبر الفعلي عن الأمة(الصحابة-رضــي الله عنــهم-)،وتراثهم هو الممثل الحقيقي لتراث الأمة،ذلك لأنَّه قائمٌ على الأصول العلمية التي كــان عليها الصحابة-رضي الله عنهم.

وهذا لا يعني بطبيعة الحال العصمة المطلقةَ،والقداسة التامــة لهــذا التــراث في الجانــب الاجتهاديِ القابلِ للخطأ والصَّواب،فهذا غلو مذموم نرفضه بشدة،ذلك بأَنَّ القائمين على هذا التراث مهما بلغوا من العلم والفضل،فإنَّهم لا يزالون في دائرة البشرية،و لم يخرجوا عن طوقها،ومادام الأمر كذلك،فإنَّ هذا التراث لا يخلو من وجود أخطاءٍ وسقطاتٍ وهفواتٍ

تحتاج إلى حركة نقدٍ وتصحيح،وهذا-ولله الحمد والمنة-موجودٌ في علماء هذا التراث نفسه قديماً وحديثاً،فترى الواحد منهم يستدرك على الآخر،ويبين خطأه نُصحاً للأمة،وإبراءً للذمة،بل ترى العالم نفسه يستدرك على نفسه،ويصحح خطأها.

كذلك فإنَّ من السمات البارزة لأهل السنة أَنَّ العصمة المطلقة ليست لأحدٍ سوى الأنبياء-عليهم الصلاة والسلام-ومازال علماؤنا الأخيار يرددون أَنَّ كُلاًّ يؤخذ من قوله ويُترك-مهما كانت منزلته ومهما بلغ علمه-إلاَّ الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومازال أهل السنة والأثر من قديم الزمان وإلى عصرنا الحاضر يقومون بعملية النقد والتصحيح لهذا التراث،في إطار النقد العلمي الذي يبني ولا يهدم،وهاهي المكتبة الإسلامية تزخر بالمؤلفات الضخمة التي تشهد لهذه الحقيقة.

أمَّا تراث أهل الانحراف والضَّلال كالفلاسفة والمعتزلة ومن دار في فلكهم؛فهو التراث الجدير حقاً بالإبعاد والنفي عن تراث الأمة،امتثالاً لحديث النبي صلى الله عليه وسلم:" :«يَحْمِلُ هَذَا العلمِ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولَه يَنْفُونَ عنه تَحْرِيفَ الغالين وانْتِحال المُبْطِلِينَ وتأويلِ الجَاهِلِينَ»[1].

-موقفهم من التاريخ الإسلامي:

دأب الليبراليون على تشويه التاريخ الإسلامي،وشنِّ حملات التزوير والتخريب عليه،ولم تقف هذه الحملات الضارية على عصرٍ دون عصر،بل امتدت لتشمل كافة العصور الإسلامية،حتى أَنَّ الصفحات المشرقة في تاريخنا لم تسلم من ذلك[2]!!

-أقوالهم في هذا الجانب:

أ-خالص جلبي يعلنها حرباً شعواءَ على العصر الإسلامي في زمنِ بني أمية،يقول:"وهنالك حزمة أمراضٍ ثقافيةٍ تبلغُ العشرة منها:

---

(١)-أخرجه البيهقي،وصحح بعض طرقه الحافظ العلائي في"بغية الملتمس": (٣-٤)،والخطيب البغدادي في"شرف أصحاب الحديث": (٣٥/٢)،وصححه الإمام احمد،انظر:"مشكاة المصابيح": (٨٢/١-٨٣)بتحقيق الألباني.

(٢)-انظر:"المدرسة العصرانية في نزعتها المادية": (ص/٤٤٣-٤٨٢).للشيخ/محمد بن حامد الناصر.

أَنَّ العالم العربي ما زال يُحكم بسيف معاوية،بعد انطفاء الـوهج الراشـدي٠٠٠وأَنَّ الثقافة العربية تستحم بالعنفِ منذ المصادرة الأموية،وتوديع حياة الراشد،واعتناق حياة الغي،وتفشي روح الغدر والقتل والانقلابات والتآمر،فليس بعد الرشد إلا الغي"[(١)].

ويقولُ في نفسِ السياق:"إنَّ جذور الاستعمارِ تضربُ في تربة الثقافة،وأَنَّ هذا المرضَ يعِسُّ في مفاصلِ الثقافة العربية،مثل الروماتيزم الخبيث،منذ الانقلاب الأموي،وقتل العقل على يد ما يُسمَّى"**أهل السنة والجماعة**"،وأَنَّ العرب يؤمنون(بالقتل)؛لأَنَّهُ لا عقل لهم"[(٢)].

وانظر-يارعاكَ اللهُ-كيف يتهجَّمُ خالص جلبي على الفتوحات الإسلاميةِ بكُـلِّ شَـناعةٍ وفظاعةٍ،ويـشبهها بـالجرائم اليهوديـة،يقول:"إنَّ الـسلطان محمـد الفـاتح،وفتح المدينة(القسطنطينية)يذكر بشارون وهو يريد احتلال القدس،وطرد أهلها منها٠

وبغض النَّظر عن فظاعات الفـتح،وحجم النـهب والسلب،والاغتـصاب علـى يـد الانكـشارية،فإنَّ أول مـا فعلـه(محمـد الفـاتح)،أنْ وضـعَ يـده علـى أقـدس مقدساتهم:أياصوفيا،تلك التحفة التاريخية،ليحولها إلى مسجدٍ٠لم يكنْ هذا الفتح انتـشاراً على منهج النبوة،بل اجتياحاً عسكرياً٠٠٠ونسميه إسلامياً؟!!"[(٣)].

ب-أما محمد بن علي المحمود،فقد لاحظ ببارعته الفائقة التي لا حدود لهـا!!أنَّ مفهـوم الدين قد تحوَّل في زمن الحكم الإسلامي أيام معاوية-رضي الله عنه-من دين رسمـي إلى دين شرعي تحدده السلطة النافذة،وتتحكم فيه!!،يقول-وبئس ما قال-:"كل من تأمـل التاريخ لا بد أنه قد **لاحظ التغير النوعي الجذري في زمن ما بعد الراشدين،وهو تحـول طبعَ الحياة الإسلامية فيما بعد،ولم يقتصر على فترة محددة من تاريخ الإسلام٠بدايـة بمعاوية بن أبي سفيان ومنْ تلاه،تحوّل الدين الرسمي-وهو الذي كُتبَ له الانتـصار في سياق موازين القوى الاجتماعية،لا الدينية-إلى دين شرعي!وهنا المفارقـة؛إذ تحولـت الأيديولوجيا الرسمية التي تتوسل الاجتماعي بأكثر مما تتوسل الشرعي إلى أن تكـون**

---

(١)-"جريدة الرياض،العدد(١٠٦٩٢)،في الأول من جمادي الآخرة ١٤١٨هـ٠

(٢)-"الزلزال العراقي": (ص/١٢٤)لخالص جلبي٠

(٣)-جريدة الشرق الأوسط،(العدد:٨٣١٠)بعنوان:لا إكراه في السياسة،بتاريخ:٢٩/٨/٢٠٠١م،ومن هنا لا تعجب أخي القارئ أن تفتح الصحف العميلة المشبوهة الأبواب على مصراعيها لأمثال هذا المهزوم المخذول.

صاحبة اليد الطولى في تحديد الشرعي الذي سيأسر مسيرة الفكر الديني إلى حد كبير..."[1].

ويقول-في أسلوب مليءٍ بالتطاولِ والعبثِ والسخريةِ بأحكام الشريعة-:"**تاريخنا – كمسلمين، وعرب على نحو أخص – منذ كان وإلى اليوم، لم يحضر الإنسان فيه كقيمة أولية، إلا في استثناءات قليلة ونادرة، استثناءات تؤكد مجمل السياق ولا تنفيه. الاعتبار كان يقام لكل شيء، حتى الحجر، بينما يأتي الإنسان في الهامش الأخير من جدول الأعمال لأمتنا الخالدة!. نفتخر بالفتوحات، ونحن إلى الغزو، ونتغنى بإجهاض العقلانية الناهضة، ونبكي على عهد الرقيق والجواري والقيان، ونشرعن لاسترقاق الإنسان بلا حياء، وبلا عقل أيضا**"[2].

---

(١)-كتاب الرياض الإلكتروني"حروف وأفكار":(ص/٥٧-٥٩)لمحمد بن علي المحمود،في مقالٍ له بعنوان(التاريخ وأزمة الفكر الإسلامي)،وقد نُشر في جريدة الرياض بتاريخ:١٥ /١٢/٢٠٠٥م.

(٢)-في مقالٍ له بعنوان:(نحن...والإنسان)،نُشِرَ في جريدة الرياض،بتاريخ: الخميس ٤ ربيع الآخر ١٤٢٦هـ - ١٢ مايو ٢٠٠٥م - العدد ١٣٤٧١ .

المعلم الرَّابع

الموقف من الغرب عموماً

المتأمِّل في مقالاتِ هؤلاء الليبراليين،يجد أَنَّهم مفتونونَ غاية الافتتان بالقيم الغربيةِ والحرية حسب المفهوم الغربيِّ،وحَدِّث-والأ لم يعتصر قلبك-عن إعجابَهم-شبه المطلق-بالغرب بشكل عام،ووضعه مقياساً للحضارة والتقدم وحقوق الإنسان،ولنا أن نبرز موقفهم من الغرب،كما يلي:

١-تقديم حسن الظن بهم وأنهم لا يكيدون للإسلام ولا أهله وأن المتدينين يعيشون عقدة المؤامرة .

يقول مشاري الذايدي في مقال له بعنوان:(نحن وأمريكا والديموقراطية..):"لكن ما شأن الغرب بنا، ولماذا تبادر مجموعة الدول الصناعية، بقيادة أمريكا لنشر **الديموقراطية** ودفع عجلة التنمية ومساعدة المرأة على الانعتاق من وضعيتها البائسة، وترقية التعليم ومكافحة الأمية ورفع مستوى حريات التعبير... الخ؟ لماذا يحرصون على ذلك؟ وماذا نعني لهم أصلا؟

ربما قال البعض إنها مؤامرة جديدة على الأمة الإسلامية لسلخها عن هويتها وتدمير مقدراتها (ما هي هذه المقدرات بعد الأرقام الآنفة؟!) وربما قال آخرون إنها هجمة إمبريالية أخرى لتركيع الأمة العربية العظيمة.

غير أن هناك ما يمكن قوله غير هذا وذاك، إننا بوضعنا الحالي الذي يجعلنا شعوبا محرومة من ثمار المعرفة الإنسانية الحديثة، تقف في موقع المتفرج لهذه الذرى العالية التي وصلت إليها الإنسانية، نصبح خطرا على من نعتقد انه قد حرمنا من ذلك، ويتزايد الإحباط والحنق من هذا الفوات الهائل، يكفي أن تراقب مشاعر الحسرة والألم التي تصيب الزائر العربي للمجتمعات الغربية الديموقراطية، مقارنة ببلاد الزعيم الأوحد التي غادرها! هذه الوضعية الحرمانية هي التي تثير في المحروم مشاعر الحقد والرغبة بتدمير ما لدى الحارم؟! كما تجعله مهيأ لتلقف كل آيدولوجيا عابرة في الطريق تغذي لديه مشاعر التقدير الذاتي المبالغ فيه، والاحتقار العكسي للآخر، عدو الذات؟! ولذلك فإن الغرب حينما يدعم الديموقراطية ويفكر في وضع هذا الجزء من العالم،

فليس ذلك من قبيل التبشير أو الاهتداء بروح الأم تيريزا، قدر أنها مصلحة غربية جوهرية تكمن في إنقاذ الشرق الأوسط المتعثر. ذكرت الورقة الأمريكية أكثر المجالات تضررا في العالم العربي والشرق الأوسط الكبير وهي «الحرية، المعرفة، وتمكين النساء»، ثم ذكرت أن ترك الأمور كما هي من دون تعديلها ومساعدة الشعوب المتضررة سيسهم «في خلق الظروف التي تهدد المصالح الوطنية لكل أعضاء مجموعة الـ٨»[١].

٢-اتهام المسلمين بأنَّهم سبب العداء الذي يعيشه العالم الإسلامي مع الغرب:

أ-يقول البليهي:"المحبط الحقيقي هو أن نزكّي أنفسنا ونحن بهذا الوضع السيئ، العرب والمسلمون الآن أضحوكة في العالم، يعني ونحن كنا أضحوكة،ولا يهتم لنا أحد،**لكننا الآن أصبحنا نعلن لهم أننا نبدع في قطع الرؤوس،ونبدع في القتل، وفي التفجير، يعني هذا أقصى ما نستطيع أن نبدع فيه، وهذه معضلة كبرى يعني أصبحنا لسنا فقط عبئاً على أنفسنا وإنما أصبحنا عبئاً على العالم، ... أنا أعتقد أن العالم كله يتقهقر بسبب أفعالنا، يعني مثلاً البلدان الغربية البلدان الديمقراطية أميركا وأوروبا وبريطانيا وغيرها يعني أصبحت تعدّل أنظمتها بما يقيّد الحريات"[٢].**

---

(١)-انظر موقعه على الشبكة العنكبوتية.

(٢)-انظر:"موقع قناة العربية"-برنامج إضاءات-بتاريخ٦/٤/٢٠٠٥م.

ب-يقول المحمود:" **ليست مأساة العراق فيما يسمى (الاحتلال) الأمريكي للعراق، وإنما جذور المأساة أبعد من ذلك**؛ بدليل أن النظام الصدامي لم يستطع إلغاء هذه المفاصلة الطائفية والعرقية، وإن كان قمعها، وحد منها؛ بواسطة مجموعة من الإجراءات الجهنمية التي كانت أشد بشاعة من كل ما صنعته الطائفية والمذهبية والعرقية بعد صدام.

إن قوات التحالف الدولي التي يحاول التيار العروبي فضلا عن الإسلاموي تحميلها وزر ما يجري في العراق؛ من مذابح على الهوية الطائفية، لم تكن خطؤها سوى أنها منحت هذا البعد الطائفي الفرصة للظهور. لكنها بكل وضوح لم تخلق هذا البعد في العراق من العدم، بل ولم تسعد بوجوده؛لأنها تدرك أن إرساء قواعد مؤسسات الدولة الحديثة (غير المنحازة، والتي لا تقبل الانحياز الداخلي والإقليمي) مرتبط بضمور الانتماء الطائفي الذي يخترق الوطن الواحد من ناحية، ويتجاوز بولاءاته حدود الوطن من ناحية أخرى"[1].

ج-وتأمل معي-يارعاك الله-هذا الموقف المتخاذل من جهة يوسف أبا الخيل حول قضية الرسوم الدنماركية التي سخرت بالمقام النبوي على صاحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم،يقول:" من جهة أخرى فلا يعني ذلك أن التعرض لذوات الرسل أو العقائد أو الأديان من قبل الإعلام الغربي سيظل محسوباً وبشكل دائم على ممارسة حرية التعبير عن الرأي بمعطياتها المجردة، **أي التعرض لأجل التعرض فقط باعتباره داخلاً في مسلسل حرب دينية ليس إلا، وهو الفهم الذي يحاول تدشينه وربما تأبيده في أذهاننا من يقتاتون على مثل تلك الأزمات من متطرفي الجانبين، إذ أن مثل هذا التعرض للآخرين بما فيه التعرض لذواتهم المقدسة أو لأديانهم وعقائدهم لا يخلو أحياناً من تزامن مع المصالح الغربية في تماسها مع مصالح ذلك الآخر الذي تتعرض ديانته أو مقدساته لمسها بسوء من جانب ذلك الإعلام، وهو ما يفسر لماذا يلاحظ أن أدياناً أو أيديولوجيات أخرى لم تتعرض لمثل ما تعرض له الإسلام أو النبي محمد صلى الله عليه وسلم من نقد أو إساءة، إذ قد يبرر ذلك بمبرر عدم تعارض مصالح ممثلي تلك الديانات مع المصالح الغربية – في الوقت الحاضر على الأقل – وهذا الاستنتاج ربما يفسر أيضاً التهافت على التعرض**

---

(١)-جريدة الرياض،الخميس:الثاني من ذي القعدة١٤٢٧هـ-٢٣نوفمبر٢٠٠٦م-العدد١٤٠٣١.

لذات الإسلام أو رموزه حالياً باعتباره إفرازاً لما يراه الغربيون من موجـــات عنفيـــة ضربت الكثير من المعاقل الغربية، وهي الموجات التي تولى كبرها مـــن ينتـــسبون إلى الإسلام.

ومع ذلك فإنه حتى على مستوى حرية التعبير المجردة غير المرتبطة بسياق مصالحي معـــين، فقد مارس الإعلام والفن الغربي وفي مناسبات عديدة الكثير من التعرض لـــذوات نبويـــة معينة نُحرِّم نحن المسلمين مجرد تمثيل أو تصوير شخصياتها ناهيك عن التعرض لها بالنقـــد، فقد تم إنتاج العديد من الأفلام السينمائية التي تناولت شخصية السيد المسيح عليه السلام من زاوية إظهاره بالمظهر البشري العادي البعيد عن مظاهر النبوة، وبما لا يتناســـب مـــع صفاته كنبي مرسل من عند الله تعالى، كما تم تصوير لحظة صلبه من قبل اليهود قبيل قتله طبقاً للرواية المسيحية طبعاً – وهو يحمل قناني الخمر بيديه، وفي فرنسا مثلاً – كما يقول الباحث في الفلسفة الغربية الصديق هاشم صالح – وضعوا مؤخراً صليب المسيح، وهـــو الرمز المقدس لدى المسيحيين، على واجهة فيلم سينمائي بعد أن جعلوه على هيئة الصليب المعقوف الذي يرمز للفترة النازية المنبوذة في أوروبا والعالم الغربي عموماً، مما اعتبر معـــه هذا التصرف على أنه أكبر إساءة توجه لأتباع المسيح في أنحاء العالم، كما قامت شـــركة عطور فرنسية وكدعاية لأحد منتجاتها بعرض صورة العشاء الأخير للسيد المسيح وبـــدلاً من وضع صور الحواريين بجانبه قاموا بوضع نساء عاريات تماماً، مما تسبب في جرح شعور العديد من المسيحيين المحافظين في أوروبا.

بل إنه في سياق الفوارق الثقافية بين الجانبين، فإن أكبر وأشهر فارق بينهما هو ما يتصل بنهاية المسيح نفسه، فبينما يعتبر القرآن الكريم أنه لم يصلب فضلاً عن أن يقتل ممثلاً بقول الله تعالى {وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبه لهم} فإن من المتواتر العقدي المسيحي المشترك بين كافة المذاهب المسيحية أنه صلب ثم قتل على أيدي طائفة من اليهود يطلـــق علـــيهم (الفرِّيسيون) **ومن البدهي أن لا نطالبهم باعتقاد ما نعتقده من رفع المسيح إلى الـــسماء كما لا يحق لهم بالمقابل مطالبتنا بالتماهي مع ما تواتر في تراثهم من قصة صلبه وقتلـــه فيما بعد.**

لذا فمن المهم على هامش تلك الحادثة وما ستتلوها من أحداث وتطورات أخرى أن لا نحاكم مكونات ومنطلقات الثقافة الغربية بمعايير ثقافتنا الإسلامية والعربية، لاختلاف معايير كل منهما عن الأخرى، كما ويجب علينا من ناحية أخرى أن لا نترع إلى تنقص وإزدراء عقائد وأديان الآخرين ثم نطالبهم بأن لا يتعرضوا لذواتنا المقدسة أوأدياننا ومعتقداتنا، فنحن لا نمل مثلاً من تكرار القول بتحريف أو بطلان الديانتين المسيحية واليهودية، كما ونشير لهم غالباً بعبدة الصليب وإخوان القردة والخنازير وبالدعاء عليهم أجمعين دبر كل جمعة أو قنوت بأن يأخذهم أخذ عزيز مقتدر أو بأن ييتم أطفالهم ويرمل نساءهم، ومثل هذه الأمور وإن كان بعضها يمثل لدينا يقيناً راسخاً مثل بطلان الديانتين أو تحريفهما فهي مما يجب أن يكون محله القلب بما لا يعطي مجالاً للجهر به، إذ سيحسب ذلك من قبلهم على أنه تنقص من عقائدهم وازدراءٌ لها مما يعطيهم مبرراً منطقياً لمحاربتنا بنفس السلاح الذي نحاربهم به، وقد نبه القرآن الكريم إلى مثل ذلك الاعتداء وما قد يجره من ويلات قد تتطور إلى التعرض للذات الإلهية حيث يقول تعالى {ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون}"[١].

٤-الدعوة إلى عدم المواجهة والمقاومة واتخاذ السبل السياسية والنقد اللاذع لمن يدعو لمقاومة المحتل،وسيأتي ذكرُ شواهدَ وأمثلةٍ على هذا في مبحث"انحراف الليبراليين في مفهوم الجهاد".

٥-الانبهار بالحضارة الغربية،والإشادة بأصحابِها:

أ-يقول البليهي:"أعتبر أنَّ الحضارة مرّت بفترتين يعني آلاف السنين هذه أعتبرها كل الحضارات التي مرّت آلاف السنين هذه عبارة عن دوران أفقي،يعني مثلاً كل دولة كل حضارة تبدأ في النشوء، ثم.. تركي الدخيل: ثم، تدور حول نفسها..

---

(١)-في مقالٍ له بعنوان(نحن والغرب: بنى فكرية مختلفة)،نُشرَ في (جريدة الرياض :الخميس ٢٤ المحرم ١٤٢٧هـ - ٢٣ فبراير ٢٠٠٦م - العدد ١٣٧٥٨).

إبراهيم البليهي: ثم تنهار، ثم الحضارة الجديدة لا تبدأ من حيث انتهت الأولى وإنما تبدأ من الصفر،وهكذا كانت الحضارات القديمة تتحرك تحت سقف واحد لا تتجاوزه،وضمن مسارات ثابتة،دوران أفقي لم تتطوّر أبداً،**عندما جاءت الحضارة الغربية أصبحت.. انتقل الإنسان من مستوى إلى مستوى يعني مختلف جذرياً يعني الاختلاف بين الحضارات القديمة والحضارة الغربية هو اختلاف نوعي وليس اختلافاً كمياً.**
تركي الدخيل: طيب هذا الحديث هذا.. هل أنت منبهر إلى هذه الدرجة بالحضارة؟
إبراهيم البليهي: ليس انبهاراً يا أخي.. هذا ليس انبهاراً..
تركي الدخيل: مستلَب غربياً يعني؟
إبراهيم البليهي: ولا مستلَب يا أخي، يعني أنا أعتبر أنه جمود في الإحساس وضعف في الذوق، وهزال في الإدراك أن ترى ما يبهر ثم لا يبهرك.
تركي الدخيل: طيب صار انبهاراً هذا، أنت تقول لي: ليس انبهاراً ثم تحمّست..
إبراهيم البليهي: الانبهار بالمعنى الذي تريده ويستعمله الناس هذا غلط..
تركي الدخيل: ويش هو الانبهار اللي..؟
إبراهيم البليهي: **يعني هو الإعجاب بمن يستحق الإعجاب، أنا أعتبر أنني معجب بمن يستحقون الإعجاب، يعني هؤلاء الذين حوّلوا الدنيا إلى هذا الشكل يعني نحن الذين حوّلنا بهذا الشكل؟ نحن لم نساهم ولا بشيء،نحن بالعكس نحن نحاول أن ندمّر الآن..**"[1].

ويقول أيضاً:"**إن ما تعيشه الإنسانية في هذا العصر من تقدم مذهل في الأوضاع والنظم وفي الوسائل والأدوات وفي العلوم والتقنيات وما تزخر به الدنيا من تسهيلات هائلة في شتى جوانب الحياة ليس حصيلة تلقائية للعمل الرتيب أو التوارث البليد وإنما هو ثمرة الإفلات من قبضة الدوران التاريخي الأفقي المحكوم بالمألوف والموروث وقد حصل هذا الإفلات نتيجة التغيرات النوعية في الرؤى والقيم والمواقف من الإنسان والكون والحياة وكانت الثقافة الأوروبية هي الثقافة الأولى الرائدة في الإفلات من خطوط**

---

(١)–انظر:"موقع قناة العربية"–برنامج إضاءات–بتاريخ:٢٠٠٥/٤/٦م.

الدوران الأفقي فأخذت في الصعود المستمر، لقد انفردت الثقافة الأوربية بهذا التغير النوعي العجيب ثم إن هذه التغيرات النوعية في الحضارة الإنسانية رافقت المغامرين والنازحين من الشعوب الأوربية أينما تحركوا وحيثما استوطنوا في أمريكا الشمالية واستراليا ونيوزيلاندا وجنوب أفريقيا ثم امتدت هذه التغيرات إلى مجتمعات أخرى اهتمت بالتعرف على هذه التغيرات النوعية التي طرأت على الثقافة الإنسانية ولما عرفتها التزمت بها ولم يقتصر أخذها على الثمار مثل اليابان وكوريا الجنوبية والصين وسنغافورة وماليزيا وبذلك استطاعت هذه المجتمعات اللحوق بالمزدهرين وبات لها إسهام مشهود في الانجازات والإبداعات والمشاركة ودخلت في قلب المعترك الحضاري من أوسع أبوابه ووقفت موقف الند من المبتكرين الأصليين وأصبحت تزاحمهم في كل الحقول وفي مختلف المجالات..

أما المجتمعات المأسورة بالموروث والمألوف فقد بهرتها الأشياء والمخترعات ولكن غابت عنها التغيرات الثقافية النوعية التي طرأت على الثقافة الإنسانية فقد اكتفت باستيراد الأشياء من المجتمعات المزدهرة كما أخذت بشكليات التعليم الحديث وتوهمت أنها بذلك قد ماثلت المزدهرين وأنها قد أخذت بأسباب التقدم وغفلت عن أنها مازالت تعيش مرحلة الدوران الأفقي فهي مأسورة بهيمنة الموروث ومأخوذة بسطوة المألوف أما بالنسبة للتعامل مع الحضارة المعاصرة فإنها قد ركزت نظرها على الثمار وحصرت اهتمامها بالنتائج وراحت تستورد منها كل ما تتيح لها إمكاناتها المالية استيراده والتمظهر به وغفلت عن التغيرات النوعية الثقافية التي حققت هذه النتائج لذلك بقيت خارج حركة التاريخ تعيش على القيم نفسها والتصورات التي عاش بها الإنسان في الحضارات الاجترارية القديمة لكنها رغم الانغلاق الثقافي الذي يفصلها عن ثقافة العصر فإنها تنتشي باستخدام منجزات الثقافة الإنسانية المعاصرة بل وتتباهى بهذا الاستخدام لكنها تنظر إلى هذه الوفرة من التسهيلات كما تنظر إلى مألوفات الدنيا الطبيعية فهي لا تثير عندها التساؤل ولا تبعث في أعماقها الاحساس بالروعة ولا الشعور بالعجز عن المشاركة في هذه الانجازات لقد ماتت فيها ملكة الدهشة وغابت عنها مواهب التعجب وباتت لا تتساءل أمام أي مثير ولا تندهش من أي رائع ولا

تتوقف للتعجب أمام أي انجاز باهر بل تنظر إلى خوارق الحضارة المعاصرة كمعطيات طبيعية مثلما تنظر إلى ضياء الشمس أو جريان الأنهار أو هطول الأمطار أو اخضرار الأرض أو شموخ الجبال أو عظمة البحار وكأن هذه الوفرة من التسهيلات ليست من انجاز الإنسان فلا ينظرون إليها بوصفها نتاج عقل الإنسان وثمرة اهتمامه وجهده وعلمه ومهارته وإنما هي عندهم تشبه الغيث الذي يتلقاه الإنسان ولا يصنعه لذلك فإنه ليس نادراً ولا مستغرباً أن تسمع رجلاً من قادة الثقافة السائدة يتساءل جادًا في جمع من أهل الشأن!! عن الحكمة من حصول هذا الجيل على هذه الوفرة من الدنيا ومن التسهيلات مما لم يتح للسابقين؟!! وغفل أن هذا التغير الهائل هو من صنع الإنسان وأنه نتاج جهد الأمم المبدعة وليس شيئاً غامضاً يحتاج إلى تعليل خارج النطاق الإنساني فهي مستجدات ومصنوعات معروفة المصدر وذات أسباب موضوعية قابلة للدرس والتحليل والتحديد وأنه يمكن لأي مجتمع أن يفعل الشيء نفسه متى أخذ بالتغيرات الثقافية النوعية التي طرأت على الحضارة الإنسانية"[1].

ويقول أيضاً:" إن الحضارة الغربية لم تزدهر إلا بعد أن تحقق لها الكثير من التغيرات النوعية في الثقافة والقيم والمعايير والأخلاق فنهضة الثقافة شرط للنهوض في كل المجالات ولقد تناولت في المقالات السابقة ثمانية تغيرات نوعية أما التغير التاسع الذي أضافه الأوربيون إلى الحضارة **الإنسانية فهو تغير مفهوم البطولة واتساع مداه وتعدد مجالاته وانفتاح آفاقه حيث لم تعد البطولة محصورة ببطولة الحرب وشجاعة القتال كما كانت في الحضارات القديمة بل إن ثقافة العصر من الناحية المبدئية هي ضد الحرب برمتها وضد البطولة في مجال سفك الدماء فبطولة الحرب ترتبط بقوة العضل وبتحكيم منطق القوة بينما حضارة العصر هي نتاج بطولة العقل وشجاعة الرأي واستقلال الفرد وقوة الاهتمام وشدة التركيز وتنظيم الجهد ومن هنا تراجعت البطولة الجسدية إلى أدنى السلم وارتقت بطولة العقل والعلم والكشف والإبداع والابتكار والاختراع والمغامرة**

---

(١)-في مقالٍ له بعنوان(التغيرات النوعية في الحضارة الإنسانية)،نُشر في (جريدة الرياض:الأحد ٤ جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ - ١٠ يوليو ٢٠٠٥م - العدد ١٣٥٣٠).

والسبق فاحتلت الذروة بل إن البطولة العضلية هي أحياناً موضع اشمئزاز واحتقار من مثقفي ومفكري العصر"[1].

ويقول أيضاً:" في الغرب اهتموا كثيراً ومنذ وقت مبكر جداً بمعرفة الطبيعة البشرية وقد كان فلاسفتهم يرون أن معرفة الذات الإنسانية ذات أولوية مطلقة تسبق في الأهمية أية معرفة أخرى وكان سقراط يرى أن لا معرفة تسبق معرفة الذات فكانت حكمته الرئيسة: ".. اعرف نفسك.." وسار المفكرون من بعده على نفس النهج وكان روسو يقول ".. إن معرفة النفس الإنسانية هي أعظم العلوم نفعاً وأقلها تقدُّماً.." ونتج عن هذا الاهتمام بالإنسان أن الثقافات الغربية صارت هي أكثر الثقافات فهماً للطبيعة البشرية وأنشأت علوماً متعددة عن الإنسان مثل علم النفس والتحليل النفسي وعلم الاجتماع وعلم الإنثروبولوجيا وغيرها من العلوم التي تحاول تفكيك وتحليل وتشخيص الطبيعة البشرية وبهذا الاهتمام الشديد أصبحت مزايا هذه الطبيعة ونقائصها شديدة الوضوح لذلك فإنهم يتعاملون مع الأشخاص والأعمال والأشياء بواقعية وموضوعية وإنصاف في الحدود الممكنة بشرياً فهم يعتبرون النقائص هي الأصل ويحترمون الإنسان بمقدار ما يتغلّب عليه من النقائص والشواهد على ذلك ماثلة بوضوح شديد في تعاملهم مع الرجال والأفكار والأعمال والأشياء فهم يعون حتمية النقائص في أمور هذه الدنيا كلها ويحترمون المزايا مهما شابها من نقائص لذلك تتربى الأجيال وهي تدرك هذه الحقيقة الأساسية التي يتوقف على إدراكها موضوعية الرؤية واقتراب الرأي من الصواب وعدالة التقييم والجرأة على العمل والإقدام على الفكر والفعل دون خوف من سوء التقدير"[2].

ب-يقول خالص جلبي:"يجب أن نحزن لحزن أمريكا؛لأنَّ فشلها فشلٌ لكلِّ الجنس البشري،ولأنَّها تُمثِّلُ طليعة الجنس البشري"[3].

---

(١)-في مقالٍ له بعنوان(التغيرات النوعية في الحضارة الإنسانية)،نُشر في (جريدة الرياض:الأحد ٤ جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ - ١٠ يوليو ٢٠٠٥م - العدد ١٣٥٣٠).

(٢)-في مقالٍ له بعنوان(أهمية إبراز نقائص العظماء)،نُشرَ في(جريدة الرياض:٢٠٠٢/٥/٥م).

(٣)-جريدة الاقتصادية،العدد(١٧٣)في: ٢٠٠٣/٢/٤م.

ويقولُ مُشيداً بالعُدْوان السَّافر على المسلمينَ في أفغانستان منْ قِبَلِ أمريكا:
"والطالبان كانت دولة إسلامية تحكم بالشريعة،فقطَّعت الرؤوس والأطراف،ووأدت المرأة،ونفت العقل إلى المجهول،ودمَّرت آثاراً إنسانيةً بدعوى الأصنام،**فانتقمت أمريكا لبوذا،فَدَمَّرت الطالبان تدميراً**"[١].

-وهاهو محمد بن علي المحمود يُشيدُ بالعالمِ الغربي أيَّما إشادة،حيث يقول:"وصل الإرهاب المجنون إلى(لندن)قلب العالم المتحضر،إلى ذلك **العالم الحي النابض بدماء الحرية والكرامة والإنسانية-**،لندن،مدينة السلام-بحق-تفيق من سباتها الأمني المضمخ بعبق التاريخ والمعاصرة على النعيب الأصولي..."[٢].

ويقول أيضاً في معرض انبهاره بذلك العالم:"لقد كان العالم المتحضر يعاملنا باحترام،حتى ضربناه في عقر داره.قبل اليوم **وفي المملكة المتحدة**(**بريطانيا**)**التي أشرق منها نور الحضارة المعاصرة،حيث شق الهدى(هدى الحضارة الإنسانية)أكمامه،وتهادى موكباً دون موكب...**"[٣].

ويمضي المغرور بزيف ذلك العالم في تصوره الأعمى قائلاً:"**لا جدال في أنَّ الولايات المتحدة وبريطانيا،هما الدولتان الأكثر تعبيراً عن قيم العالم المتحضر وعن حضارته-وأنهما-والعالم الغربي(أوروبا الغربية وأمريكا)من ورائهما-التجلي الأكبر لاتجاهات الليبرالية العالمية التي صنعت هذا العالم المتحضر،وكان لها-أي الليبرالية-الفضل الكبير في مناعته ضد الانهيار**"[٤].

ولك أن تتصور أخي القارئ كم هم القوم مفتنون بالحضارة الغربية،منبهرون بمكتشفاتِها العلمية!!حينما تطالع هذا النص للكاتب نفسه(محمد المحمود):"لقد كانت الحضارة

---

(١)-"الزلزال العراقي": (ص/١٨٤)لخالص جلبي.

(٢)- كتاب الرياض الإلكتروني"حروف وأفكار":(ص/٥)لمحمد بن علي المحمود،في مقالٍ له بعنوان(المتهمون بالإرهاب)،وقد نُشر في جريدة الرياض بتاريخ:١٤/٧/٢٠٠٥م.

(٣)- المصدر السابق.

(٤)-المرجع السابق:(ص/٦).

الغربية-إبان لحظة اللقاء-**معجزة إنسانية لم يسبق لها مثيل في التـــاريخ البـــشري،بل لم يوجد ما يقاربها ولو في أدنى مستوياتها البدائية التي أفرزتها فترات الإصلاح الديني**"[1].

(١)- كتاب الرياض الإلكتروني"حروف وأفكار":(ص/٦)لمحمد بن علي المحمود،في مقالٍ له بعنوان(المتـــهمون بالإرهاب)،وقد نُشر في جريدة الرياض بتاريخ:٢٠٠٥/٧/١٤م.

-القدح في أئمة السلف،والزعم بأنَّهم سبب رئيس للغلو والتكفير:

أ-عبـــد الله بـــن بجـــاد في مقـــال لـــه بعنـــوان:"الـــذاكرة التراثيـــة العـــوراء" يطعن في شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-،ويتهمه بالتناقض؛حيث يقول:" (ويقال لمن خرج عن موجب الإنسانية في الأخلاق ونحوها: هذا ليس بآدمي ولا إنـــسان مـــا فيـــه إنـــــــــــــــــــــــــــسانية).

حين قرأت هذا النص لأول مرة دار بذهني أنه لأحد منظري الأنسنة المعاصـــرين الـــذين يتحدثون عن قيمة الإنسان ومركزيته وحقوقه، فجال بذهني محمد أركون مع أسماء أخرى إلا أنني عندما أعدت التأكد من غلاف الكتاب وجدته فتاوى ابـــن تيميـــة ٢٩/١٤٧. إنه ابن تيمية إذا،هذا **الفقيه الذي يعده البعض اليوم قطب رحى فكره العنيف الـــذي يحرق به أخضر البشرية ويابسها،وهو رجل يملك تراثاً غنياً لدرجة التناقض أحيانـــاً!، ولكن العين التراثية العوراء لا تنقل لنا اليوم إلا شقه المتشدد العنيف** وتغض الطـــرف عن بقية صورته، تلك الصورة التي تحاول بعض المراكز البحثية اليوم اظهار تنوعها الفكري بطريقة علمية ومنهجية ربما صدمت بعض محبيه حـــين تجـــبرهم علـــى فـــتح عينـــهم الأخرى"[١].

---

(١)-انظر موقعه على الشبكة العنكبوتية.

ويقول في مقال له بعنوان:"محرقة التكفير":"فـ"جماعة المسلمين" كما تطلق على نفسها، أو جماعة التكفير والهجرة كما هي شهرتها ليست سوى ولد صغير -ربما كان غير بـارٍ- لجماعة الإخوان المسلمين الجناح القطبي، **والخطاب الصحوي المعاصر تشرّب في كـثير من أدبياته المعاصرة آراء سيّد قطب وأفكاره التي تقسّم الناس إلى مؤمنين وكـافرين فقط، وتعتبر المجتمعات المسلمة مجتمعات جاهلية وتتخذ مواقف حدية وصارمة تجاه كل مخالف مهما كانت درجة مخالفته في مواقف دوغمائية* لا تكاد تنتهي حتى تحرق الحقل وأصحابه.**

ولكن الخطاب الصحوي الحديث اتجه بتأثيرٍ من خطاب الشيخ ناصر الدين الألباني إلى الاهتمام "الحرفي" بالسنة وهو ما أضاف للمنتسبين له بعداً جديدا يتمثل في الاحتجاج بالسنة والاتكاء عليها كنصوص مجردة من سياقاتها وظروفها وكأنها قواعد قانونية بعيدا عن تقسيمات العلماء القديمة للسنة ومقامات تصرفات النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ما يعطي المنتسب لهذا الخطاب قدرة فائقة في إقناع الناس وصد الخصوم بكلمات معدودة يحفظها عن ظهر قلب في فترة وجيزة.

ثم احتاج الخطاب الصحوي لدعم جديد عثر عليه في البعد العقدي المتمثل في اختيارات ابن تيمية وأقوال بعض غلاة الوهابية في العقيدة.

فتم بهذا الثالوث الفكري للخطاب الإسلامي المعاصر، حيث العقيدة التيمية الوهابية بوجهها الغالي ومنهجية الحديث الألبانية وحركية سيد قطب الثورية"[1].

---

*هذه الكلمة مأخوذة من من كلمة(دوغما) (**dogmata**)وهي تعني العقيدة،وقد جرى استعمالها في كنيسة القرون الثلاثة الأولى لدى الآباء اللاتينيين والإغريق معاً،بمعنى"كل ما يتوجب في العقيدة وفي الممارسة المسيحية"،وفي القرن الرابع،بدأت كلمة(دوغم)المفردة تدل على عقيدة الإنجيل بالذات،ثم ارتبطت كلياً بلاهوت الوحي أو الأمر الإلهي الذي لا جدال فيه.انظر:"معجم المصطلحات الدينية": (٤/٧٤-٧٥)للدكتور خليل أحمد خليل.

(١)-انظر موقعه على الشبكة العنكبوتية.

ب-وانظر-يا رعاك الله-إلى منصور النقيدان كيف يتهجم بأسلوب ساحر مقذع على أئمة الإسلام،من حيث اتِّهامهم بالتناقض والقلق،وهو في الحقيقة أولى النَّاسِ بهذه الصِّفاتِ؟!:

-قال:"**إنه نشر مقالا عن محنة خلق القرآن ،قال وذكرت فيه الموقف المتناقض لأحمد بن حنبل كيف كفر ابن أبي دؤاد ، وتغاضى عن المأمون اهـ . وقال في إحدى الإجابات : وما قرأت ما قاله أحمد بن حنبل لعبد الرحمن بن ميمون : إياك أن تقول بمسألة ليس لك فيه إمام."ما قرأته إلا قلت،يا حسرة على العقول.**[1]أ. هـ .

وقال عن ابن تيمية-رحمه الله-في إحدى الإجابات:"**وابن تيمية نفسه من الشخصيات القلقة التي عرفها تراثنا الفكري والديني**"[2]. أ.هـ.

ثم قال:"**وإن هناك آثار ومظاهر أزمة روحية كانت تلم به**"[3] أ.هـ .

ج-أَمَّا محمد بن علي المحمود،فقد اتَّهم الإمام ابن قيم الجوزية-رحمه الله-بأنَّه أساء الأدب مع نبي الله عيسى عليه السلام؛إذ وصفه بأوصافٍ بلغت قمة البذاءة!!يقول-:"**إننا نتكلم عن احترام الرسل جميعاً، وأننا نقدسهم دون تفريق،ونرفض أن يسيء إليهم أحد ولو بكلمة عابرة. هذه هي الروح العامة عند جميع المسلمين. لكن، هل ننكر، أو نستنكر، ما ورد في كتاب رائج عندنا،نوصي به أبناءنا،ككتاب(إغاثة اللهفان)مع أن مؤلفه – في**

(١، ٢، ٣)-انظر موقعه على الشبكة.

معرض رده على النصارى، وتأكيده على بشرية المسيح–عليه السلام –يصف المسيح في قصيدة له، بأوصاف بلغت قمة البذاءة، كما في قوله (أقام هناك تسعاً من شهور.. البيتين. ج، ص٣٥٠)، ولا استطيع كتابة البيتين هنا؛ لما فيهما من إسفاف وانحطاط، بل وانعدام في الذوق العام*.

لا يمكن أن نكون صادقين – ونقنع الآخرين بصدقنا – في دعاوى احترام الآخر، ونحن نوصي أبناءنا بمثل هذه الكتب التي كتبت في عصور الصراع العقائدي، دون تنقية لها من هذا العفن الشائن. لن نكون مقنعين؛ إلا عندما نبدأ بغربلة تراثنا، وفحص مناهجنا، وجعل احترام الآخر سلوكاً عاماً لنا، وليس مجرد شعارات جوفاء، نجأر بها؛ للاستهلاك الإعلامي العابر"[(١)].

-إنكار قضية سد الذرائع والتشنيع على من يقررها من المتقدمين والمتأخرين من أهل العلم:

يحسن بنا في البداية أن نذكر تأصيلاً للمسألة حسبما جاء ذلك مُفصَّلاً في كلام أهل العلم:

لقد عَرَّفَ العلماء هذا المصطلح(سد الذرائع) بتعاريف كثيرةٍ،لعلَّ أجمعها وأحسنها قولُ منْ قالَ:إنَّ سَدَّ الذَّريعةِ هو:"**هو مَنْعُ المباحاتِ التي يُتَوَصَّلُ بها إلى مفاسدَ ومحظوراتٍ**"[(٢)].

---

*انظر:"إغاثة اللهفان":(٢/٢٩٠–٢٩٢)لابن قيم الجوزية؛حتى ينكشف لك حجم الزيف والافتراء الذي تمارسه بعض الأقلام المأجورة اليوم.

(١)– في مقالٍ له بعنوان(تأملات في الغضب الإسلامي)،نشر في جريدة الرياض:الخميس ١٠ المحرم ١٤٢٧هـ – ٩ فبراير ٢٠٠٦م – العدد ١٣٧٤٤)٠

(٢)– "مجلة مجمع الفقه الإسلامي–العدد التَّاسع": (٣/٦٢١)،منْ قراراتِ مجلسِ مجمعِ الفقهِ الإسلامي المنعقدِ في أبوظبي–الإمارات،في دورةِ مؤتمرهِ التَّاسعِ.

وقاعدة سد الذرائع-كما ذكر أهل العلم-تُعدُّ مظهراً من مظاهرِ الاجتـــهادِ بـــالرأي في الشَّريعةِ الإسلاميةِ[1]؛ذلك لأنَّها منهجٌ للاستنباطِ الفقهي للوقوفِ على أحكامِ الوقـــائعِ والنوازل،،حيث لا نصَّ من كتابٍ أو سنةٍ أو إجماعٍ،لذا لا ينبغي إغلاقُه ولا سَدُّهُ كما أن إباحته بلا قيودٍ ولا حدودٍ مفسدةٌ عظيمةٌ... لذلك لا بد من تقييده وعدم اعتباره إلا إذا توفر للمجتهد نصيب معين من العلم والتقى[2].

وقد قسَّم العلماءُ الذَّرائعَ المفْضِيَة إلى الحرامِ إلى قسمينِ:

(الأول):ذرائع مجمع على منعها:وهي المنصوص عليها في القرآن الكريم والـــسنة النبويـــة الشريفة،وهي المؤدية إلى المفسدة قطعاً أو كثيراً غالباً في زمن التَّشريعِ أو كانت مفـــسدةُ فِعْلُها أرجحَ من مصلحتهِ،وهذه هي التي أغلقت الشَّريعة بابها[3].

ويمكن أن يُمَثَّل لها بقول الله تعالى:**{وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }[الأنعام:١٠٨]**.

(الثاني):ذرائع مختلف فيها:وهي التي لا نصَّ فيها من كتابٍ أو سُنَّةٍ،ويجري فيهـــا النَّظـــرُ والاجتهادُ،وهذه الذَّرائعُ لم تكنْ في زمنِ التَّشريعِ مُفْضِيَةً إلى الحرامِ إلا بـــشكلٍ نـــادرٍ،أو كانتْ مصلحةُ فِعْلها حينئذٍ أرجح من مفسدته[4]،لذا لم تُغْلِـــقْ الـــشَّريعةُ بـــابَ هـــذه الذرائعِ،بل جعلته مفتوحاً،غير أنَّ هذا البابَ قابلٌ لأنْ يُغْلَقَ متى مـــا تغَيَّـــرت الظـــروفُ والأحوالُ،وذلك إذا صارتْ هذه الذرائعُ كشأنِ القسمِ الأَوَّلِ مُفْضِيَةً إلى الحرامِ قطعـــاً أو كثيراً غالباً أو كانتْ مفسدةُ فِعْلُها أرجحَ من مصلحتهِ.

---

(١)- "مجلة مجمع الفقه الإسلامي-العدد التَّاسع": (٦٢١/٣)،منْ قراراتِ مجلسِ مجمعِ الفقهِ الإسلامي المنعقدِ في أبوظبي-الإمارات،في دورةِ مؤتمرهِ التَّاسعِ.

(٢)- "مجلة مجمع الفقه الإسلامي-العدد التَّاسع": (٦٢٢/٣)بتصرف،منْ قراراتِ مجلسِ مجمعِ الفقهِ الإسلامي المنعقدِ في أبوظبي-الإمارات،في دورةِ مؤتمرهِ التَّاسعِ.

(٣)- "مجلة مجمع الفقه الإسلامي-العدد التَّاسع": (٦٢٢/٣)بتصرف،منْ قراراتِ مجلسِ مجمعِ الفقهِ الإسلامي المنعقدِ في أبوظبي-الإمارات،في دورةِ مؤتمرهِ التَّاسعِ.

(٤)-المصدر السابق.

ومِمَّا يَدُلُّ على اعتبارِ هذا النوعِ من الذَّرائعِ،وصِحَّةِ الأخذِ به،أنَّه قد عُمِل بـــه في فقـــهِ الصَّحابةِ والتَّابعين،وفي المذاهب الاجتهادية الأربعةِ على تفاوتٍ في مدى الأخـــذِ بـــهِ،أو درجة الأخذِ[1].

-أقوال الليبراليين في هذا الجانب:

أ-إبراهيم البليهي يُشَنِّعُ على هذا المبدأ العظيم،حيث يقول:"**إن الميل إلى التقييد والتحفظ والاحتراز وسد باب الذرائع ليس حالة خاصـــة ولا نـــادرة ولا عارضـــة في الحيـــاة العربية،وإنما هو نمط تفكير ثابت ومتوارث وسمة ثقافية عامة وراسخة وهي سمة ملازمة لكل الثقافات ذات الرؤية الأحادية القاطعة التي لا ترى من الأشياء سوى وجه واحد ولا تعتمد مبدأ الترجيح والتغليب في النظر إلى الأشياء والحكم عليها...**"[2].

ب-يقول المحمود:"**بواسطة هذه القاعدة الذرائعية،تم تحريم الكثير من الحلال.فمـــع أن تحديد كيفية الإفضاء هذا،وحتميته،أو درجة التغليب في الظن،أو امتلاك تصور واقعي عن طبيعة الوسائل،كل ذلك ليس من شأن الفاعل الديني،أو-على الأقل -ليس مـــن**

---

(١)-"مجلة مجمع الفقه الإسلامي-العدد التَّاسع": (١٣٣/٣)بتصرف،منْ قراراتِ مجلسِ مجمعِ الفقهِ الإسلامي المنعقدِ في أبوظبي-الإمارات،في دورةِ مؤتمرهِ التَّاسعِ.

(٢)-في مقالٍ لـــه بعنـــوان:"القيـــود حـــين تكـــون نافعـــة وحـــين تـــصير ضـــارة"،نُـــشِرَ في(جريـــدة الرياض)بتاريخ:٢٠٠٤/٨/٢٢م.

شأنه وحده، إلا أن الفاعل الديني يريد أن يحتكر الحكم في كل هذا العالم الذي ينضج بالمدنية الخالصة؛تحت مبرر من هذه القاعدة التي ليست محل إجماع.

لم يكن لهذه القاعدة أن تروج؛ لولا أن هناك هوساً بالتحريم في الثقافة الإسلامية منذ القدم. وهذا الهوس تصاعد في مجتمعاتنا، إلى درجة صبغتنا بروح (حرورية) تجاوز الأصل الشرعي العظيم، والذي يؤكد على أن التحريم استثناء، والإباحة هي الأصل.هذه الروح (الحرورية) قلبت الأصول الشرعية؛فأصبح التحريم هو الأصل الراسخ، والإباحة استثناء عابرا،بل وضُيّق هذا الاستثناء إلى درجة تقارب الإلغاء"[(١)].

-الهجوم على مناهج التعليم الشَّرعِيَّةِ في السُّعودية*:

أ-شنَّ الكاتب الليبرالي(محمد بن علي المحمود)هجوماً ضارياً على المقررات الشَّرعيةِ في المنهج التعليمي في المملكة،وذلك في مقالٍ طويلٍ له بعنوان"مفهوم التسامح(٢-٢)"[(٢)].

ب-يقول عبد الله بن بجاد العتيبي في مقال له بعنوان:"مناهجنا العلمية بين التطوّر والجمود":

" لعل من المتفق عليه أن مناهج الفكر تشكل في تاريخ الأمم أحد أهم عوامل نهوض الحضارات وسقوطها،**وثبات هذه المناهج وتحنيطها عند فترة معينة، يعني بالضرورة شيخوخة الحضارة وهرمها،والحضارة التي تحمي نفسها من عوامل التجديد والنقد**

---

(١)-في مقالٍ له بعنوان:"سد الذَّرائع:دليل أم آلية تحريم؟)،نُشِرَ في(جريدة الرياض)،بتاريخ:الخميس١ربيع الأول١٤٢٧هـ-٣٠مارس٢٠٠٦م-العدد:١٣٧٩٣.

*انظر-غير مأمور-دراسة قيمة نُشرتْ عبر موقعِ (المسلم الإلكتروني)حول هذا الموضوع للشيخ د.سليمان الغصن بعنوان:"نظرات في ملحوظات الكاتبين: إبراهيم السكران وعبد العزيز القاسم على مقررات مناهج العلوم الشرعية في التعليم"،ودراسة أخرى للشيخ سليمان الخراشي،نُشرتْ عبر موقع(صيد الفوائد)بعنوان:"مغالطات القاسم والسكران في بحثهما عن المناهج الشرعية بالمملكة العربية السعودية المقدم إلى مؤتمر الحوار الوطني الثاني".

(٢)-كتاب الرياض الإلكتروني"حروف وأفكار":(ص/٤٤-٤٦)،وقد نُشر مقاله المذكور في جريدة الرياض،بتاريخ:١٠/١١/٢٠٠٥م.

وإعادة البناء تحكم على نفسها بالموت الحضاري والتبعية المذلة. يمكن رصد التفاعل الطبيعي في مناهج الفكر التي تعبر عنها العلوم ومسيرتها في التطور، والعلماء في تقلباتهم العملية -بعيداً عن صنمية الثبات المعاصرة -على طول خارطة تاريخنا الإسلامي علميا وعمليا، سواء في المناهج الفكرية عموما أو في قناعات العلماء بها وتطور تلك القناعات من مرحلة لأخرى أو تطور في أفكار محددة ورؤى جزئية، لقد كان التطور طابعا سائدا ومتفهما إبّان الإشراقة الحضارية الأولى لأمتنا، ولكنها ما لبثت أن خفتت عندما سيطرت أصنام الثبات على قلوب المتبتلين في محاريب المعرفة أو المتنفذين في إدارة الحياة"[1].

دعوتُهم للحرية بمفهومها المنحرف:

أ-يقول منصور النقيدان:" أعتقد أن الحل يكمن في أن يكون هناك حرية،وأن يطرح الجميع ما لديهم"[2] .

ب-وانظر إلى إبراهيم البليهي كيف يقع في هوةٍ سحيقةٍ مظلمة حينما ينطلق من تلك الحرية المنحرفة،إلى درجة إنَّه يصف تمسك الأمة بأحد النصوص القرآنية بأنه انغلاق وتمركز حول الذات،وأنه نوع من التباهي بالأفكار السيئة!!!،يقول:"**إن المجتمعات لا تتقدم وتزدهر إلا إذا تفاعلت التلقائية مع الإبداعية فالتلقائية هي قدر الأكثرية التي تبقى في الثقافات المغلقة مغتبطة بثقافتها وقيمها وتقاليدها وطيّعة لقادتها وأهل الحظوة عندها ومستسلمة لأوضاعها وثبات أحوالها وملتزمة تلقائياً وليس اختياراً واعياً بما وجدت عليه نفسها إنها في البيئات المغلقة لا تدرك تنوع الخيارات ولا يخطر على بالها تعدد الاحتمالات فهي ذات تصور ثابت ومكتمل ومغلق فتنقاد بتلقائية لما هو سائد من الأفكار والعادات والتصورات والأوضاع إنها تعيش راضية عنه وقانعة به بل**

(١)-انظر موقعه على الشبكة العنكبوتية.

(٢)-انظر موقعه على الشبكة العنكبوتية.

وتتباهى بما ورثته مهما كان سيئاً وتستميت في الدفاع عنه والتمسك به والدعوة إليه: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾. فما من أمـة إلا وتـدفعها ثقافتها إلى التمركز حول الذات وتوهمها بأنها الأكمل والأحق بالسيادة وتنكر أي حق للثقافات الأخرى وتنقاد الأكثرية التلقائية في كل مجتمع لهذا الوهم وهذا شأن البـشر في كل زمان ومكان غير أن هذا الوهم وهذا التمركز آخذان في الانحسار في الثقافات الحرة المنفتحة كما أن هذا الانفتاح يحاول أن يمتـد عالميـاً عـن طريـق الإنترنـت والفضائيات ووسائل التواصل الكثيرة الأخرى التي تميز بها هذا العصر ولكن ذلك كله لن يقلل من أهمية التكامل بين الأكثرية المنقادة والقلة القائدة سواء في مجالات الفكـر أو في مجالات الفعل"[1].

ويقول أيضاً:" إن التقدم لا يمكن أن يتحقق لأي مجتمع إلا إذا سَمَحَ للآراء المختلفة أن تتقابل وتتفاعل وتتقارب وتتلاقح ومكَّن الناس من سماع كل الأطراف والإصغاء لكل الأفكار وبذلك يتاح لأهل الفكر توصيل أفكارهم للجميع دون خوف مـن إسـاءة السمعة أو قطع الرزق أو الإقصاء والنبذ كما يتاح للناس أن يُمَحِّصوا وأن يختـاروا كما يتاح للمفكرين أنفسهم من ذوي الاتجاهات المختلفة أن يطلع بعضهم على أفكار بعض مما يؤدي إلى تعديل مواقفهم والتقارب فيما بينهم وبذلك تنكـشف الأوهـام والجهالات ويتاح للناس التعرف على الأفكار من مختلـف الاتجاهـات والمـستويات وتتضح الرؤى وتنشأ لديهم مقدرة على الفحص والتحليل والفرز والتقييم والانتقـاء وبهذا يستطيع المجتمع الخروج من قوقعة البرمجة التاريخية المغلقة إلى فـضاء الحـضارة الواسع بكل ما يعنيه ذلك من قدرة علـى المراجعـة والفـرز والتقيـيم والانتقـاء والتجدُّد"[2].

ج-ويقول المحمود:"لهذا كانت حرية التفكير التي تتبعها بالضرورة حرية التعبير، هـي أول ما تسعى المجتمعات الناهضة من مستنقعات التخلف والتقليد إلى تحقيقها وتفعيلها

---

(١)-في مقالٍ له بعنوان:"تلقائية الإنسان سبب اسـتلابه لكنـها شـرطُ فاعليتـه!!" ،نُـشر في جريـدة الرياض،بتاريخ:١٣/٦/٢٠٠٤م.

(٢)-في مقالٍ له بعنوان(نهضة الفكر تؤسِّس لنهضة العلم)،نُشرَ في(جريدة الرياض:٢١/٤/٢٠٠٢م).

في الواقع، وحفظها من عوادي القوارض التقليدية التي لم، ولن تكف عـن محاولتـها الدائبة – التي تنبع من طبيعتها – لإجهاضها. هذه الحرية هـي مركـز اهتمـام الأمـم الصاعدة؛ لأنها لا تعني مجرد إباحة الكلام، **وإنما تعني إباحة التفكير. وإباحة التفكير تعني فتح الأبواب لممارسة عملية الخلق الإبداعي**، دون **رقابة من ثقافة مسبقة،أو من ذوات مريضة بالأوهام، وتريد تعميم هذا المرض على الجميع**"[1].

– نقد الثَّوابت والتشكيك فيها:

مَارَسَ أربابُ هذا الفكرِ وأساطينهُ أساليبَ متنوعةٍ،واتَّخذوا طرائقَ مُتَعددةٍ؛لِهدمِ الأصولِ، وَهَزِّ الثوابتِ،والتَّشكيكِ بالمسلماتِ،تَحَتَ مِظَلَّةِ(العلميةِ والموضـوعيةِ،والتَّجردِ،والحيادِيَّةِ والنقدِ الذاتي،والتَّصحيحِ والنَّصيحةِ،والإنصافِ والعدلِ)،وبدعوى(نسبيةِ الحقيقة)وعـدم امتلاكِ أحدٍ للحقيقةِ المطلقةِ.

وقبلَ الْوُلوجِ في عَرْضِ الشَّواهدِ والأمثلةِ الكليةِ والجزئيةِ منْ كتاباتِ الليبراليين الَّتي تُجلِّي هذهِ الحقيقةِ،وَتُبْرِزُهَا كَأَنَّما هي الشَّمسُ في رائعةِ النَّهارِ،يَحْسنُ بي أَنْ أُلْقِي الضَّوءَ عَلَـى مُصطلحِ الثَّوابتِ وما يُراد بهِ،حَتَّى تكونَ الصُّورةُ ظاهرةً للعيانِ،وحَتَّى لا يَظُنَّ القارئ أَنَّنا ندورُ في فلكِ الخيالاتِ،أَوْ نَسْبحُ في تيارِ الأوهامِ.

إذاً؛فما هي الثَّوابتُ،وماذا يُرادُ بِهَا؟وما مجالُهَا؟وهلْ هي ميدانٌ فسيحٌ يَصْلُحُ للتطـويرِ أو الاجتهاد؟

الثَّوابتُ هي:القطعياتُ ومواضعُ الإجماعِ الَّتي أقامَ اللهُ بهَا الحجةَ في كتابهِ،أو على لسانِ نبيهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ والَّتي لا يَحِلُّ فيها الاختلافُ،وَيُـضافُ إلى ذلـكَ بعـضُ الاختياراتِ العلميةِ الرَّاجحةِ الَّتي تُمثلَ مخالفتها نوعاً منَ الشُّذوذِ أو الزَّللِ"[2].

---

(١)– جريدة الرياض،الخميس ١٦ ذي القعدة ١٤٢٧هـ – ٧ ديسمبر ٢٠٠٦م – العدد ١٤٠٤٥ .

(٢)–انظر:"الثوابت والمتغيرات":(ص/٣٨)للدكتور صلاح الصاوي،و"الثبات والشمول":(ص/١٠٩–١٢٩)للدكتور عابد السفياني،ومقالاً لفضيلة الشيخ العلامة:صالح بن فوزان الفوزان،جريدة الوطن الكويتية (الإثنين :١ يناير ٢٠٠٧ م).

قالَ الشَّافعيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-:"**كل ما أقام الله به الحجة في كتابه أو على لسان نبيه منصوصا بينا لم يحل الاختلاف فيه لمن علمه**"[1].

وهي الَّتي يُسَمِّيها شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية-رَحِمَهُ اللهُ-الشَّرعَ المَنزَّلَ،وهُوَ ما شَرعهُ اللهُ ورسولهُ منَ الأقوالِ والأعمالِ مِمَّا ليسَ للاجتهادِ فيهِ مجالٌ.وحقيقتهُ:اتِّباعُ الرَّسولِ والدُّخولُ تحتَ طاعتهِ،واتِّباعُ هذا الشَّرعِ واجبٌ،وليسَ لأحدٍ إلا التسليمُ والإذعانُ،كما قالَ تعالى:{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً }[الأحزاب:٣٦].

وقالَ-جلَّ وعلا-:"{فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً }[النساء:٦٥].

فالثَّوابتُ إذاً تتلخَّصُ في النَّصِّ الصحيحِ المحكمِ الَّذي لا معارضَ لهُ،أو الإجماعُ الصَّريحُ الَّذي لا منازعةَ في ثبوتهِ،إلاَّ منازعةً تُعدُّ من قبيلِ الزَّلةِ الَّتي لا يُعتدُّ بهَا ولا يُعوَّلُ عليها،وهِيَ بهذا المعنى تُقابلُ الشَّرعَ المؤوَّلَ وهُوَ الَّذي يُعبَّرُ عنهُ بلغةِ العصرِ ب(المتغيراتِ)وَهِيَ:مواردُ الاجتهادِ القابلةُ للتَّغيُّرِ بحسبِ الحالِ ومعطياتِ الواقعِ،وَهي كلُّ ما لَمْ يقمْ عليهِ دليلٌ قاطعٌ منْ نَصٍّ صحيحٍ أَوْ إجماعٍ صريحٍ[2].

يقولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ-رَحِمَهُ اللهُ-:"**الشَّرْعُ الْمُنَزَّلُ "وَهُوَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ وَهَذَا يَجِبُ اتِّبَاعُهُ وَمَنْ خَالَفَهُ وَجَبَتْ عُقُوبَتُهُ.وَالثَّاني " الشَّرْعُ الْمُؤَوَّلُ "وَهُوَ آرَاءُ الْعُلَمَاءِ الْمُجْتَهِدِينَ فِيهَا كَمَذْهَبِ مَالِكٍ وَنَحْوِهِ؛فَهَذَا يَسُوغُ اتِّبَاعُهُ وَلَا يَجِبُ وَلَا يَحْرُمُ،وَلَيْسَ لِأَحَدِ أَنْ يُلْزِمَ عُمُومَ النَّاسِ بِهِ وَلَا يَمْنَعَ عُمُومَ النَّاسِ مِنْهُ**"[3].

ويقولُ أيضاً-رَحِمَهُ اللهُ-:"**الشَّرْعُ الْمُنَزَّلُ وَهُوَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَاتِّبَاعُهُ وَاجِبٌ مَنْ خَرَجَ عَنْهُ وَجَبَ قَتْلُهُ وَيَدْخُلُ فِيهِ أُصُولُ الدِّينِ وَفُرُوعُهُ ؛ وَسِيَاسَةُ الْأُمَرَاءِ وَوُلَاةِ الْمَالِ وَحُكْمُ الْحُكَّامِ وَمَشْيَخَةُ الشُّيُوخِ وَغَيْرُ ذَلِكَ فَلَيْسَ لِأَحَدِ مِنْ الْأَوَّلِينَ والآخرين خُرُوجٌ**

---

(١)- "الرسالة":(ص/٥٦٠).

(٢)-انظر:"الثوابت والمتغيرات":(ص/٤٠)،ومقالاً لفضيلة الشيخ العلامة:صالح بن فوزان الفوزان،جريدة الوطن الكويتية (الإثنين :١ يناير ٢٠٠٧ م).

(٣)-"مجموع الفتاوى":(١/٢٦٣).

عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ . و " الثَّانِي " الشَّرْعُ الْمُؤَوَّلُ وَهُوَ مَوَارِدُ النِّزَاعِ وَالِاجْتِهَادِ بَيْنَ الْأُمَّةِ فَمَنْ أَخَذَ فِيمَا يَسُوغُ فِيهِ الِاجْتِهَادُ أُقِرَّ عَلَيْهِ وَلَمْ تَجِبْ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ مُوَافَقَتُهُ إلَّا بِحُجَّةٍ لَا مَرَدَّ لَهَا مِنْ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ"[1].

ويقولُ ابنُ القَيِّمِ-رَحِمَهُ اللهُ-:"**الحكمُ المنزلُ هو الَّذي أنزلهُ اللهُ على رسولهِ وحَكَمَ بهِ بينَ عبادهِ وهُو حُكْمُهُ الذي لا حَكَمَ لهُ سِواهُ.**

وأمَّا الحكمُ المؤَوَّلُ فَهُو أقوالُ المجتهدينَ المختلفةُ الَّتِي لا يجبُ اتِّباعُها ولا يَكْفُرُ ولا يَفْسُقُ منْ خَالفَهَا؛فإنَّ أصحَابَها لَمْ يَقُولُوا هَذَا حُكْمَ اللهِ ورسولهِ بل قَالوا اجتهدنَا برأينا فمنْ شاءَ قَبلهُ ومن شاءَ لَمْ يَقْبَلْهُ وَلَمْ يُلْزِمُوا بهِ الأُمَّةَ"[2].

ويقولُ الغزاليُّ-رَحِمَهُ اللهُ-:"**وَالْمُجْتَهَدُ فِيهِ كُلُّ حُكْمٍ شَرْعِيٍّ لَيْسَ فِيهِ دَلِيلٌ قَطْعِيٌّ...وَإِنَّمَا نَعْنِي بِالْمُجْتَهَدِ فِيهِ مَا لَا يَكُونُ الْمُخْطِئُ فِيهِ آثِمًا ؛ وَوُجُوبُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالزَّكَوَاتِ وَمَا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ مِنْ جَلِيَّاتِ الشَّرْعِ فِيهَا أَدِلَّةٌ قَطْعِيَّةٌ يَأْثَمُ فِيهَا الْمُخَالِفُ فَلَيْسَ ذَلِكَ مَحَلَّ الِاجْتِهَادِ**"[3].

ومجالُ هذه الثوابتِ إنَّما **يكونُ في كلياتِ الشَّريعةِ ،ومسائلِ العقيدةِ،وأصولِ الفرائضِ،وأصولِ المحرماتِ،وأصولِ الفضائلِ والأخلاقِ.وأبرزُ ميادينها:العقائدُ والعباداتُ والأخلاقُ وأصولُ المعاملاتِ**[4].

وَتأْسيساً عَلَى هذهِ المعرفةِ الكليةِ الواضحةِ لمصطلحِ الثوابتِ،وانطلاقاً منْ تحديدِ مجالاتِ الثوابت وميادينها،نأتِي الآنَ لذكرِ الشَّواهدِ والأمثلةِ الكليةِ والجزئيةِ منْ كتاباتِ العصرانيينَ الَّتِي تُوضِّحُ للقارئِ الكريمِ حجم التشكيكِ والنَّقدِ الَّذي طالَ الثوابتَ من جهتهمِ،**وهم يعبّرون عنها تارة بالمسلّمات، وتارة بالحتميات، وتارة بالمعرفة الأولى.. الخ وهي دعوة**

---

(١)- "مجموع الفتاوى":(٩/٢٨١).

(٢)-"الروح":(ص/٢٦٦).

(٣)- "المستصفى":(٢/٣٧٠).

(٤)-انظر:"الثوابت والمتغيرات":(ص/٣٩)،و"السلفيون والأئمة الأربعة":(ص/٢٤، ٢٥)لعبد الرحمن عبدالخالق.

خطيرة تكشف عن حقيقة ما يطرحونه من فكر.. ونبدأ أوّلاً بذكرِ الشواهدِ والأمثلةِ الكليةِ العامَّةِ.

أوّلاً:ذِكْرُ الشّواهدِ والأمثلةِ الكليةِ العامَّةِ:

أ-خالص جلبي يدعو إلى أَنْ يتجاوز العقلُ نطاقَ الثّوابت الدينية،ويقفز عليها،فيقول:"المواطن العربي اليوم محاصر في مثلثٍ من المحرَّمات،بين الدِّين والسياسة والجنس،كلُّ ضلعٍ فيه يمثل حاجزاً شاهقاً لا يستطيع أفضل حِصانٍ عربيٍّ رشيقٍ،أنْ يقفزَ إلاَّ بالقفزِ إلى الإعدامِ. ،فأمام حائط الدِّينِ يُطِّلُ مفهوم الرِّدةِ،وأمام جدار السياسة يبرزُ مصطلح الخيانةِ،وعند حافة الجنسِ تَشْعُ كُلُّ ألوان الحرامِ والعيبِ،**فالعقلُ مُصادرٌ ومؤممٌ وملغي حتى إشعارٍ آخرَ**"ثُمَّ يدعو إلى ثَوْرةٍ عقليةٍ:"**لا بُدَّ منْ تدريبِ عقولنا على النِّقاشِ والجدلِ،وذلكَ يفتحُ طُرُقاً عصبيةٍ رائدةٍ،فالعقل النَّقدي حي والعقل النَّقلي ميتٌ**"[1].

ب-إبراهيم البليهي يدعو إلى نقد المسلمات ويزعم أنَّ هذا هو صانع الحضارات،حيث يقول:" إنَّ النقد للأفكار والرُؤى والأوضاع والأعراف والتَّقاليد والمواضعات والمسلّمات هو محرِّك الحضارة وهو صانع التَّقدم في كل مجالات الفِكر والفِعل وهو الشّرارة التي فجَّرت طاقات الإنسان وصَنَعت له أمجاد الفِكر والعِلم ووفَّرت له أسباب الإزدهار فالأُمم التي اعتمدت هذه الآلية الرائعة حقَّقت طُموحاتها وأنجزَت إثبات ذاتِها ووقفت شامخة بين الشُّعوب في سِباقات الفِكر والفِعل أمَّا الأُمم التي أخمدت هذا المُحرك الأكبر أو تجهله أو لا تُحسن استخدامه فقد بقيت عاجزة عن مُبارحة خنادِق التَّخلُّف بل بقيت رافضة بأن تتجاوز هذه الخنادق لأنَّ حِرمانها من النَّقد والمُراجعة حرّمها من اكتشاف نقائِصها كما حرّمها من التَّعرف على ما في الدنيا من آفاق وبدائِل فبقيت تتوهَّم أنَّها الأفضل والأرقى وظلَّت رهينة هذا الوهم .."[2].

---

(١)-جريدة الرياض،العدد(١٠٣٤٩)،بتاريخ:٢٤/١٠/١٩٩٦م.

(٢)-في مقال له بعنوان: (ظهور الفِكر النَّقدي شرارة الإنطلاق الحضاري)،الرياض: **الأحد ٢٣المحرم ١٤٢٨هـ - ١١فبراير ٢٠٠٧م - العدد ١٤١١١ .**

فتأمَّلْ -يا رعاك الله- كيف ساوى بين الأفكار والرُؤى والأوضاع والأعراف والتَّقاليد.. وبين المُسلّمات التي هي الثوابت، ولم يستثن من ذلك شيئاً.. فكلّها يجب أن تكون خاضعة للنّقد حسب رأيه.

ويقول أيضاً:"ولكل ثقافة مسلَّمات سابقة للعلم ومحدِّدة لآثاره وهي في الغالب ليست قائمة على معرفة ممحصة اختبرها الوعي الفردي والجماعي واقتنع بها ثم مارسها حتى صارت سلوكاً تلقائياً لا شعورياً، وإنما هي مسلَّمات عفوية يتوارثها المجتمع عن أسلافه جيلاً بعد جيل، ويتشرَّبها الأفراد بشكل تلقائي، فهي لا تمر بالوعي ولا يغربلها العقل وإنما هي انسياب تلقائي من اللاوعي الجمعي إلى اللاوعي الفردي وقوامها التقليد والمحاكاة والوجدان والتلقين والحس المشترك ويمتصها اللاوعي الفردي مباشرة من المجتمع وبذلك فهي ليست نتيجة بحث وتدقيق واستقصاء وإنما هي امتصاص تلقائي وتكيّف وتطبّع ويستمر من المهد إلى اللحد ومصدر هذا التطبع هو البيئة وثقافة المشافهة والمحاكاة والتقليد والارتجال وردود الأفعال والانفعال التلقائي والسلوك العفوي إنها مسلَّمات تكوَّنت بالنسبة للمجتمع خلال التاريخ بكل ما فيه من صراعات وتحيزات وأهواء ودعاية وتزييف وحجب للحقائق ويمتص الأفراد منذ الطفولة كل هذا الركام غير الممحص فيذوبون به ويمتزجون فيه...

إن المسلَّمات محصَّنة عن فاعلية العقل بالبداهات السائدة، فعقل كل فرد في أي مجتمع يتشكَّل منذ الطفولة بالمسلَّمات المهيمنة في مجتمعه فيتعامل معها بتلقائية تامة ولا يخطر على باله أنها قابلة للشك أو الفحص أو المراجعة، فهي ممزوجة بذاته بل هي ذاته فالذات لا تتكوَّن إلا بما يمتصه الفرد من المجتمع فهي بحكم هذه التلقائية العمياء تبدو وكأنها حقائق ناصعة ومكتملة وبذلك تتحصَّن عن فاعلية العقل الناقد فالعقل لا يكون في حالة الفاعلية إلا إذا هو انفك بالشك من تدفق التلقائية العمياء إن العقل في فاعليته هو الشك المنهجي وهو التعقل المتأني وهو التدقيق المستوثق وهو التوقف الفاحص وهو التمحيص الواعي وهو الشعور بالمسؤولية الفردية بواجب التحقق وهو الارتقاء

بالذات عن التصديق الأبله وهو الخروج من سذاجة التلقائية البليدة إلى فاعلية العقل الناقد"[1].

ويقول:"إن لكل أمة مسلماتها وأوهامها التي تستبقيها مقيدة وعاجزة عن مبارحة واقعها المتخلف ما لم تخرج من هذا الأسر بفضل العقل الفاعل والاستجابة له، أما الفارق الذي أوجد هذا التفاوت الهائل في المستوى الحضاري بين الأمم منذ بزوغ العصر الحديث فهو امتلاك آلية التصحيح عند المزدهرين أو الافتقار إلى هذه الآلية العجيبة عند المتخلفين فكل أمة لم تتمرس بآليات الشك والنقد والمراجعة والتحليل فإنها لا تستجيب لمفكريها ولا تستفيد من مبدعيها فتبقى مقيَّدة بالمسلَّمات ومشدودة بالمسارات التاريخية الآسرة تجتر تاريخها وتعيد إنتاج ذاتها وتكرر السير مع نفس المسارات التي تتوارثها الأجيال منذ مئات السنين...

وكلما زاد انغلاق الثقافة زادت مسلَّماتها وصار من الصعب نقد هذه المسلَّمات من داخلها، ومن الأمثلة الشائعة على المسلَّمات الخاطئة التي لا تستند إلى أي مبرر موضوعي توهُّم كل أمة من الأمم مثلاً أن لغتها هي اللغة الإنسانية الحقيقية وأنها ذات امتياز مطلق على كل اللغات وأنها لغة استثنائية بل إنها أحياناً تراها مقدسة وأنها تحمل سراً خاصاً ليس موجوداً بأية لغة أخرى، وتستمر الأجيال تتوارث هذا الوهم الساذج دون أن يتطرق إليه أي شك وحتى أشد الأفراد ذكاء لا يخطر على باله أن يسأل ما هي المكوِّنات والحاضنات الموضوعية التي تبرر مثل هذا الادعاء الأخرق وما هي مقومات وعناصر هذا التفرد المزعوم وما هي المزايا التي تنفرد بها هذه اللغة لتجعلها لغة استثنائية وفريدة ومن أي مصدر جاءت وكيف أتت...؟!!"[2].

---

(١)–جريدة الرياض:الأحد ٢١ شوال ١٤٢٧هـ – ١٢نوفمبر ٢٠٠٦م – العدد ١٤٠٢٠ .

(٢)–المصدر السابق.

ج-المحمود يَشُنُّ هجوماً ضارياً على الثوابتِ تحتَ مسمًّى(الحتمياتِ):

يقول: "لا أريد أن أنحيز إلى تهميش الحتميات؛ بقدر ما أريد التأكيد على قدرة الإرادة الإنسانية على تجاوزها، والتحرر منها؛ مع الإقرار بنسبية هذا التحرر. بل إن حضورها الطاغي أحيانا هو ما يبعث روح التحدي إزاءها، ويجعل من التحرر منها تحقيقا لتحرر الإرادة الإنسانية مما سوى الإنساني . . . "[1].

فهو يرى في مقاله الطويل الذي يكتنفه الغُموض أنّ الحتميات التي هي الثوابت-ويعني بها ثوابتنا نحن لكنّه لم يجرؤ على تسمية الأشياء بأسمائها-هي العائق عن تحقيق التقدّم والإرادة الإنسانية، في الوقت الذي يثني فيه على الإنسان الغربي الذي يمثل في نظره مقدمة الــوعي الإنساني، ومثال الإرادة الحرة الواعية بذاتها. لأنّه الإنسان الأقل خــضوعا للحتميــات، والأشد تحرراً من أسرها !!!!!. إنّها قمّة الانهزامية والتبعية والانحراف الفِكري، أو بتعبير بعض الفضلاء: (الأدمغة المفخخة).

د-يوسف أبا الخيل ينتقد الثوابت تحت مُسمًّى(النظام المعرفي)،ويدعو إلى فتح مجــال الشكِ أمام العقلِ الناقدِ بدعوى(نسبية الحقيقة):

يقول:"يعرف النظام المعرفي (الإيبيستيمولوجيا) بأنه الطريقة أو الآلية أوالنظــام الــتي يستقي بها مجتمع ما أو لنقل ثقافة ما النظرة للكون والحيــاة والعلاقــات الفيزيقيــة والميتافيزيقة بشكل عام.

ولكل ثقافة معينة نظام معرفي خاص بها وتكاد أن توصف به الحضارة المؤسسة علــى تلك الثقافة، فيقال مثلاً للحضارة العربية بأنها «حضارة النص» بينما توصف الحضارة اليونانية بأنها «حضارة العقل» وهكذا، وعلى ذلك فإذا كانت الحــضارة الإســلامية تتميز بأنها حضارة نص فذلك يعني أنها تعتمد في نظرتها للكون والحيــاة والعلاقــات الإنسانية والاجتماعية على ما توفره النصوص الثقافية بشكل عام سواء الدينية منها أو ما أضيف إليها من مراكمات إنتاجية (تفسيرية وتأولية واجتهادية عامة) وبالتالي فــإن

---

(١)-في مقال له بعنوان:(الإرادة الإنسانية.. المستقبل يصنعه الإنسان)،الرياض: الخمــيس ١٥ ذي الحجــة ١٤٢٧هـــ - ٤ يناير ٢٠٠٧م - العدد ١٤٠٧٣ .

نظامها المعرفي يوفر نظرة نقلية تجاه مكونات الحياة، لكنه قد لا يلقي بالاً لما قد توجبه موجبات العقل تجاه موضوع معين إذا كان يستشف منها (نظرياً على الأقل) اختلافها مع النظرة التي تُستشف من النصوص.

في الحضارة اليونانية كان النظام المعرفي السائد فيها هو النظام البرهاني القائم على فحص مكونات الأمر المعروض للبحث ومن ثم الحكم عليه أو فيه من زاوية عقلانية بحتة تعتمد النظر والتأمل ومقارنة الأشياء ببعضها وإعطاء رأي غير قاطع فيها باعتبار أن الفكر البشري قائم على الترجيح بين البدائل المتاحة مما يعطي فرصة مستمرة لعرض البديل المقترح على مشرحة النقد المستمرة بحيث يتم الاستغناء عنه عند ما يتقادم به الزمن ويصبح غير قادر على مسايرة العصر، ميزة النظام المعرفي البرهاني أنه غير متقيد بمقيد ميتافيزيقي فهو يعمل وفق معطيات العقل وبالتالي ففيه فرصة للخطأ والصواب وبالتالي تتوفر المراجعة المستمرة التي تعتمد على نظام التغذية المرتدة للمعلومات (back Feed"

إلى أن يقول:"..العنف ومن ثم التطرف ينتج غالباً من اعتقاد المجتمع عموماً (وهو ما يربى أفراده عليه بالطبع) بأنّه مالك خطام الحقيقة المطلقة في نظرته للناس والكون والحياة، ومن ثم فلا يجد سبيلاً لأداء مهمته في الحياة سوى إجبار الناس المخالفين على عدم إهلاك أنفسهم، وردهم لحياض الحقيقة المطلقة "[1].

ويقول:"لذا لا بد للإنسان-ولا يتأتى ذلك له للأسف غالباً إلا في العيش في جو ثقافي فلسفي - أن يشك ولو مرة واحدة... شك يعطي دفعاً للشاك أن لا يتحمس أو يتمعر وجهه أو تنتفخ أوداجه عندما يتعايش مع من يخالفه توجهاته ،إذ أن هذا الشك يتيح لذلك الإنسان الشاك استحضار تساؤلات من قبيل : ولماذا لا تكون وجهة نظر فلان هي الصواب؟ أو لماذا لا تكون تلك الرؤية أو ذلك التأويل أو التفسير أو التخريج لذلك الفرد أو الجماعة أو الفرقة تحمل على الأقل شيئاً من الصحة في باطنها؟ ولماذا مثلاً لا تكون الرؤية التي أحملها أو تلك التي حُمِّلتها ليست قاطعة ويشوبها الشك وعدم اليقين؟ في مثل ذلك الجو الثقافي المشبع والمربى على نسبية الحقيقة -

---

(١)- جريدة الرياض:الأحد ٢٥ جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ - ٣١ يوليو ٢٠٠٥م - العدد ١٣٥٥١ .

النظرية على الأقل - لا يملك الإنسان إلا أن يكون متسامحاً مع غيره لأنــه لا يحمــل اليقين على قطعية ما تناهى إليه نظره وما برمجته عليه ثقافته طوال عمره"[١].

هـ-يقول **عبد الله بن بجاد العتيبي**:"إذاً فلا بد كمنطلق لعملية التنـــوير والإصـــلاح **أن يدخل الشك في آلية العقل العربي الإسلامي الحـــالي أن يـــشك في قـــضية جوهريـــة وهي"هل هو قادر على العمل الآن؟هل آلياته ومناهجه ومنظومتـــه المعرفيـــة صـــالحة للتعامل مع الزمن الراهن**"[٢].

و-**يقول مشاري الذايدي في مقال له بعنوان**:"وصية الغامدي: انجُ سعد .. فقد هلـــك سعيد):"**ولذلك فان الحديث الذي لامعنى له عن حماية الثوابت، إن هو إلا فرضية ترفية لا تملك وجودا حقيقيا في دنيا النقد التاريخي، كثير من المفاهيم حورت ، وشـــذبت ، وتعرضت لاعادة تعبئة، طبقا للمتغيرات الموضوعية، الانسان هو من ينـــتج الفكـــر، وليس الفكر من يصنع الانسان، حتى وإن توهم العقائديون الأشداء ذلك!**"[٣].

ثانياً:ذِكْرُ الشَّواهدِ والأمثلةِ الجزئيةِ الخاصَّةِ:

١-حسن المالكي يُشَكِّكُ في العقيدةِ بحججٍ متهافتةٍ:

يقول:"**وكتب العقائد رغم ما فيها من حق قليل إلا أن فيها الكثير من الباطل ، بل هو الغالب عليها لما فيها من الأحاديث المكذوبة على النبي صـــلى الله عليـــه وســـلم ، والإسرائيليات المشككة للمسلم والتكفير للمسلمين ، وزرع بذور الشقاق والتباغض والتنازع بين المسلمين ، وغير ذلك من الهوى والظلم والجهل ، وسواء كان ذلـــك في كتب العقائد عند الشيعة أو السنة أو الإباضية أو الصوفية أو غيرهم ، ولم يـــنج مـــن**

(١)-في مقالٍ له بعنوان:(لنشك حتى لا نقع في شر قطعياتنا)،نُشِرَ في جريدة الرياض،بتاريخ:الأحد ١٩صفر-١٤٢٧هـ.

(٢)-جريدة الوطن،العدد:١٧٢٧،بتاريخ:٢٢/٦/٢٠٠٥

(٣)-انظر موقعه على الشبكة العنكبوتية.

كثير من ذلك إلا بعض كتب المجتهدين في الماضي أو الحاضر ، وهي قلة نسبة إلى هذه الكثرة"[1].

٢-التشكيك في المفهوم الصَّحيحِ للولاء والبراء،واستبداله بمفهومٍ منحرف:

أ-يقول مـــشاري الذايـــدي في لقـــاء معـــه، في برنـــامج إضـــاءات،أذيع بتـــاريخ الأربعاء:٢٠٠٤/١٢/٢٢م:"التصور الحقيقي للولاء والبراء أن يكون مربوطاً بمصلحة الأمة ومصلحة الدولة ومصلحة المجتمع..

تركي الدخيل [مقاطعاً]: من يحدد مصلحة..؟

مشاري الذايدي [متابعاً]:لحظة شوية،لا يجوز أن تكون مربوطة بمصلحة جماعة معينة وأيدولوجية معينة".

ب- يقول يوسف أبا الخيل:"...مفهوم الولاء والبراء من هذه الزاويـــة يـــشير إلى موالاة الموالي المسالم الجانح للسلم والبراءة من المعتدي أياً كانت نحلته ومذهبه وديانته، ومن غير المعقول لكل من استقرأ نصوص الشريعة ومقاصديتها أن يتـــصور مفهومـــاً ينادي بالولاء للمعتدي لأنه فقط يتمظهر أو ينطق بالإسلام وبنفس الوقت البراءة وما سيترتب عليها من استحقاقات أخرى من غير المسلم ولو كان مـــسالماً بـــاراً مؤديـــاً لشروط العلاقة السلمية مع المسلمين، هذا مفهوم مغلوط ومشين تُنزه عنه الـــشرائع السماوية فضلاً عن الإسلام وهو خاتم الديانات، لأنه تعدٍ صريح على عدل الله تعـــالى بين خلقه، ولا يمكن أن تستقيم علاقة سلمية تعاونية مؤدية لخير الإنسانية مـــا دمنـــا نتصور أن علاقة الولاء والبراء مبنية على الولاء للمسلم ولو كان من جنس «الحجاج بن يوسف أو صدام حسين» والبراءة من غير المسلم ولوكان على شـــاكلة داعيـــي السلام والإنسانية «المهاتما غاندي ونلسون مانديلا»."[2].

---

(١)-"قراءة في كتب العقائد":(ص/٢٨).

(٢)-في مقال له بعنوان(فلسفة الولاء والبراء في الإسلام)،نُشرَ في جريدة الرياض،بتاريخ الثلاثاء: ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ - ٢٦ يوليو ٢٠٠٥م - العدد ١٣٥٤٦ .

٣-نقد عقيدة الكفَّ عَمَّا شَجَرَ بين الصحابة-رضي الله عنهم-:

-المحمود يدعو إلى إعادةِ النَّظرِ فيما شَجَرَ بينَ الصحابةِ-رضي الله عنهم-،ويعتبرُ ترتيب الخلفاء الراشدين حدثاً تاريخياً مجرَّداً وفق نظرتهِ النقدية الفلسفية:

-يقول:"دراسة طبيعة الفكر الديني،وتتبع مراحل تشكله في فتراته الحاسمة، تواجه الرفض في مجتمعات تقليدية، لاتزال تستعصي على العلمية،وتتماهى مع الأسطرة، بل والخرافة، بوعي منها بهذا التماهي وما يتضمنه من مدلولات في الفكر والواقع، أو بلا وعي. وهذا الرفض اما أن يكون رفضاً للدراسة ذاتها، أي للمراجعة الفاحصة، باعتبارها تتناول ميداناً مقدساً لا يجوز الاقتراب منه، واما أن يكون رفضاً للآلية (المنهج النقدي) التي تجري مقاربة الموضوع بواسطتها. وفي أكثر الأحيان يجتمع السببان؛ كمبرر للرفض.

إن رفض الآليات المنهجية الحديثة التي تمثل مرحلة متقدمة من مراحل نضوج الفكر الإنساني؛يعني-بالضرورة-أن يقف الفكر الديني خارج العصر، يقف خارج العصر؛ في الوقت الذي يدخل فيه من خلال (الشخصي – الذاتي – الوجداني).العصرنة اليوم لم تعد خياراً، وانما أصبحت شرطاً للحياة (شرطاً نوعياً).إن الحياة يراد لها أن تتمثل الديني وأن تتخلق بوحيه،ولا يتم هذا إلا بعصرنة الفكر الديني ابتداءً؛لأنه هو الحاسم فينا.وعصرنة الفكر الديني لا تتم إلا بواسطة الانخراط الفعال في منظومة الفكر المعاصر، بكل اصرار وايجابية؛ لنخرج من رحلة الاجترار التاريخي.

إنَّ مما يعقد هذا الإشكال الطويل الذي يؤزم الفكر الإسلامي المعاصر منذ أمد ولايزال، أن هذا الفكر تشكل بفعل الحدث التاريخي،أكثر مما تشكل الحدث التاريخي بفعل هذا الفكر. ليس هذا الحكم التقريبي إلغاء للبعد الجدلي،بل مجرد اشارة إلى الروح العام الذي صنع المعطى الفكري-ومن ثم الواقعي-في واقعنا الإسلامي المعاصر خاصة. الإنسان العربي – وهو الأول في رحلة الانبثاق الديني – وجداني من ناحية، ومتحيز – تصوراً وعقلاً – ضد الكلي والتركيبي (الفلسفي – العقلاني – العلمي) من ناحية اخرى.

مِمَّا يعني أن الأشخاص (الذوات المقدسة صراحة أو ضمناً) ستكون على المحك، ولن تبقى كما هي عليه من قبل في تراتبيتها التي تتغيا الفكرة _ براجماتياً(!) _ في النهاية"[1].

ثم يضرب مثالاً للذوات التي يصفها بالمقدّسة بالخلفاء الراشدين،ومذهب أهل السنة في ذلك أن التفاضل بينهم على حسب ترتيبهم في الخلافة،لكنّ هذا الكاتب لا يروق له ذلك،ويعده أمراً مبيتاً في الضمائر قبل وجوده(!!!)،يقول:"**جرى الحدث التاريخي فيما يخص السلطة على التراتبية المعروفة بالنسبة للخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين، ومع أنه _ أي الترتيب التاريخي للخلفاء _ كان حدثاً تاريخياً مجرداً إلا أنه قد جرى تحميله معنى دينياً في تراتبية الأفضلية لهؤلاء، وهنا يظهر أثر الحدث التاريخي الواقعي _ بأقصى حدود الواقعية الصريحة _ على الفكري، وكيف جرى ضمه إلى مجمل المنظومة العقائدية بوصفه معبراً عن مضمر عقائدي كان موجوداً قبل وجوده المتعين في الواقع** "[2].

فهو لجهله-أو خبثه-يرى أن ترتيب الخلفاء كان حدثاً تاريخياً مجرداً..!!ولم يكن الأمر كذلك، بل إن الصحابة-رضي الله عنهم-اجتهدوا في تعيين الأفضل،بدليل أنهم توقفوا طويلاً بعد موت عمر-رضي الله عنه- أيهما الأحق والأفضل عثمان أم علي؟،وكان عبد الرحمن ابن عوف-رضي الله عنه-يطوف حتى على العذارى في خدورهن يسألهن حتى انتهى الأمر إلى تقديم عثمان.ولهذا يقول أحد السلف: "من فضل علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار "، فكيف يقال إن ترتيب الخلفاء الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة كان حدثاً تاريخياً مجرداً ؟! لكنه الجهل والهوى،وإذا كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي، فإنهم لم يختلفوا في أبي بكر وعمر.. .

ولا يفوته في مقاله هذا أن يعرج على الصحابي الجليل، وكاتب الوحي معاوية-رضي الله عنه- ويتهمه ببعض التهم الجائرة التي تنال من عدالته ونزاهته بناء على ما قرره سابقاً

---

(١)-في مقال بعنوان:(التاريخ وأزمة الفكر الإسلامي)الخميس ١٣ من ذي القعدة ١٤٢٦هـ - ١٥ ديسمبر ٢٠٠٥م - العدد ١٣٦٨٨ ٠

(٢)-المصدر السابق.

من الفحص والمراجعة(!)،حيث يقول:"**كل من تأمل التاريخ لابد أنه قد لاحظ الـتغير النوعي والجذري في زمن ما بعد الراشدين. وهو تحول طبع الحياة الإسلامية فيما بعد، ولم يقتصر على فترة محدودة من تاريخ الإسلام. بداية بمعاوية بن أبي سفيان ومن تلاه، تحول الديني الرسمي – وهو الذي كتب له الانتـصار في سـياق مـوازين القـوى الاجتماعية، لا الدينية – إلى دين شرعي!. وهنا المفارقة؛ إذ تحولـت الايـديولوجيا الرسمية التي تتوسل الاجتماعي بأكثر مما تتوسل الشرعي إلى أن تكون صـاحبة اليـد الطولى في تحديد الشرعي الذي سيأسر مسيرة الفكر الديني إلى حد كبير**"[1].

ثم في نهاية مقاله يتباكى على مذهبه الاعتزالي العقلاني فيقول: "لا شك أنَّ هذا يفـسر كيف أن تيار العقلانية لا يظهر في مكان من العالم الإسلامي إلا ريثما يندثر، لا يتم هذا بقرار سلطوي في الغالب، وإنما بإرادة جماهيرية لا تزال تتدثر بلحاف الخرافة الـصريحة أو الخرافة التي تؤسس على هذا القول أو ذاك "[2].

٤-نقد الكرامات،والتشكيك فيها:

-عبدالله بن بجاد العتيبي يُشكِّكُ في عقيدة من عقائد أهل السنة والجماعة،وهي إثبات كرامات الأولياء[3]ويعدّها من الخرافة،ثم يقرر(!!) أنّ الخرافـة والعقـل ضـدان لا يجتمعان!!:

يقول:"**في الحالة الإسلامية تمّ تدشين الخرافة بعد وقت ليس بالبعيد عن اللحظة النبوية وقد تلمّس لها أصحابها سببا يربطها بمعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم.**

إن تصفح كتب التراث على شتى مشاربها وتنوعاتها يوضح أنها لا تكاد تخلو بـشكل أو بآخر من ذكر للخرافات وتعلّق بها، والفرق والمذاهب الإسـلامية قـديما والحركـات الإسلامية الحديثة والمعاصرة تنهل من ذات النبع وإن بدرجات متفاوتة فمستقل ومستكثر.

---

(١)-في مقال بعنوان:(التاريخ وأزمة الفكر الإسلامي)الخميس ١٣ من ذي القعـدة ١٤٢٦هـ – ١٥ ديسمبر ٢٠٠٥م – العدد ١٣٦٨٨ .

(٢)-في مقال بعنوان:(التاريخ وأزمة الفكر الإسلامي)الخميس ١٣ من ذي القعـدة ١٤٢٦هـ – ١٥ ديسمبر ٢٠٠٥م – العدد ١٣٦٨٨ .

(٣)-انظر:"شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة":(٩/٧-١٧١)للالكائي.

بقدر ما يحدو العجز عن التعامل المنطقي مع الواقع إلى الخرافة، بقدر ما تحاول شرعنتها وتبريرها وتسويقها، ولذلك فهي تهرب من الواقع الذي تحكمه القدرات والإمكانيات، ولا يثمر بالأماني والأحلام بل إن إكسير نجاحه وقنطرته، تقوم على العلم الصحيح والعمل المنتج.

وبسبب يتصل بالعجز عن العلم والعقل والعمل، تتجه كثير من الحركات الدينية والإسلامية المعاصرة لاعتماد مفاتيح ثلاثة تحاول من خلالها تقديم رؤية متماسكة للأبعاد الزمنية الثلاثة، الماضي والحاضر والمستقبل.

فتعتمد الرأي الدبري في قراءة الماضي، والعجائبيات ونظرية المؤامرة في قراءة الحاضر، والتفكير الرغبوي في قراءة المستقبل، والخرافة تحتل مكان الصدراة من هذه المفاتيح الثلاثة.

ويدخل في تجليات الخرافة أربع أفكار رئيسية، تنتشر بشكل مرضي في فكر وتصورات شريحة واسعة من الأجيال الخاضعة للخطابات الآيديولوجية الدينية التي تكرس الخرافة، والأفكار الرئيسية هي: **الكرامات، والأحلام، وأحاديث آخر الزمان، ونظرية المؤامرة**"[1].

٥-التشكيك في ديمومة الصراع مع اليهود وكونِه صراعاً عقدياً:

الصِّراعُ مع اليهودِ وغيرهم منْ الكفارِ صراعٌ عقديٌّ،وهذا الصِّراعُ ليسَ وليدَ اللَّحظةِ الحاضرةِ،بلْ هُوَ صِراعٌ يضربُ بأطنابهِ في أعماقِ الزمنِ.

فديمومةُ هَذَا الصِّراعِ،وكونهِ صراعاً عقدياً،هُوَ منَ الثوابتَ والمسلَّماتِ الَّتي دلَّتْ عليها نصوص الكتابِ العزيز:

قال تعالى:{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ ...}[المائدة:٨٢].

وقال جلَّ وعلا:{...وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }[البقرة:٢١٧].

---

(١)-في مقال بعنوان:(هيمنة الخرافة)، جريدة الرياض: الاثنين: ١٠ رجب ١٤٢٦هـ - ١٥ أغسطس ٢٠٠٥م - العدد ١٣٥٦٦ .

ويقول-جلَّ في علاه-{وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ...}[البقرة:١٢٠].

-المحمود يشكِّكُ في ديمومة الصراع مع اليهود وكونه صراعاً عقدياً: محمد المحمود يكثر من العزف على هذا الوتر ــ وتر الإنسانية ــ فهو يقرّر أوّلاً أنّ الصراع بين الطرفين ليس صراعاً عقدياً، ويُسَمِّي من يعتقد ذلك بأنّه متطرّف:يقول:" **المتطرّفون من هنا (العرب والمسلمون)،ومن هناك (الإسرائيليون) يفترضون الصراع الدائر الآن صراعاً عقائدياً، لا مجرّد وقائع سياسية تقوم على دعاوى عقائدية** "(١).

ومن عجبٍ أنَّ الكاتبِ لم يحدثنا عن سبب اختيار اليهود لدولة فلسطين (أرض الميعاد) دون غيرها من بقاع الأرض،ولا عن هيكل سليمان الذي يراد بناؤه على أنقاض المسجد الأقصى،فكل ذلك في نظره ليس شأناً عقائدياً،والحقيقة أنّ اليهود أنفسهم هم الذين ألقوا في روع المسلمين أنّ هذا الصراع ليس عقائدياً ليأمنوا جَيَشان العقيدة في نفوس المسلمين،وليعزلوا الفلسطينيين المسلمين عن باقي المسلمين!

ثم يهزأ بالأحاديث الشريفة التي تُحدّث عن نهاية هذا الصراع، ومنها الحديث الذي أخرجه الشيخان عن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ قال:" لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمْ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ

(١)-في مقال له بعنوان:(إشكالية العنف الفلسطيني الإسرائيلي)،الرياض:الخميس ٢٢ محرم ١٤٢٦هـ - مارس ٢٠٠٥م -العدد ١٣٤٠١ .

وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ إِلَّا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ"(1) ولعلّ هذا الحديث لا تقبله عقولهم المريضة لأنّ فيه نطق الحجر، وهذا أمر مخالف للعقل عندهم،فيقول:"**إنّهم يرونه صراعاً لا في لحظته الراهنة فحسب، وإنّما هو كذلك منذ البداية وحتى النهاية** "(2)..!!

-انحرافهم في مفهوم الجهاد:

أ-ها هو خالص جلبي شيخ الليبراليين في القصيم يدعو إلى مذهب "السِّلم" أو "السلام"، ونبذه لجميع أنواع ما يسميه "بالعنف" دون تفريق بين حقٍ وباطل. وحصره مفهوم الجهاد الشرعي في الدفاع عن البشر المظلومين (أياً كان دينهم) المكرهين على تغيير آرائهم واعتقاداهم، وذلك بعد قيام الدولة الإسلامية بواسطة الطريق السلمي، أما قبل قيامها فلا يجوز أيُّ نوع من أنواع الجهاد (المسلح) ! .

وإليك شيئاً من أقواله تبين هذا ، ثم التعقيب عليها:

-يقول الدكتور تحت عنوان (أنظمة فكرية أربعة في كيفية استعمال العنف): ((توجد أربعة أنظمة فكرية، أو أربع لغات في جواز استخدام العنف ومشروعيته من حرمته وعدم جواز استخدامه:

-فاللغة الأولى هي شريعة الغاب:القوي فيها يأكل الضعيف ولا يوجد أي ظل لأي قانون ضمن الدولة الواحدة أو بين الدول، وهي مرحلة مشى فيها الجنس البشري، وهو يودعها تقريباً الآن، وقد يعترض من يقول: لا ، إن الوضع لم يتغير، وهذا ينسف كل إمكانية أو تحقيق أي تطور عن الإنسان والجنس البشري عموماً، وهو تصور غير صحيح،في ضوء إنجازات الجنس البشري حتى الآن،من نظام الأمم المتحدة،ومحكمة لاهاي للعدل الدولي، ومنظمات حقوق الإنسان، ومعاهدة

(1)-أخرجه البخاري في"صحيحه"(كتاب الجهاد،باب قتال اليهود،6/103-مع الفتح)،ومسلم في"صحيحه"(كتاب الفتن وأشراط الساعة(18/44-45-مع شرح النووي).

(2)-في مقال له بعنوان:(إشكالية العنف الفلسطيني الإسرائيلي)،الرياض:الخميس 22 محرم 1426هـ - مارس 2005م -العدد 13401 .

جنيف لأسرى الحرب، ومنظمة الهلال والصليب الأحمر الدوليين... الخ .وهذا لا يعني الكمال في الإنجاز،ولكنها خطوة متواضعة،في طريق تحقيق الكمال الإنساني، والدولة العالمية الواحدة،لتأمين الخبز،ودحر المجاعات،واحتكار السلاح ، وإيقــاف الحروب.

-**اللغة الثانية هي لغة الديموقراطيات الغربية**:وتؤمن بالعنف لإطاحة الحكومات الظالمة المستبدة، وتحرم العنف بعده، ويصب معهم في الاتجاه نفسه تيار (الخوارج) من التاريخ الإسلامي، الذين لم يؤمنوا باستقراطية الحكام (أن يكونوا من قــريش مثلاً)، فالإنسان الأسود (كونه من الشرائح المستضعفة في قاع المجتمع) يمكــن أن يتولى منصب الرئاسة، كما هو الحال في نيلسون مندلا،في جنوب أفريقيــا الآن، وهذا التصور كان مستحيلاً في تلك الأيام، كما آمنوا بالثورة المــسلحة، لتغــيير الحاكم المنحرف (وهو ما تفعله جماعات الإسلام السياسي في الوقــت الحاضــر، حيث أحيت مذهب الخوارج من جديد)، فالخوارج رأوا في الحكم الأموي، أنــه غير إسلامي وظالم؛ فوجب الإطاحة به، على كل حال هم يُكَفِّــرون مرتكــب الكبيرة،ولقد كفَّروا عليّاً واستباحوا دمه،ثم قتلوه في النهاية،وقد استنفدوا طاقتهم في الصراع مع الأمويين،وجعلوا الدولة الأموية تنــزف حــتى الموت،وســقطت كالتفاحة الناضجة ليست بأيديهم،ولا بأيدي آل البيت المنتظرين بفارغ الصبر،بل بيد العبّاسيِّين المحنَّكين، المختبئين في الظلام المجهولين!

-**اللغة الثالثة هي لغة الأنبياء**:الذين حَرّموا صناعة الحكــم بــالقوة المــسلحة وبالعنف، من خلال الانقضاض على الحكومات القائمة،حتى لو كان مجيئهــا إلى السلطة بالسيف وبالعنف،فاللاشرعية لا تزال باللاشرعية،بل بالــشرعية،والخطأ لا يزال بالخطأ،بل يُقَوم بالعمل الصحيح،وهذا ما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذي غيّر المجتمع بالفكر وسلميّاً،فحين فشل في اختراق مجتمع مكة والطائف، نجح في نشر دعوته في أهل يثرب، التي ستأخذ اسم مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك (المدينة المنورة)،حتى تفشى الإسلام في مجتمع المدينة، فلم يذهب إلــيهم على ظهر الدبابات بانقلاب عسكري،بل خرجوا لاستقباله،في مظاهرة ضــخمة،

ضمت أهل المدينة من الرجال والنساء، في مشاركة رائعة،مع فرقة موسيقية كاملة،والكل ينشد:طلع البدر علينا [1]معلنين خضوع مجتمع المدينة للفكرة الجديدة،دون سفك قطرة دم واحدة، وهذا التحول المدهش، في مجتمع المدينة المنورة سابقاً وبهذه الطريقة السلمية، غاب عن أعين المسلمين منذ ذلك الوقت، وعطلوا سنة عظيمة من سُنن الإسلام،في كيفية بناء المجتمع أو معالجته حين الانحراف،وتبخر الحكم الراشدي تحت حرارة العنف ودمويته،وانزلق المجتمع الإسلامي، إلى ليل التاريخ، حيث المغامرون والانقلابيون يتناوبون قنص السلطة الدموي دون رحمة،ولم يخلص العالم الإسلامي من هذا المرض حتى اليوم، وأعيد مذهب الخوارج،بكل عنفوانه وقوته مرة أخرى،في مناطحة الحكومات،واستنفاد الجهود في معارك مدمرة،بحيث توقفت عملية نقل السلطة السلمي،وتحول المجتمع إلى شرائح،لا يثق بعضها ببعض،وتوقف الحوار،وأضمرت النفوس الحقد والتآمر، وسُفِكت الدماء غزيرة.

-**اللغة الرابعة**:فهي بعد قيام الحكم الشرعي، فإذا صار الحكم شرعياً،استطاع وسُمح له بالجهاد المسلّح، بعد أن بنى مجتمع(اللا إكراه).

عند ذلك،من لا يريد أن يدخل في السلم، ويريد أن يُكره الناس على أي دين ومبدأ وفكرة،فهذا يتصدى له المجتمع الإسلامي (مجتمع لا إكراه في الدين)، فهذا هو مجال الجهاد، أي حماية الناس من الفتنة (الإكراه) [2](**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة**)، (**والفتنةُ أشدُّ منَ القتلِ**)،وهذا يتولد منه مجموعة هامة من المعاني: الجهاد هو لحماية المخالف، والجهاد أداة واحتكار للعنف بيد السلطة، والسلطة أي سلطة، لا يسمى ما تفعله جهاداً، حتى يتم وصولها إلى الحكم برضا الناس، فالجهاد هو ذو جانبين في المجاهِد (بكسر الهاء) والمجاهَد (بفتح الهاء) ضدّه، فلا جهاد إلا بيد سلطة وصلت إلى الحكم برضا الناس، ولا جهاد إلا ضدّ من يمارس الظلم على الآخرين بإخراجهم من ديارهم وأديانهم بالقوة

(١)-هذه الحادثة لا تصِّحُ من الناحية الحديثية من جهة الإسنادِ،وكذا من جهة المتن،انظر:"مجموع الفتاوى":(١٩٦/٢)،و"السلسلة الضعيفة":(٦٣/٢)للألباني.

(٢)- الفتنة :الشرك،ولكن هذا من تحريفات الدكتور للآيات حتى توافق هواه !-كما سيأتي-.

المسلحة{لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }[الممتحنة:٨][١].

يقول الشيخ الخراشي تعليقا على مامضى:"هذا المقطع الطويل يوجز لنا الفكرة التي يدندن حولها الدكتور في كثير من كتاباته .

فالتغيير (أي تغيير السلطة الظالمة) يكون سلمياً دون (عنف) أو (استخدام سلاح)، وبعد الوصول إلى السلطة من قبل (السلميين) يجوز استخدام (الجهاد) أو (السلاح) أو (العنف) لا لنشر الإسلام وحماية الدولة الإسلامية !! إنما لحماية المكرهين على تغيير آرائهم ومعتقداهم فقط !! .

وهذا فيه تلبيس عجيب من الدكتور الذي لو تابع مذهب السلف أهل السنة والجماعة بعد نبذه للعمل السري الحربي المسلح لأراح نفسه وجنبها تحريف الحقائق الشرعية وتزويرها"[٢].

والأدهى والأمر أَنْ يأتي خالص جلبي بمفهومٍ جديدٍ للجهاد في سبيل الله،حيثُ يرى أَنَّ الجهاد لم يُشرعْ لإزالة الكفر،بل لدفع الظلمِ،أي ظلم حتى لو كان من الكافرين ضد المسلمينَ،والجهاد لا يكون إلا لحماية المخالف[٣].

ومنْ هذا المنطلق:**يعتبر الجلبي قتالَ أمريكا في العراقِ،لو أرادت تخليص الشعب من الظلم،فهو نوع من الجهاد أيضاً**[٤].

ب-أَمَّا يوسف أبا الخيل،فيختزل مفهوم الجهاد في سبيل اللهِ في جهاد الدفع فقط(دفع الصائل)،يقول:" **يعتبر الجهاد في الإسلام، وفقاً للنصوص القرآنية التي شرَّعت له، وفقاً لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في جهاده، آلية لدفع العدوان ورد الظلم وحماية الأوطان التي عبّر عنها التوصيف الفقهي ب (حماية البيضة)، وقد جاءت الآيات**

---

(١) سيكولوجية العنف ... (ص ١٢٣-١٢٦)لخالص جلبي.

(٢)- دراسة بعنوان"انحرافات خالص جلبي شيخ (العصرانيين) في القصيم":(ص١٤-١٥)للشيخ سليمان الخراشي،انظر:موقع الكاشف.

(٣)-"سيكولوجية العنف": (ص/١٤-١٦)لخالص جلبي.

(٤)-ملحق الرسالة في جريدة المدينة(المكاشفات)،الحلقة الثانية في:١٤٢٣/٩/٣هـ.

القرآنية واضحة بشكل لا لبس فيه نحو ربط الجهاد بتلك الآلية أو الهدف منه بشكل حصري لا تعدي فيه، منها قوله تعالى في سورة البقرة {وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين} وكما هو واضح من فحوى هذه الآية، فهي تحصر الجهاد في المعتدين فقط، بحيث لا يتعداهم إلى غيرهم من الأبرياء ومن هم غير معتدين، ومنها قوله تعالى {ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه، فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين، فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم}، ومنها قوله تعالى {لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون} بالإضافة إلى كثير من النصوص في هذا الشأن مما لا يتسع المجال لذكرها في مساحة هذا المقال،**ومن الطبيعي أن هناك من سيحتج بوجود نصوص أخرى يوهم ظاهرها بأنها تؤسس لما دعاه بعض الفقهاء ب (جهاد الطلب) أي مهاجمة غير المسلمين في عقر دارهم، إلا أنه يمكن الرد على مثل تلك الدعوى بأن النصوص التي تحصر الجهاد في الدفاع ضد المعتدين جاءت في سياق خاص، بينما جاءت النصوص التي يوهم ظاهرها بأنها تؤسس لنقيض ذلك مما يعرف بجهاد الطلب في سياق عام مما يعني ضرورة حمل العام على الخاص كما هي عادة الأصوليين"**[1].

---

(١)–في مقالٍ له بعنوان:(ملتقى اقرأ الفكري وتوصيف أهداف الجهاد)،نُشرَ في جريدة الرياض،بتاريخ: الاحد ٧ شعبان ١٤٢٦هـ – ١١ سبتمبر ٢٠٠٥م – العدد ١٣٥٩٣.

(١)–انظر في هذا مقالين له:

أ–(غاندي٠٠٠تاريخ حافل من المقاومة السلمية)،نُشِرَ في جريدة الرياض،بتاريخ:٢٠٠٤/١٠/٢٣م.

ب–(لماذا انتصرت المقاومة في جنوب إفريقيا؟)،نُشِرَ في جريدة الرياض،بتاريخ:٢٠٠٤/١٠/١٦م.

كما أَنَّ يوسف أبا الخيل يعد من دعاة المقاومة السلمية[1]التي تعني اتخاذ الطرق السلمية في مقاومة الأعداء وعدم مجاهتهم بالسلاح،وفي هذا غاية الذل والخضوعِ والاستكانة لأعداء الأمة،مع ما فيه من وأدٍ لمعاني العزة والكرامة والنخوةِ التي تنــهض بِهــا الأمة،وتقــدر بواسطتها–بإذنِ الله–على مقارعة أعدائها.

ج–والمحمود يسيرُ في ذات الطَّريق فلا جهادَ عندهُ إلاَّ جهادُ الدَّفعِ،ولنتأَمَّل الحوارَ الآتي:

"" تركي الدخيل: طيب، هذا مظهر من مظاهر في تقديرك أنت مــن مظــاهر تغلغــل أيديولوجيا لها في التيار المتشدد عندنا، ما هي المظاهر الأخرى غير مثلاً أدبيــات الــولاء والبراء؟

محمد المحمود: في عندك أدبيات الولاء والبراء، في التجييش للقتال **يعــني مفهــوم مــثلاً الجهاد، يعني مفهوم الجهاد يطرح.. يطرح بصفته انبعاثاً فردياً ذاتياً.**

تركي الدخيل: كيف انبعاثاً فردياً ذاتيا؟

محمد المحمود: أي بمعنى أنني أنا اقتنعت بفكرة الجهاد وأريد أن أحصل على الأجر فنتيجة لذلك أذهب وأقاتل هنا أو هناك.

تركي الدخيل: وهذا ليس صحيحاً؟

محمد المحمود: وهذا ليس صحيحاً.

تركي الدخيل: ما هو الصحيح؟

محمد المحمود: **الصحيح طبعاً الصحيح لا بد أن تقرأه من سياق الفتوى النبوية في الفترة المكية لم يكن هناك جهاد لأنه لم يكن هناك راية ولم يكن هناك قتال.**

تركي الدخيل: هل تعتقد أن مجتمعاتنا الآن تعيش الفترة المكية من جديد؟

محمد المحمود: لا.. لأ المجتمعات الآن تعيش لها جيوش نظامية، هذه الجيوش النظامية هي المنوطة بها فكرة الجهاد، وهي التي تقرر أو تتخذ قرار الجهاد من عدمه، ولــيس الــذي يتخذها أحد فرد لأن اتخاذها على النحو..

تركي الدخيل: بس الذين يتبنون فكرة الجهاد كلهم يقولون أن الجيوش لم تقم بواجــب الجهاد وبالتالي لا بد..

محمد المحمود: يعني هذه كلهم يمكن أن يقولوا هذا الكلام، يعني حتى على فترة النبي – صلى الله عليه وسلم – هناك من كان يتحمس لإشهار سيفه حتى في فترات الهدنة، فكان موقف طبعاً النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه لم يسمح لهم بذلك، لأن هذا طبعاً سوف يوقع الدولة اللي كانت.. الدولة المدنية سوف يوقعها في مشاكل طويلة جداً، يعرفها صاحب القرار السياسي ولا يعرفها صاحب أو الفرد يعني هذا غير معني"(١).

–قولهم(بنسبية الحقيقة)،فما حقيقة هذا القول،وما معناه؟

يقول الأستاذ بسطامي سعيد–في بيان هذا القول،وتجلية معناه– :(هل حقائق الدين نسبية؟ **.. إذا قيل إن الفكرة إما خاطئة أو صائبة بغض النظر عن الزمان الذي شهد ظهورها، قالت العصرانية: ولكن إدراك حقائق الدين مسألة نسبية، فليس هناك صواب مطلق و"إن الحقيقة الثابتة تختلف الأنظار إليها باختلاف زاوية سقوط الشعاع الفكري".**

وهذا القول لا يقدم دليلاً أو حجة، بل يكتفي بالإشارة إلى أن نظرة الإنسان إلى الأشياء نظرة جزئية، وليست نظرة شاملة كاملة وإن هذه النظرة هي بحسب معارف المرء وثقافته، وبحسب اهتماماته والزاوية التي ينظر منها.

وقضية النسبية Relativism في الحق truith أو في الأخلاق ethich قضية فلسفية، تتناحر حولها الفلسفة منذ أن عرف الإنسان الفلسفة ، وكعادة الفلاسفة في مناقشة القضايا تتعقد وتتشابك الآراء، والفلاسفة وحدهم هم الجديرون بأن يغرقوا في مثل هذه المباحث، وهل استطاعت الفلسفة يوماً ما أن تحل لغزاً ؟!

وفي بساطة نتساءل ما المقصود بأن الحقيقة نسبية ؟ إذا كان المقصود أن معرفة الإنسان قاصرة وعمله قليل، وأنى له بالعقل الذي يدرك الأشياء إدراكاً شاملاً، فهذا ليس موضع اختلاف، والبشرية بما فيها من عجز وقصور مؤهلة لإدراك قدر من المعارف تكفيها لأداء مهامها في هذا الفترة القصيرة من عمرها على الأرض.

---

(١)–انظر:"موقع قناة العربية"–برنامج إضاءات–بتاريخ: الأحد:٦ربيع الأول ١٤٢٨ هـ،٢٥ مارس ٢٠٠٧م.

وإذا كان المقصود أن الإنسان لا يصل إلى حقيقة، وكل ما عنده من حقائق لا يمكن القطع والجزم بها، ولا يمكن الاتفاق حولها، فأول ما يواجه هذا القول من نقد أن يُسأل ما الدليل على أن هذا القول صادق؟ فإذا قُدمت الأدلة على صدقه وأثبتت أنه حقيقة، فهو اعتراف بأن لدينا على الأقل حقيقة نطمئن إليها، وهو اعتراف ينقض ما قُدمت الأدلة لإثباته، وإذا كان القول بأن الحقيقة نسبية أمر نسبي أيضاً ولا يمكن القطع والجزم به ، فكيف يؤخذ به؟ ثم كيف يفسر من يقول إن الحقيقة نسبية ذلك القدر المشترك من الحقائق بين أفراد النوع البشري على اختلاف بيئاتهم وظروفهم وعصورهم ؟!

الأهم من ذلك أن يُسأل : هل هناك منهج صحيح للوصول إلى حقائق الدين، أم أن الدين كما هي النظرة الغربية له، لا معايير ولا مقاييس لتحديد حقائقه، بل هو مثل مسائل الآداب والفن مسألة "ذوق"، لا تقوم على منهج علمي محدد، أو معايير منضبطة ؟.

إن مصادر حقائق الدين ثلاثة أشياء: النصوص الموحاة، ومعاني هذه النصوص، والاستنباط منها، ولكل واحد من هذه الأقسام منهج علمي محدد مضبوط، فهناك منهج علمي لتوثيق النصوص، ومنهج لطريقة فهمها، ومنهج للاستنباط منها، وما يتوصل إليه عن طريق هذه المناهج حقائق لا شك في ذلك.

قد يحدث تغيير أو تبديل للنصوص، أو قد يحدث خطأً في الفهم، أو يحدث خطأ في الاستنباط، ولكن هذه مسألة أخرى ومعالجتها تكون بإثبات ما حدث من تحريف بالدليل والبرهان، أما إطلاق العموميات والقول بأن حقائق الدين مسألة نسبية يدركها كلٌ على حسب المعرفة المتاحة، ويراد من وراء ذلك رفض فكر العصور الماضية ! فقول لا تسنده حجة ولا يمكن قبوله"[1] .

وجذور هذا القول الخطير وأصوله ترجع إلى (السوفسطائيين)[2] فهم أول من قال به- وعلى رأسهم كبيرهم الفيلسوف بروتاغوراس-الذين ظهروا في اليونان ما بين القرنين

---

(١)-"مفهوم تجديد الدين":(ص/٢١٤-٢١٥)لبسطامي سعيد.

(٢)-انظر:ص٣٤ من البحث؛ لمراجعة معنى هذا المصطلح ومدلوله.

الرابع والخامس قبل الميلاد ؛حيث كانت اليونان تموج بمجموعة من الأفكار والمــذاهب المتباينة المتنوعة ؛ فلجؤا لهذا القول في تأييد الآراء المتناقضة ؛ إما شــكًا في الجميــع ، أو للــــــــتخلص مــــــــن جهــــــــد طلــــــــب الحقيقــــــــة .

يقول الدكتور علي سامي النشار:"نسبية كل شيء قال بها بروتاغوراس السوفسطائي حين أراد أن ينقد أصول المعرفة "إن الإنسان هو مقياس وجود ما يوجد منها ومقياس وجود ما لا يوجد" ثم أخذ بهذا الشُكاك بعد، فطبقوها على الحد كما طبقوها على نواحي العلــم كله، فلم تعد حقيقة من حقائق العلم ثابتة أو مستقرة، بل كل شــيء –كمــا يقــول هرقليطس– في تغير مستمر" [(١)] .

ويقول الدكتور عمر الطباع عن السوفسطائيين:"وكانت هذه الجماعة تنكر وجود حقائق ثابتة،وتدعي أن الحقيقة نسبية"[(٢)].

لقد عبر بروتاغوراس زعيم السوفسطائيين عن فكرهم في كتابه "عن الحقيقة" الذي فُقــد و لم تصلنا منه إلا شذرات قليلة يبدأها بقوله "**إن الإنسان معيار أو مقياس الأشياء جميعاً**" وفي هذه العبارة القصيرة تكمن الثورة الفكرية للسوفسطائيين في مختلف ميادين الفكر. إنها تعني بالنسبة لنظرية المعرفة أن الإنسان الفرد هو مقياس أو معيار الوجود، فإن قال عــن

---

(٣)–"**مناهج البحث عند مفكري الإسلام**":(ص/ ١٩١).

(٤)–"**السلم في علم المنطق**":(ص/٧)للأخضري .

(١)–"**مدخل لقراءة الفكر الفلسفي عند اليونان**":(ص/٧٠ –٧١)**للدكتور مصطفى النشار**.

شيء إنه موجود فهو موجود بالنسبة له، وإن قال عن شيء إنه غير موجود فهو غير موجود بالنسبة له أيضاً، فالمعرفة هنا نسبية، أي تختلف من شخص إلى آخر بحسب ما يقع في خبرة الإنسان الفرد الحسية، فما أراه بحواسي فقط يكون هو الموجود بالنسبة لي، وما تراه أنت بحواسك يكون هو الموجود بالنسبة لك، وهكذا"[1].

-أقوال الليبراليين في هذا الجانب:

أ-يقول يوسف أبا الخيل في سياق حديثه عن الطريق الأمثل لمكافحة الخطاب الإقصائي المتشدد:"...لذا فمن أجل حصره في زاوية التعرية لأهدافه وما يتطلع إليه من إجهاض لأية بارقة أمل من التطور، فلا يجب إشعاره أننا نسعى لإحلال صوت إقصائي آخر بديل له، بل بدلاً من ذلك يجب أن تكون آلية الحراك التي نبشر بها تحمل مزيداً من إفساح المجال لكافة الآراء بما فيها صوت ذلك التيار ما دام ملتزماً بشروط الاجتماع البشري، التي يأتي على رأسها الإيمان بأن للآخرين ذات الحق التي له في إبداء الآراء والتماهي مع يترتب عليها من معتقدات،وما دام ملتزماً بإعطاء الفرصة للآخرين - وإن لم يكن مقتنعاً بذلك - ليدلوا بدلوهم في الشأن الاجتماعي كافة، **وإشعاره أن زمن احتكار الحقيقة - بما فيها الحقيقة الدينية - قد ولى زمانه وليس ثمة طريق آخر إلا مشاركة الآخرين وفقاً لنسبية الحقيقة التي يمسك كل طرف بجزء من خيطها...**"[2].

ويقول:"**هذه النظرة الإقصائية تأتي بلاشك نتيجة حتمية لتربية طويلة على اعتبار قول وحيد ووسمه بالطابع الشمولي القاطع بحقيقته ويقينيته بلا اعتبار لأية أقوال أو مذاهب أخرى في المسألة المطروحة للبحث إلا باعتبارها ضالة عن الطريق السوي أومبتدعة في حال التلطف مع أصحابها، لو أننا أشعنا في مرافئ ثقافتنا على اختلاف أنواعها مبدأ**

(٢)-في مقالٍ له بعنوان: (السبيل الأمثل لمكافحة التشدد)،نُشِرَ في جريدة الرياض،بتاريخ: الأحد ٥ صفر ١٤٢٧هـ - ٥ مارس ٢٠٠٦م - العدد ١٣٧٦٨ .

نسبية الحقيقة في الأقوال والأعمال والتخريجات والتفسيرات لما كانت هذه حال قطاع كبير ممن يقتاتون على ثقافتنا ويدعون الأحقية بتمثيلها"[١]**.**

ويقول:" تباين التأصيل الفلسفي لمفهوم التسامح بين الثقافتين الغربية والعربية كان له أثره الكبير على الواقع السوسيولوجي والأبستومولوجي بين الثقافتين ومن ثم امتد أثره إلى جميع مناحي الحياة الأخرى لكل جانب.

فبفضلها استطاعت أوروبا أن تخرج من أحاديتها المظلمة وما ترتب عليها من أوضاع خاصة تلك الحروب الدينية المرعبة في القرنين السادس عشر والسابع عشر التي تسببت فيها الأورثوذكسية الكاثوليكية التي قامت على تسنين عقيدة واحدة لايسمح لأحد كائنا من كان بالاتصال بالله تعالى خارج تعاليم أساقفتها **إلى فضاء فلسفة عصر التنوير التي دشنت تأصيل مبدأ نسبية الحقيقة التي يقر فيها الفرد أنه لايملك (إن ملك) إلا جزءا بسيطا من الحقيقة يماثل ربما ما يملكه الفرد الآخرأويزيد أوينقص ولكنه يظل نسبياً ومن ثم فقبول هذا الآخر لم يعد مجرد زخرف من القول أو مجرد مفردة كرم يتفضل بها فرد على آخر"**[٢].

وانطلاقاً من هذا المبدأ الخطير،يدعو يوسف أبا الخيل إلى تبني مذهب الشك والمرور بتجربته،وطرح التساؤلات التشكيكية،يقول:"أن السلوك الثقافي المعاش يظل مشدوداً إلى التصنيف الثنائي المفصول بين حدوده بشكل حاد وكامل، سلوك يعتمد على تصنيف الرؤى والمعتقدات، بل وحتى وجهات النظر العابرة التي تتصل بالواقع المعاش سياسياً واقتصادياً واجتماعياً **إلى ثنائية الحق والباطل، فالحق ما نحمله وندين به، والباطل ما يدين**

---

(١)–في مقالٍ له بعنوان:(الاعتبار الإسلامي لغير المسلمين)،نُشِرَ في جريدة الرياض،بتاريخ: الاربعاء ٢٣ رمضان ١٤٢٦هـ – ٢٦ أكتوبر ٢٠٠٥م – العدد ١٣٦٣٨ .

(٢)–في مقالٍ له بعنوان:(التسامح بين الثقافتين الأوروبية والعربية)،نُشِرَ في جريدة الرياض،بتاريخ: ٢٠٠٤/٣/٢٩ .

به أو يعتقد به مخالفنا، وتبعاً لذلك يتم تصنيف النـــاس إلى متـــبعين ومبتـــدعين، وإلى ملتزمين وغير ملتزمين، وإلى ضُلاَّل ومؤمنين، وإلى عقائد صحيحة وعقائد ضالة، ليصل الإنسان المبرمج على ثقافة القطع في الحلقة الأخيرة من سلسلة العنف والإقــصاء إلى تصنيف الناس إلى مسلمين وكفار،...لذا لا بد للإنسان – ولا يتأتى ذلك له للأســف غالباً إلا في العيش في جو ثقافي فلسفي – أن يشك ولو مرة واحدة، وهذا الــشك لا أعني به الشك المدمر، أو الشك الدوغمائي بطبيعته، أو الشك لمجرد الشك، بل إنـــه شك يجد له جذوراً من داخل المنظومة الإسلامية نفسها، إذ نجد أباحامد الغزالي يقول وهو في أوج مرحلة من حياته الفلسفية« من لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبـــصر، ومن لم يبصر يبقى في العمى والضلال» كما كان يقول «الشك أولى مراتب الــيقين» إنه شك يأتي بالذات من مراعاة نسبية الحقيقة على المستوى الاجتماعي والثقافي بوجه عام، شك يعطي دفعاً للشاك أن لا يتحمس أو يتمعر وجهه أو تنتفخ أوداجه عنــدما يتعايش مع من يخالفه توجهاته ،إذ أن هذا الشك يتيح لذلك الإنسان الشاك استحضار تساؤلات من قبيل : ولماذا لا تكون وجهة نظر فلان هي الصواب؟ أو لماذا لا تكـــون تلك الرؤية أو ذلك التأويل أو التفسير أو التخريج لذلك الفرد أو الجماعة أو الفرقة تحمل على الأقل شيئاً من الصحة في باطنها؟ ولماذا مثلاً لا تكون الرؤية التي أحملها أو تلك التي حُمِّلتها ليست قاطعة ويشوبها الشك وعدم اليقين؟ في مثل ذلك الجو الثقافي المشبع والمربى على نسبية الحقيقة – النظرية على الأقل – لا يملـــك الإنـــسان إلا أن يكون متسامحاً مع غيره لأنه لا يحمل اليقين على قطعية ما تناهى إليه نظره وما برمجتـــه عليه ثقافته طوال عمره"[1] .

ويقول أيضاً:" فإن المتعصب عندما يقوم بإدراك موضوع ما (رؤية عقدية مثلا) إدراكـــاً إيجابياً متعاطفاً معها فإنه لا يأخذها على أنها مجرد أحـــد المعطيـــات النـــسبية للحيـــاة الإنسانية، أو أنها مجرد رأي ينضاف إلى آراء أخرى عديدة لكل منها الحق في خـــوض

---

(١)–في مقالٍ له بعنوان:(لنشك حتى لا نقـــع في شـــر قطعياتنـــا)،نُـــشِرَ في الرياض،بتـــاريخ:الأحـــد١٩ صفر١٤٢٧هـــ – ١٩ مارس ٢٠٠٦م – العدد ١٣٧٨٢ .

غمار تأويله الخاص لذلك الموضوع المثار، لا بل إنه حينما يدركها إدراكاً إيجابياً محبـــاً فسينظر إليها باعتبارها حقيقة وحيدة كاملة ناصعة البيان دامغة الحجـــة لا تـــضاهيها حقيقة أخرى في تماهيها مع المطلق، أما عندما يدركها في جانبها السلبي (رؤى الآخرين المخالفة) فسيراها ثاويةً في أقصى يسار الحقيقة عارية من كل ما يمت إليهـــا بـــصلة، متفاصلة مع كل ما يتصل بالخير أو الجمال أو الفاعلية أوالإبداع الإنـــساني مفاصـــلة نهائية لا رجعة فيها، ويترتب على تلك النظرة (اللاواعية) أنه سيعتبر كل من يشاركه الإدراك بجانبيه (الإيجابي تجاه رؤيته المذهبية والسلبي تجاه رؤى الآخرين) فهو الـــسعيد سعادة لن يشقى بعدها أبدا، بنفس الوقت الذي يرى فيه كل من لا يشاركه إدراكـــه ذلك على أنه هالك لا محالة"[1].

ويقول:" يأتي التعصب الديني كما المذهبي على رأس الأسباب التي تهوي بالإنسان ســـريعاً إلى مرحلة الوحشية البشرية التي تحدث عنها هوبز، **إذ أن هذا التعصب يتخلق بداية في رحم آحادية الفكر الناتج من انعدام التعددية الفكرية والدينية، مما يـــؤدي إلى قناعـــة الإنسان بأن دينه أو مذهبه هو الوحيد المتوافر على كلية الحقيقة وما سواه من الأديان أو المذاهب فلا تمتلك ذرة يقين أو حقيقة، وهذه هي البذرة الأولى للعنف، أما ســـقيا هذه البذرة فيأتي من اليقين التام الذي يتوافر عليه الإنسان الآحادي جـــراء انعـــدام فضيلة "نسبية الحقيقة" بأن عليه واجب إدخال الآخرين في حمى يقين دينه أو مذهبـــه، ولكن لأن من يخالفونه دينه أو مذهبه كُثُر ولا طاقة له بالتالي بهدايتهم ولأن معظمهـــم مرتدون عن الإسلام في نظره فلا عذر له عند ربه سوى إزهاق أرواحهم لزفهم إلى نار جهنم وبئس المصير"[2].**

أما إبراهيم البليهي،فيرى أنَّ هذا المفهوم–أعـــني نـــسبية الحقيقـــة–هـــو مـــن الأمـــور البدهية،يقول:"**من البديهي أنه لا يوجد إنسان يمتلك كل الحقائق امتلاكاً كاملاً*وإنمـــا**

---

(١)–جريدة الرياض، السبت ١٨ ذي القعدة ١٤٢٧هـــ – ٩ ديسمبر ٢٠٠٦م – العدد ١٤٠٤٧ .

(٢)–جريدة الرياض، الأربعاء ١٠ شوال ١٤٢٧هـــ – ١ نوفمبر ٢٠٠٦م – العدد ١٤٠٠٩ .

*هذا الكلام على إطلاقه خطيرٌ جدّاً؛إذ أَنَّهُ يقضي بأَنَّ الرَّسول عليه الـــصلاة والـــسَّلام،لا يمتلـــك الحقيقـــة الكاملة!وفي هذا طعنٌ في رسالتِهِ الإلهية التَّي أُمِرَ بتبليغها للنَّاس.

يتمسك كل فرد بما يظنه كذلك فينتقي من النصوص والبراهين والمواقف والأحداث ما يُقنع به ذاته ويستمر على انتقائيته حتى تضطره المواقف المغايرة الضاغطة في أن يعيد فحص أفكاره فإذا وضع كل طرف أفكاره تحت مجاهر التحليل اقترب الجميع من لب الحقيقة تحت أضواء المكاشفة الاضطرارية المتبادلة"[1].

(١)–في مقالٍ له بعنوان:(إنكار الانتقائية أحد منابع الجهل)،نُشِرَ في جريدة الرياض،بتاريخ:٢٠/٥/٢٠٠١م)٠

الفصل الثاني: آثار وأخطار الفكر اللِّيبرالِّي على المسلمين

الفصل الثاني: آثار وأخطار الفكر اللِّيبرالي على المسلمين

هل الليبراليون يملكون مشروعاً جادًّاً وحقيقياً للنهضة؟

وهل لديهم رؤية ناضجة للإصلاح؟

الواقع الذي لا مراء فيه: أَنَّ غاية ما عند هؤلاءِ الليبراليين هو مسخ هوية المجتمع، والانقلاب على الذات، وتلميع الفكر الغربي واستنساخه بدون وعي أو صدق مع الذات أو مع المجتمع!

وأحسب أنَّ هذا التيار المنحرف ليس له جذور عميقة في المجتمع، وليس له امتداد أو قبول شعبي، لكنَّ خطورته تكمن في أنَّ بعض وسائل الإعلام المحلية والإقليمية صدَّرت

رموزه،وجعلت منهم مفكرين إسلاميين،وخبراء في الحركات الإسلامية،وصنَّاع للـــرأي العام!

وفيما يلي بعض آثار ومخاطر الفكر الليبرالي على المسلمين:

أولاً: الآثار العقدية:

١-التشكيك في العقيدة الصحيحة وزعزعة الثقة بها؛ بمختلف الأساليب والطرق الملتويـــة الخبيثة؛مِمَّا يؤدي عياذاً بالله-إلى انصراف الناس وعزوفهم عنها.

٢-القطيعة التامة مع مصادر التلقي والاستدلال عند المسلمين،والتزهيد؛بل التشويه المتعمد للتراث الإسلامي عقيدة وشريعة.

٣-إحياء التراث الفلسفي والمعتزلي وتقريبه للناس في قالب جميل مزخرف؛مِمَّا يؤدي عياذاً بالله إلى تقبل هذا التراث المنحرف في ظل الجهل الذي يخيم على كثير من الناس.

٤-الهزيمة النفسية أمام الأعداء التي يريدون أن يغرسوها في أفراد الأمة شاءوا أم أبوا مـــن خلال أمور عدة منها:أ- بهدم حاجز الولاء والبراء. **ب**-إلغاء الجهاد **ج**- التـــرويج بـــأن المسلمين متخلفون ولا يمكن أن يتقدموا أبداً، والانبهار بالغرب رغم تراجـــع الحـــضارة الغربية والتنبؤات من قبل منظريهم بزوالها .

٥-إفساح المجال أمام التيارات المنحرفة الزائغة بدعوى حرية الرأي والانفتاح على الآخر.

٦-الارتماء في أحضان الأعداء وتقليدهم وتقبل الغزو الفكري بحجة صحة هذه الأديـــان وأن ما عندهم لا يخالف صراحة ما عندنا.

٧-نشر ثقافة تقبل الآخر ولو كان ملحداً،وضياع ما أسماه العلماء بحفـــظ الـــضرورات الخمس وعلى رأسها (حفظ الدين).

ثانياً : الآثار التربوية والأخلاقية والاجتماعية:

١-إفساد المرأة المسلمة،وجعلها دميةً يتلاعب بها المنحرفون سلوكياً وأخلاقياً.

٢- طمس معالم الأخلاق الإسلامية وذلك عن طريق الانحلال والتفسخ الأخلاقي،فلقـــد فتح هذا الفكر الباب على مصراعيه لدعاة التغريب،بحيث لو طبقت المجتمعات كـــل مـــا يرونه ويؤصلونه لأصبحت مجتمعات منحلة لا تعرف معروفا ولا تنكر منكراً.

فهاهو خالص جلبي يـــدعو إلى هـــذا التـــهتك والـــسفور بطريقـــةٍ مـــثيرةٍ للدهـــشة والاستغراب!!،يقول:"**عند سكان استراليا الأصليين،تتدلى أثداء النساء بدون أن تـــثير الفتنة٠وفي كهوف الفلبين،يعيش الناس رجالاً ونساءً مع أطفـــالهم في حالـــة عـــري كامل،فلا يصيح واعظهم أنَّ هذا مُخِّلٌ بالأخلاق!!**

وبالمقابل فإنَّ كشف(يد)امرأةٍ متلفعةٍ بالسواد من مفرق رأسها حتى أخمص القـــدم في بعض المناطق من العالم العربي،يثير الشهوة عند رجال يعيشون في حالة هلوسة جنـــسيةٍ عن عالم المرأة"[١]٠

٣-إماتة وإضعاف جانب الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ثالثاً الآثار السياسية :

١-إقصاء الشريعة عن الحكم وعزلها عن الحياة،وحصرها في نطاق المـــسجد والعبـــادات الشخصية،وهو ما يعرف بِ(العلمانية)أو اللادينية،فالدعوة اللِّيبراليـــة في حقيقتـــها هـــي العلمانية،وإن وجد فاصل بينهم فهو رقيق جداً،وكأهما وجهان لعملـــة واحـــدة،واسمان لمسمى واحد[٢]٠

-يقول عادل الطريفي:"إن حاجة كثير من البشر للإيمان بالدين هي في إعطائهم معنى روحياً لحياقم، ولكن بعد ذلك تصبح الأديان غير قادرة على التدخل في تحديد النظم الحياتية للبشر، إنها تفيد في قيادة أخلاق الناس وتوجيههم الوجهة الروحية المطمئنة، ولكنها تخرج عن دورها المطلوب إذا فرضت شروطها علـــى مواضـــعات البـــشر السياسية والاقتصادية والاجتماعية" [٣].

---

(١)-في مقالٍ له نُشر في جريدة الشرق الأوسط،في:٢٠٠٢/٧/٣م٠

(٢)-انظر:"العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب": (ص/٤٠٩-٤١٧)٠

(١)- في مقالٍ لـــه بعنـــوان(المـــشتركات الإنـــسانية ســـبيل للحـــضارة)نُـــشِرَ في موقـــع(إســـلام أون لاين)بتاريخ:٢٠٠٤/٤/١٨م٠

-ويقول **يوسف أبا الخيل**:"الإسلام بصفائه الأول كما نزل على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم **يفرق تماماً بين الناحية الروحية والناحية الاجتماعية بكافة ما تشتمل عليه من سياسة واقتصاد وتربية وتعليم وصناعة إلخ، الأولى تنظمها النصوص الصحيحة صحة قطعية ثبوتاً ودلالة، أما الثانية فمتروك شأنها للعقل البشري ليرى فيها ما يشاء وفق مصالح الجماعة الراهنة المتأثرة بالمتغيرات الزمانية والمكانية، وهذه هي الحداثة بعينها بغض النظر تماماً عما اصطحبته الممارسات التاريخية الاجتماعية منها والسياسية معها من تراث بشري خلط الروحي بالدنيوي والسياسي بالديني تبعاً لإملاءات أيديولوجية مختلفة**"[1].

٢-الولاء للفكر الغربي،والاستقواء بالأجنبي.

(٢)-جريدة الرياض، الجمعة ٢٠ جمادى الأولى ١٤٢٧هـ - ١٦ يونيو ٢٠٠٦م - العدد ١٣٨٧١.

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة،أرى أنه لابد لأهل السنة أن يدركوا خطورة هذا الفكر المنحرف،وأن يجيشوا جميع طاقاتهم الممكنة لصده،وكشف عواره،وتحذير الناس منه؛فهي والله-أمانة عظيمة،ومسؤولية جسيمة،سنسأل عنها بين يدي الله-جلّ وعلا-،وهذه حلول مقترحة أقدمها في نهاية هذه الدراسة،عسى الله-بفضله وكرمه-أن ينفع بها،ويجعلها نواةً لانطلاقة أكبر،وجهد أعظم،وهي على النحو الآتي:

١. تكاتف الجهود للرد على كل ما ينتجه هذا الفكر وما يطرحه في الساحة وبيان الباطل الذي يسوق له .
٢. إنشاء مراكز بحثية متخصصة في هذا الفكر ورموزه .
٣. فضح العمالة التي يعيشها بعض رموز هذا الفكر مع المحتل ومع الغازي ومع أعداء الدين عموماً .
٤. عمل ندوات ومحاضرات حول هذا الفكر وتعريته وتكون معلنة .
٥. إصدار سلسلة حول الفكر وأصوله تكون سهلة العبارة والأسلوب ومختصرة وتنشر بين طلاب العلم والعامة .
٦. تكثيف الكتابة في نقض أفكارهم من خلال وسائل الإعلام المتنوعة .
٧. الكتابة في مستجدات العصر ونوازله وتقديم رؤية متزنة حول النوازل الفقهية والعقدية والسياسية بما يقطع الطريق على الأطروحات الليبرالية المنحرفة.

كما أنصح القارئ الكريم بقراءة بعض الكتب النافعة في هذا الإطار،وهي فيما يلي:

١-الاتجاه العقلاني لدى المفكرين الإسلاميين-عرض ونقض،للدكتور سعيد بن عيضه الزهراني.

٢-مآلات الخطاب المدني،للأستاذ إبراهيم السكران.

٣-الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية(دراسة نقدية)،للدكتور مفرح بن سليمان القوسي.

٤-العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب،للأستاذ محمد حامد الناصر.

٥-المدرسة العصرانية في نزعتها المادية،للأستاذ محمد حامد الناصر.

٦-الإسلام والحضارة الغربية،للدكتور محمد محمد حسين.

٧-الاتجاهات العقلانية الحديثة،للدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل.
٨-الإسلام الليبرالي،للأستاذ محمد إبراهيم مبروك.
٩-أمريكا والإسلام النفعي،للأستاذ محمد إبراهيم مبروك.
١٠-العقلانيون أفراخ المعتزلة العصريون،للشيخ علي بن حسن الحلبي.
١١-محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة،للشيخ سليمان بن صالح الخراشي.
١٢-نظرات شرعية في فكر منحرف،للشيخ سليمان بن صالح الخراشي.
١٣-رياض الجنة في الرد على المدرسة العقلية ومنكري السنة،للدكتور سيد بن حسين العفاني.
١٤-الحكم الشرعي بين أصالة الثبات والصّلاحية،للدكتور عبد الجليل زهير ضمرة.
١٥-موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية،للشيخ الأمين الصادق الأمين.
١٦-موقف الاتجاه العقلي الإسلامي المعاصر من قضايا الولاء والبراء،للأخت مضاوي بنت سليمان البسام.